

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة باتنة - 1-

كلية اللغة و الأدب العربي و الفنون

قسم اللغة و الأدب العربي



## النحو الكلي بين اكتساب اللغة و تفسيرها

- دراسة وصفية تحليلية -

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم اللغوية

إشراف:

أ / د. صالح خديش

إعداد الطالبة:

أسماء بن منصور

### لجنة المناقشة

محمد بوعمامة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة باتنة 1
صالح خديش	أستاذ التعليم العالي	مقررا	جامعة عباس لغرور - خنشلة
السعيد بن براهيم	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة باتنة 1
عمار شلواوي	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة بسكرة
دليلة مزوز	أستاذة التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة باتنة 1

السنة الجامعية : 2017 – 2018 / م 1438 - 1439 هـ

## - مقدمة -

لقد غير " تشومسكي " وجهة اللسانيات تغييرا جذريا ، و ما أحدثه لم يكن قطيعة وحسب مع المفاهيم اللغوية المسيطرة على علم اللغة آنذاك ، بل كان بمثابة ثورة معرفية طالت النظرية اللسانية برمتها ، ثورة سعت للإطاحة بالدراسات اللغوية الخاضعة للاتجاه الوصفي المستندة إلى نظريات علم النفس السلوكي.

استهلّ تشومسكي طريقه هذا بفرض قاطع لمبادئ النظرية السلوكية التي تُعدّ اللغة سلوكا آليا يقوم على مبدأ الحافز والاستجابة "stimulus and response" ، مقترحا مفاهيم جديدة جديرة بدراسة اللغة وكيفية اكتسابها ، داعيا إلى تجاوز حدود الوصف الذي لا يهتم إلا بالسطح اللغوي إلى رحابة التفسير الذي يُعنى بالمعرفة اللغوية الكامنة في أذهان المتكلمين الأسوياء ، عادّا هذه المعرفة تنظيما عظيما معقدا ؛ فشيدّ نظرية لغوية تقوم على جهاز مفاهيمي ضخم يستقي أسسه من حقول معرفية متشعبة أهمها : (الفلسفة العقلية، لسانيات بور رويال و همبولدت ، علم النفس المعرفي ) أطلق عليها اسم : **النظرية التوليدية التحويلية** ، كان هدفها الأسمى تفسير القدرة الإنسانية على دمج عدد محدود من الكلمات لتوليد عدد لا نهائي من التراكيب الخاضعة لقواعد وقوالب نحوية تجريدية.

كان هذا دافعا لمواصلة البحث أربعين سنة لاحقة بغية استكمال ما بدأه لتأتي **نظرية النحو الكلي** ثمرة للعديد من الإضافات و التعديلات التي أجراها على النحو التوليدي.

و لعلّ أكثر الأسباب التي حملتني على اختيار هذا الموضوع هو تبني كثير من الأطروحات العلمية مفهوم الكليات اللغوية أو النحو الكلي لمعالجة الكثير من القضايا المتعلقة باللغة ؛ مثل : **اكتساب الطفل للغة الأم** .

ناهيك عن تبني علم اللغة النفسي مفهوم النحو الكلي في تفسير بعض الإعاقات اللغوية مثل الحبسة أو الأفازيا ؛ زيادة إلى طبيعة ميولاتي الدراسية خاصة فيما يتعلق بالفكر اللساني الحديث وعلم اللغة النفسي.

الأمر الذي جعلني أنقب عبر هذا البحث ساعية للإجابة عن الإشكاليات التالية :

- ما ماهية النحو الكلي ؟
- ما هو السياق المعرفي الذي نتجت عنه نظرية النحو الكلي ؟ وما هي منطلقاتها الفكرية ودعائمها الإستمولوجية ؟
- ما هي الأطوار التي مرّت بها نظرية النحو الكلي قبل أن تستوي على سوقها ؟
- كيف تُفسر نظرية النحو الكلي اكتساب اللغة ؟ و بَمَ تخالف تفسير النظرية السلوكية لسكينر و النظرية المعرفية لجان بياجيه؟
- هل يمكن اعتبار تجاوز الاتجاه الوصفي في دراسة اللغة المجسدة والتحول إلى تفسير البنية الداخلية للمعرفة اللغوية ، أو دراسة اللغة المبنية داخليا قفزة علمية دفعت بعلم اللغة الحديث إلى الأمام ؟
- ما هي مبادئ النحو الكلي التي يزعم تشومسكي بأنها عقدٌ وشراكة بين جميع اللغات الإنسانية و ما وسائطه أو متغيراته Parameters؟

لغرض الوصول إلى إجابات شافية عن هذه الأسئلة اعتمد هذا البحث على الخطة

التالية :

إسْتَهْلُ البحث بفصل تمهيدي بعنوان : **النحو الكلي و الدرس اللغوي عند العرب**، حيث حاولتُ أن أفق فيه على مفهوم النحو الكلي كما عرفه صاحبه ؛ ثم انتقلتُ للتنقيب في مبحث بعنوان : **" تشومسكي و التراث العربي "** عن نقاط الالتقاء بين التراث العربي و بين بعض القضايا التي شغلت تشومسكي بالبحث أثناء بنائه لصرح نظريته هذه ، دون أن أغفل آراء الباحثين العرب المحدثين حول آراء تشومسكي اللغوية و نظرياته اللسانية في المبحث الموالي الذي كان بعنوان: **" تشومسكي و الدرس اللغوي العربي الحديث "**.

وفي الفصل الأول الذي جاء بعنوان " الأسس الإستمولوجية للنحو الكلي " حاولت

تتبع جذور النظرية الضاربة في أعماق الفلسفة الغربية و لسانيات بور رويال و همبولدت، مستعرضة تأثر تشومسكي بالعلوم الحديثة كعلم النفس الإدراكي و علم الأحياء، مُقسّمة الفصل إلى ثلاثة مباحث تضم عدة مواضيع ، و هذه المباحث هي :

**1- الأسس الفلسفية العقلانية ( أفلاطون- ديكارت )**

**2- الأسس اللغوية ( بور رويال - هومبولدت)**

**3 - الأسس النفسية ( علم النفس الإدراكي Psychology Cognitive)**

**واستثمار الفرضيات الأحيائية البيولوجية .**

لأنّقل بعد ذلك لَبَحْثِ الأطوار التي مرّت بها نظرية النحو الكلي في الفصل الثاني الذي كان بعنوان " أطوار نظرية النحو الكلي " دارسةً ذلك في ثلاثة مباحث هي على التوالي:

**1 - تجاوز أطروحات سوسير**

**2 – رفض مفاهيم السلوكيين**

**3 – من النحو التوليدي إلى النحو الكلي**

لأعرج بالبحث في الفصل الثالث على موضوع اكتساب اللغة ، مقدمة إياه ضمن مبحثين ، يتناول الأول الاكتساب اللغوي في الفكر العربي القديم ثم الحديث ؛ أما الثاني فيتحدث عن اكتساب اللغة في الفكر الغربي بمدارسه الثلاث المشهورة " المدرسة السلوكية (سكينر) – المدرسة المعرفية ( بياجيه) - المدرسة الفطرية ( تشومسكي) " .

وفي الفصل الرابع الذي جاء بعنوان " من الوصف إلى التفسير " سعيّت لإبراز مناهج دراسة اللغة المجسدة عند البنيويين الوصفيين و عند النحاة العرب القدماء ، ثم انتقلتُ لدراسة اللغة المبنية داخليا و ذلك بمعينة البنية الذهنية للغة ومفهوم الحدس الذي استبدل به تشومسكي مفهوم المتن " Data "، مع تناول النظام الحوسبي الذي اقترحه تشومسكي كفرضية لتفسير كيفية ربط الصوت بالمعنى داخل الذهن ، فكان ذلك في مبحثين قُسّما إلى العديد من المواضيع، و المبحثان هما:

## 1- اللغة المجسدة

## 2- اللغة المبنية داخليا.

أما في الفصل الخامس والأخير فقد إختتمتُ البحث بمبادئ النحو الكلي العامة و متغيراته ، فكان ذلك في مبحثين آخرين يضمّان العديد من القضايا ، جاء كالتالي:

### 1- المبادئ العامة للنحو الكلي

### 2- المبادئ الفرعية ووسائط النحو الكلي

و قد تناول هذا الفصل السمات اللغوية العالمية - التي وضعها تشومسكي - بالتحليل و المناقشة مثل: مبدأ الإسقاط والمقولات الفارغة ، قاعدة انقل ألفا Move –A ، مبدأ التبعية البنوية ، نظرية الثيتا Theta theory ، و أخيرا نظرية الحالة Case Theory .

إضافة إلى الوسائط و النظريات الفرعية التي تفرعت عن نظرية النحو الكلي

كنظرية العامل والإحكام الربطي ، نظرية X- bar ( وسيط الرأس The head parameter ) ، وسيط إسقاط الضم ( The pro- drop parameter ) مطبقة هذه المبادئ و المتغيرات على أمثلة من اللغة الإنجليزية و العربية مناقشة إياها، لأخلص بعد ذلك إلى خاتمة كانت نتيجة لما جاء في البحث من محاور.

اعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي وذلك تساوقا مع طبيعة الموضوع و بغبة للتوصل إلى إجابات علمية عن التساؤلات السابقة، إذ كان لابد أن يقوم منهج المعالجة على تمثّل وصفي تحليلي من خلاله يمكن الوقوف على ماهية القواعد الكلية وفهم آلية عمل اللغة الإنسانية من خلال نظريات تجريدية تحظى بالعديد من الاهتمام من قبل دارسين وباحثين في ميادين شتى كأطباء الوراثة و علماء الأعصاب في العالم الغربي .

وقد استضاء البحث بجمهرة من كتب اللغة الأجنبية و العربية ، و كانت أولى الكتب الأجنبية المعتمدة كتابات تشومسكي ، منها المترجمة إلى العربية ؛ مثل: المعرفة اللغوية ؛ طبيعتها أصلها واستخدامها، اللغة و المسؤولية ، اللغة و مشكلات المعرفة و آفاق جديدة في دراسة اللغة و العقل.

كما اعتمد البحث على مؤلفاته باللغة الإنجليزية بالدرجة الأولى، مثل :

- Syntactic Structures
- Aspects of The Theory of Syntax.
- Language and Mind.
- Knowledge of Language, It's Nature, Origion and Use.

كما استند البحث إلى دراسات غربية عن النحو الكلي باللغة الإنجليزية كالكتاب القيم لـ "كوك" Cook : **Chomsky's Universal Grammar**، و غيرها من كتب علم اللغة و النحو و الفلسفة باللغة الإنجليزية.

ولذلك فإن أول عقبة اعترضتني هي ترجمة هذه الأعمال أولاً ثم إعادة قراءتها وتبويبها دون إغفال ما تنطوي عليه هذه العملية من مخاطرة تعود بالدرجة الأولى إلى ضخامة الجهاز المفاهيمي المعقد لنظريات تشومسكي ، إذ لا يكفي لدارس في حقل اللسانيات التمكن من اللغة الإنجليزية لفهم أو حتى قراءة أعمال باحث كتشومسكي التي يغلب عليها الطابع الفلسفي و التفكير الرياضي.

لعل هذا ما جعل المترجمين له من الدارسين العرب - في كثير من الأحيان- يقدمون ترجمات مختلفة لا قرابة بينها لمصطلح واحد ، كلٌ حسب قراءته وفهمه ، كمصطلح ( argument ) الذي بنى عليه تشومسكي نظرية ( الثيتا theta ) أو نظرية الأدوار المحورية حسب ترجمة مرتضى جواد باقر ، أقول إن هذا المصطلح ( argument ) ترجمه عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه " البناء الموازي ؛ نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة " إلى ( الموضوع ) بينما ترجمه محمد فتيح في كتاب " المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها واستخدامها " إلى ( المشارك ) .

وفي الختام أتوجه بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف " صالح خديش " على جهوده و متابعته لهذا البحث طوال هذه السنوات ، فلولا توجيهاته القيمة و تعليقاته و إرشاداته المتميزة لما جاء هذا البحث في هذه الصورة.

كما أتوجه بشكر خاص و تقدير كبير للبروفيسور " نوام تشومسكي " الذي كان يجيب عن أسئلتني و يشرح لي ما استُغلق عليّ فهمه بكل تواضع و رحابة صدر دون تأخر أو إبداء أي انزعاج من أسئلتني الكثيرة رغم انشغاله الدائم و ضيق وقته.

و أتوجه بالشكر و الامتتان للباحث " تشاريل أندي بلاك Cheryl Andy Black " من جامعة " داكوتا الشمالية University of North Dakota ، فرع المكسيك " الذي ساعدني كثيرا في استيعاب نظرية " X- bar " .

كما أتوجه بالامتتان إلى أساتذتي خاصة الدكتور " لخضر بلخير " و الأستاذ " منصور خلخال " على كل ما قدموه لي من نصائح و مساعدات و توجيهات في قسم اللغة العربية في جامعة الحاج لخضر- باتنة ، و السلام عليكم ورحمة الله.

## الفصل التمهيدي

- النحو الكلي و الدرس اللغوي عند العرب

- أولا : ماهية النحو الكلي

- ثانيا : تشومسكي و التراث العربي

- ثالثا : تشومسكي و الدرس اللغوي العربي

الحديث



## النحو الكلي و الدرس اللغوي عند العرب

### أولا : ماهية النحو الكلي

أدت الإضافات والتعديلات التي قام بها تشومسكي على نظريته التوليدية التحويلية إلى ظهور نظرية جديدة أطلق عليها اسم " نظرية النحو الكلي The Universal Grammar

**Theory** ، وهي تعرف عن بعض اللغويين العرب بـ " نظرية القواعد العامة " (1)

و كان هدف تشومسكي من نظريته الأخيرة وضع قواعد عامة تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية ، فهو يرى >> أنّ الهدف الأساسي لعلم اللغة، هو بناء نظرية استدلالية Deductive theory خاصة بتراكيب اللغة الإنسانية ، بحيث يمكن تطبيقها على جميع اللغات وليس اللغة التي نعرفها فحسب <<. (2)

فاللغات الإنسانية تشترك في سمات عديدة ما دام كلّ البشر مزودين فطريا بملكة اللغة وهذه الملكة حسب تشومسكي هي " موهبة بيولوجية " ؛ ومن ثم فالنحو الكلي هو >> وصف لملكة اللغة المحددة بيولوجيا<<. (3)

أي أنه تلك القواعد الضمنية التي تحدد هوية اللغة الإنسانية في طورها النشوئي الأول. إنه ضوابط و قوانين تستوطن الذهن كسمة جينية تميز الإنسان عن غيره من الكائنات، مستقرة في البشر نتيجة لعامل الوراثة. و هي تولد مع الطفل كهبة طبيعية لكل أفراد الجنس البشري، و لذا فهي سابقة لعملية الاكتساب.

(1) ينظر : فائقة الصادقي ، نظرية تشومسكي في القواعد العامة (مقدمة للقارئ العربي )، مجلة علوم إنسانية ، السنة الرابعة، 29 يونيو ( تموز ) ، جامعة البحرين ، نشر إلكتروني، من : [http : www.ta5atub.com](http://www.ta5atub.com)

(2) نوعم تشومسكي ، اللغة و المسؤولية ، تر: حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، ط2، 2005، القاهرة ( جمهورية مصر العربية ) ، ص 67

(3) Noam Chomsky, Knowledge of language : It's nature, Origin and Use, First published, 1986, New York. United States of America, Westport, Connecticut, London, p .3

معنى هذا أن النحو الكلي ليس قواعدَ خاصة (particular grammar) تخص لغة بعينها كالعربية و الفرنسية مثلا، بل هو مجموعة متنوعة من القواعد تنسحب على كل اللغات الإنسانية.

و لهذا لم تعد اللغة المعينة التي تؤخذ موضوعا للدراسة تنصدر اهتمامات اللسانيات - حسب تشومسكي- لأنها قد قطعت رداحا طويلا من الزمن منذ المنهج البنيوي مع سوسير و لذا أن الأوان للعودة إلى النحو العالمي المعقلن الذي تشترك فيه جميع الألسن الإنسانية. إن اللغة بالنسبة لتشومسكي " هبة و براعة" بيولوجية فطرية تشتمل على قواعد عالمية مشتركة بين جميع البشر. >> ويفهم النحو الكلي حينئذ على أنه نظام من القيود مستقى من الموهبة البيولوجية الإنسانية التي تحدد هوية اللغات المبنية داخليا التي يمكن الوصول إليها إنسانيا تحت الظروف العادية << (1) .

إنّ الطفل - حسب تشومسكي وأتباعه منذ رواج النحو التوليدي والتحويلي- >> يملك بالفطرة تنظيما إدراكيا يمكن تسميته بالحالة الأولية (\* ) ، حيث يمر الطفل بتتابع حالات تتمثل فيها البني الإدراكية وفيما يتعلق باللغة تحصل تغييرات سريعة نسبة إلى الحالة الأولية خلال المراحل الباكرة من الطفولة وبعدها تكتمل حالة عقلية صلبة وثابتة تتعرض

---

(1) حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي و التراكيب اللغوية العربية ( دراسات تطبيقية )، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004، القاهرة، ص 19، و يُنظر : النسخة المترجمة من كتاب المعرفة اللغوية، نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية ، طبيعتها أصولها و استخدامها، تر: محمد فتوح، دار الفكر العربي، ط1، 1993، ص 45 . و ينظر كذلك: ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية( النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط2، 1986، بيروت، ص 71-72. و كذلك : شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة و النشر و التوزيع ، ط1، 2004، بيروت ، ص 62. و ينظر:

-Noam Chomsky, Knowledge of Language, p. 3 - V.J. Cook and Mark Newson,  
Chomsky's Universal Grammar, An Introduction, Third Edition, Blackwell  
publishing, 1988, Oxford : Basil , pp. 1 - 12

(\* ) ينظر الفصل الرابع ، المبحث الثاني ( اللغة المبنية داخليا ) ، ص 202.

فيما بعد لتغييرات طفيفة ، و بالإمكان دائما اعتبار هذه الحالة حالة نهائية للعقل وأنّ الحالة الأولية خاصة بالجنس البشري ( الإنساني ) و سابقة للخبرة <>. (1)

لقد طور تشومسكي و أتباعه عبر تحليلات معقدة بعض النظريات عن الأنحاء العقلية ، وعن النحو الكلي الذي يسبق الأنحاء الخاصة ، وقد ألهم الكثير من العلماء و الباحثين أمثال : إريك لنبرج و جورج ملر و موريس هالة ... و غيرهم ، قد ألهمهم على اقتحام مواضيع جديدة من دراسة اللغة، بدءا بنمو لغة الطفل وإدراك الكلام وانتهاء بعلم الأعصاب والوراثة و علم الأحياء درجة أن يصل الدارسون الذين يعالجون المسائل التي أثارها تشومسكي الآلاف . فهو يعد من العشرة الذين يستشهد بهم في الدراسات الإنسانية . إذ أنه يتقدم على هيجل و شيشرون ولا يسبقه إلا كارل ماركس و لينين ، شكسبير و الإنجيل ، أرسطو و أفلاطون و فرويد . (2)

فهو يستفز الدارسين بآرائه و يلهمهم أيضا فمنهم من يُعظّمه و يبجله، و منهم من يشن عليه هجوما شرسا عنيفا فيه الكثير من العدائية والجور . و لكن حتى أولئك الذين أوغلوا في انتقاده كان لتشومسكي فضل فيما نالوه من شهرة بسبب مواقفهم المناهضة لآرائه . ثم إنّ جملته المشهورة التي تعج بها كتب اللسانيين والدارسين من مختلف الميادين :

## – " Colorless green ideas sleep furiously "

( تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون بغيظ )

أصبحت تلهم الشعراء في قصائدهم ، فكتب أندرو مارفال قصيدته " الفكرة الخضراء في الظل الأخضر "A green thought in a green shade .

و جملته الأخرى "John is easy to please" ( من السهل إسعاد جون أو جون

شخص يسهل إسعاده ) ، التي استخدمها في كتابه **Aspects of The Theory of**

(1) نوعم تشومسكي، اللغة و المسؤولية ، ص 67

(2) ينظر : ستيفن بنكر، الغريزة اللغوية ( كيف يبدع العقل اللغة ) ، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار المريخ، 2000، الرياض، ص 31

**Syntax** للتمييز بين الكفاءة **Competence** والأداء الكلامي **Performance** كمقدمة للتمييز اللاحق بين المعرفة اللغوية **language knowledge** و استعمال اللغة **language use** ، قد نالت شهرة عظيمة حد أن تُنقش على أحد جدران شوارع لندن عام 1970م و استعملت كعنوان لكتاب سنة 1971م.<sup>(1)</sup>

و بغضّ النظر عن حجم منتقديه فقد أحدث تشومسكي ثورة فكرية بأرائه الحديثة ، وكانت أكثر فكرة اتخذها منتقدوه دعامة لشن هجومهم هي قضية **فطرية اللغة** و الاعتماد على الفرضيات البيولوجية فيما يتعلق بدراسة اللغة ، وذلك بعدّها هبة تورث عن الآباء والأجداد، و هو شيء لم يسلم به الكثير من اللسانيين وغير اللسانيين العرب و غير العرب.

---

<sup>(1)</sup> Cook, Chomsky's Universal Grammar, pp. 2- 3

## ثانيا : تشومسكي والتراث العربي

لقد أثار تشومسكي أثناء بنائه و تعديله لنظرية النحو الكلي العديد من القضايا التي لم يكن - في الحقيقة - سبّاقا إليها ، من أهمها:

### أ - أصل اللغة الإنسانية و نشأتها

عالج تشومسكي موضوع أصل اللغات و هو يبحث السمات المشتركة التي تربط بين سائر اللغات الإنسانية ، إذ يذهب إلى أن اللغة الإنسانية سمة فريدة عند الجنس البشري ، و ظاهرة حديثة النشأة ، ظهرت كنتيجة لما يسميه " بخصيصة اللانهاية المتميزة " التي لا تعدو كونها مرحلة من مراحل النشوء التطوري عند الإنسان (1) .

إن قضية أصل اللغة الإنسانية قد تناولها فلاسفة الإغريق سابقا كما خاض فيها العرب، >> وكان للعلماء من العرب مغامرات في هذا الشأن و آراء لا تخلو من الحدس والتخمين لخصها السيوطي في المزهرة فببت مضطربة. لا يكاد المرء ينتهي من قراءتها حتى يصبح مبلبل الفكر حائرا مشدوها .

و كان بعض العلماء من القدماء يعتمدون في بحثهم على أدلة نقلية التمسوها من الكتب المقدسة كالتوراة والقرآن وفسروها تفسيراً يلائم ما ذهبوا إليه من آراء . ففي الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين نقرأ قصة بابل حين حاول الناس أن يتخذوا لأنفسهم مدينة عظيمة و برجاً شامخاً يطاول السماء فبلبل الله ألسنتهم وجعلهم فرقا و شيعا لا يفهم بعضهم

---

(1) ينظر : نعم تشومسكي، اللغة و مشكلات المعرفة ، محاضرات ماناجوا، تر: حمزة بن قبلان المزيني ، دار تويقال، ط1 ، 1990 ، الدار البيضاء ، ص 232 و ما بعدها.

بعضا بعد أن كانوا أهل لغة واحدة ولسان واحد، فانتشروا في الأرض وتعددت لغات  
البشر. << (1)

و من العلماء العرب الذين خاضوا في هذا المجال ابن فارس في كتابه " **الصاحبي**  
في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها" ، وابن جني في خصائصه.

ذهب ابن فارس إلى أن اللغة وحي وإلهام وتوقيف من عند الله عز وجل . إذ يقول:

<<أقول: إن لغة العرب توقيف . ودليل ذلك قوله جل ثناؤه : [ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ]

فكان ابن عباس يقول : علّمه الأسماء كلها ، وهي هذه التي يتعارفها الناس من : دابة ،  
و أرض ، و سهل ، و جبل ، و حمار ، و أشباه ذلك من الأمم وغيرها .

و روى خُصَيْفٌ عن مجاهد قال : علّمه اسم كلّ شيء

وقال غيرهما: إنّما علّمه أسماء الملائكة.

وقال آخرون : علّمه أسماء ذرّتيه أجمعين .<< (2)

ظهرت اللغة مع ظهور الإنسان على وجه الأرض، و هي مرتبطة به تتطور بتطوره

و تتراجع و تنقرض بتراجعها و انقراضه، و قول الله عز وجل : { **وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا**

**بِلِسَانٍ قَوْمِهِ** } (3) دليل على أن اللغة وضعت في الإنسان بالإلهام لا بالخطاب أو

التواضع. (4)

(1) إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984، ص 15.

(2) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، تع: أحمد حسين بسبيج، دار الكتب  
العلمية ، ط1، 1997، بيروت، ص 14.

(3) سورة إبراهيم، الآية 4

(4) حاتم علو الطائي، نشأة اللغة و أهميتها، دراسات تربوية، العدد السادس ، نيسان 2009 ، ص 204

لكن الذين يعتمدون على الآية الكريمة من سورة البقرة { وَ عَلَّمَ أَحَدَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّمَا

تَمَّ مَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (1) كدليل على

توقيفية اللغة من عند الله سبحانه و تعالى ، يحتجون بحجج غير واضحة ، ذلك أن معنى هذه الآية ليس واضحا و لا يقدم دليلا جليا ، >> إذ يحتمل أن يكون معناه- كما ذكر ذلك ابن جني في كتابه الخصائص و ذهب إليه كثير من أئمة المفسرين – أن الله تعالى أقدر الإنسان على وضع الألفاظ . <<(2)

و من الذين حاولوا تفسير نشأة اللغة الإنسانية بنظرية الاتفاق و المواضعة العالم اللغوي الجليل ابن جني ، إذ قال في الخصائص : >> وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيها من المواضعة وذلك كأن يجتمع حكمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات ، فيضعوا لكل منها سمة و لفظا ، إذا ذكر عرف به ما سماه ، ليمتاز به عن غيره، وليُغني تذكره عن إحضاره إلى مرآة العين ، فيكون ذلك أقرب وأخف و أسهل من تكلف إحضاره <<. (3)

كما أنه ارتضى مذهب المحاكاة الذي يزعم أن الإنسان استمد أسماء الأشياء من أصواتها، إذ قال باحتمال اشتقاق اللغة من أصوات الطبيعة و أصوات الحيوانات ، و هو رأي ذهب إليه الكثير من المحدثين الأوروبيين. (4). فيقول: >> و ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ، كدوي الرياح ، وحنين الرعد، وخرير الماء، و شحيج الحمار، و نعيق الغراب، و سهيل الفرس...ثم وُلدت اللغات عن ذلك فيما بعد . و هذا عندي وجه صالح ، و مذهب متقبل . << (5)

(1) سورة البقرة، الآية 31

(2) علي عبد الواحد وافي ، نشأة اللغة عند الإنسان و الطفل، دار نهضة مصر، يونيو 2003، القاهرة، ص 31  
(3) ابن جني ( أبو الفتح عثمان )، الخصائص، تج: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ( المكتبة العلمية). ج 1 ، القاهرة، ص 44

(4) حاتم علو الطائي، نشأة اللغة و أهميتها، دراسات تربوية ، ص 205

(5) ابن جني ، الخصائص، ج 1 ، ص 46 - 47.

لكنه ما يلبث أن يعود إلى الرأي الأول القائل بأنها توقيف و إلهام من عند الله سبحانه و تعالى ، إذ يقول: << هي من عند الله عز وجل، فقوى في نفسي اعتقادي كونها توفيقاً من الله سبحانه و أنّها وحي >> (1).

ومهما يكن من أمر فإن نظرية الاصطلاح و المواضعة هي نفسها لا تقدم تفسيراً علمياً لنشأة اللغة ، << فلسنا هنا بصدد نظرية جديرة بالمناقشة ، بل بصدد تخمين خيالي و فرض عقيم يحمل في طيه آية بطلانه . و قد ذهب المتعصبون له في تصوير منشأ اللغة مذاهب ساذجة غريبة تدل أبلغ دلالة على مبلغ انحرافه عن جادة الصواب و نطاق المعقول . >> (2)

فاجتماع ثلاثة حكماء أو أربعة ، و مناقشة فيما بينهم أمر وضع اللغة ، و اتفاهم على تسمية كل شيء باسم معين دون سواه تفسير يحمل في طياته العديد من نقاط التناقض أولها كيف كان هؤلاء الحكماء يتبادلون أطراف الحديث بينهم و هم يحاولون وضع اللغة؟ إن مسألة التواصل بإشارات اليد و إيماءات العيون و حركات انقباض الوجه و انفراج أساريره تبدو كقصة خيالية عديمة المنطق لا يجدر الأخذ بها في العلوم التي تنشد الدقة و اليقينية مهما كانت نسبية كالعلوم الإنسانية، إذ كيف لهذه الحركات المحدودة القليلة أن تضع أصواتاً ضمن قوالب نظامية لوضع الكلمات ؟ ثم ماذا عن مسألة القواعد و القوانين النحوية ؟ إن شكل اللغة الإنسانية و تعقيد نظامها الداخلي يطيح بهذا النوع من النظريات الساذجة.

و مع ذلك فإنه لا يمكن إنكار أنّ الناس تستحدث ألفاظاً و تخترع تسميات لأشياء حديثة، و التسميات التي يضعها العلم يومياً لمخترعاته لا حصر لها. كما أن الشعراء و الأدباء يشتقون كلمات جديدة للتعبير عن مكانين أفندتهم و رؤاهم.

و << لاشك أن الفضل في نشأة اللغة الإنسانية يرجع إلى المجتمع نفسه و إلى الحياة الاجتماعية. فلولا اجتماع الأفراد بعضهم مع بعض و حاجتهم إلى التعاون و التفاهم و تبادل الأفكار و التعبير عما يجول بالخواطر من معان و مدركات ما وجدت لغة و لا تعبير

(1) المرجع السابق، ص 47

(2) علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان و الطفل، ص 33



إرادي. و لا شك أن اللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية، فتخلقها في صور تلقائية طبيعة الاجتماع ؛ و تنبعث عن الحياة الجمعية و ما تقتضيه هذه الحياة من شؤون . << (1)

لم يصل العلماء إلى نتيجة ذات قيمة علمية حول هذا الموضوع ولهذا صار علماء اللغة في القرن الواحد والعشرين لا يحفلون بهذا الموضوع ولا يولونه عنايتهم البتة ، <> و قد قررت الجمعية اللغوية في باريس عدم مناقشة هذا الموضوع نهائياً أو قبول أي بحث فيه لعرضه في جلستها كما أن كثيراً من العلماء ذوي الشهرة في علم اللغة أمثال ( بلومفيلد ) و ( فيرث ) لم يتعرضوا لدراسة هذا الموضوع بشكل علمي أو بصورة تنبئ عن أهمية البحث فيه. << (2)

## ب - البنية العميقة والبنية السطحية

إن مصطلحي البنية العميقة والبنية السطحية من أهم المصطلحات التي بنى عليها تشومسكي نظريته التوليدية التحويلية و تابع بهما بحثه الطويل مع نظرية النحو الكلي ، فهو يرى <> أن أية ظاهرة مكونة من مستويين سطحي ظاهر وعميق كامن . ف وراء كل البنى السطحية الظاهرة توجد بنية أكثر عمقا وتركيبا ... ومن خلال تحليل المكونات الشكلية للبنية السطحية (الملموسة) وطريقة تنظيمها وتفاعلها يمكن الوصول إلى البنية العميقة . << (3)

وقد لامس عبد القاهر الجرجاني هذين المستويين في دراساته البلاغية اللغوية في " دلائل الإعجاز " ، <> وبالنظر إلى المنحى الفكري الذي تحرك الجرجاني وقفا له تبين أن الرجل واجه إشكالية تبدو معقدة بعض الشيء ، إذ كان أمامه مستويان عليه أن يتحرك بينهما وأن يوفق بين متناقضاتهما فهو بين كلام لفظي منطوق يمكن ملاحظته ونشاط عقلي لا يمكن ملاحظته ، أي أنه كان يسعى للجمع بين النقيضين. وبرغم أن الكلام

(1) المرجع السابق، ص 29

(2) حاتم صالح الضامن، علم اللغة، مطبعة التعليم العالي، 1989، الموصل ( العراق )، ص 95.

(3) عبد الوهاب الميسري، نعوم تشومسكي و الثورة اللغوية ، Chomsky and the generative Revolution، من :

[www.elmessiri.com](http://www.elmessiri.com)

اللفظي لم يكن يهيمه في حد ذاته فإنه الشيء الوحيد الذي يمكن ملاحظته. ومن هنا أثر الرجل توجيه دراسته إلى ما بين مفردات اللغة من علاقات ، بوصفها مجسدة لنشاط العقل ومصورة له. وهذه العلاقة ليست سوى إمكانيات النحو التركيبية. التي تعطي الصياغة ملامحها الأساسية في الشعر أو في النثر، كما أنها هي التي تخلصها من فوضى الألفاظ وعفوية التعبير. وقد أطلق عبد القاهر على هذا المفهوم كلمة ( النظم). << (1)

ولا يكاد يخرج مفهوم تشومسكي للبنية العميقة والسطحية التي يراها الباحثون المحدثون كشفا عظيما للدرس اللغوي الغربي عن مفهوم النظم لدى عبد القاهر الجرجاني.

انظر إلى قوله في دلائل الإعجاز مفرقا بين ( نظم الحروف) و ( نظم الكلم) :  
>> و الفرق بينهما هو " أنك إذا عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم ، أن توالى ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل. << (2)

ويقول أيضا : >> و إذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب إلا بأن يُصنع بها هذا الصنع ونحوه وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلا اللفظ بشيء ومما لا يتصور أن يكون فيه ومن صفته بان بذلك أنّ الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تَبَعُ للمعنى في النظم وأن الكلم تُرتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا وأصداء حروف لما وقع في ضمير ولا هَجَسَ في خاطر أن يجب فيها ترتيبٌ ونظم وأن يُجعلَ لها أمكنة ومنازل وأن يَجِبَ النطق بهذه قبل النطق بتلك. << (3)

والترتيب النفسي في قول عبد القاهر لا يعدو كونه البناء العقلي للوحدات اللغوية ضمن قوالب نحوية تراعي المعاني قبل أن تنتقل إلى مستواها الظاهري اللفظي. وفَهْمُ عبد القاهر للنظم بهذا النحو لا يخرج عن المستويين الشهيرين اللذين جاء بهما تشومسكي في العصر الحديث في دراسته لتراكيب اللغة الإنجليزية.

(1) محمد عبد المطلب ، النحو بين القاهر و تشومسكي، فصول ( مجلة النقد الأدبي ) – الأسلوبية- المجلد الخامس، العدد الأول. أكتوبر /نوفمبر/ ديسمبر، 1984، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص 27- 28.

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، تح : محمد رضوان الداية، فايز الداية، دار الفكر ، ط1، 2008، دمشق،

ص 98

(3) المرجع نفسه، ص 102.

>> استطاع الجرجاني أن يتوصل إلى أبعاد دقيقة وعميقة ، خرج منها إلى أن النظم الناجم عن مجموعة من الروابط و العلاقات اللغوية ، هو الذي يحدد معنى اللفظة ، و يعطيها قيمتها و مزيتها و أنّ لا قيمة لها خارج السياق .<< (1)

>> و يخلص الجرجاني إلى أن ضمّ الكلمات و فقا لترتيب معين ، مع تمام معناه و استقامته ، هو الذي ينتج عنه ما يسميه ( النحو) ، وهو الذي تفسره نظرية العامل ... و الترتيب الخاص هو الذي يترتب عليه الإعراب النحوي .<< (2)

و لأن البنية العميقة هي >> التركيب الباطني المجرد الموجود في ذهن المتكلم وجودا فطريا. وهي أول مرحلة من عملية الإنتاج الدلالي للجملة... أما البنية السطحية فهي ... التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية المنطوقة أو المكتوبة>> (3) فإن همّ تشومسكي الأول كان >> موجهها إلى ربط اللغة بالجانب العقلي في محاولة توفيقية لحل الإشكال نفسه الذي سبق أن واجهه عبد القاهر . وقد تبلور جهد كل منهما في إعطاء النحو إمكانيات تركيبية مستمدة من قواعده العقلية ، بحيث أصبحت هذه الإمكانيات أشبه شيء بصندوق مغلق له مدخل ومخرج تدخل فيه المفردات وتتفاعل ثم تخرج على الصورة التأليفية الجديدة. ونحن لا نلمس سوى المظهر المادي للعملية أمّا الجانب العقلي خفي داخل الصندوق . << (4)

من هنا فإنّ أيّة جملة قبل أن تنتقل إلى المستوى اللفظي الظاهري يجب أن تخضع داخل ذهن المتكلم لعمليات تدقيق وترتيب وتقديم وتأخير وحذف ثم بعد ذلك تنتقل إلى المستوى الظاهري الملموس الذي يمكن ملاحظته ماديا، وكل ذلك يحدث في ثوان معدودة. يقول الجرجاني :>> إذا نظرنا في ذلك علما أن لا محصول بها غير أن تعتمد إلى اسم

فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر أو تتبع

(1) ابتسام أحمد حمدان، أسس نحوية و لغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة دراسات في اللغة

العربية و آدابها ، فصلية محكمة ، العدد 3، خريف 1389 هـ / 2010 م ، ص 2

(2) المرجع نفسه ، ص 30

(3) شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 52- 53

(4) محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر و تشومسكي، ص 38- 39

الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلا منه أو تجيء باسم بعد  
[ تمام ] كلامك على أن يكون الثاني صفة أو حالا أو تمييزا ... >> (1)

وإذا قارنا هذا الفهم بتحليل تشومسكي للجملتين:

- John is eager to please.

(جون حريص على إسعاد الآخرين)

- John is easy to please.

(جون سهل الإسعاد أو الإرضاء)

نجد أن كلا الجملتين تشتمل على البنية السطحية ذاتها بالنسبة لقواعد اللغة الانجليزية  
(فاعل + فعل + مفعول به) ولكنهما تختلفان في البنية العميقة حيث يمكن لجون إما أن  
يكون فاعلا أو مفعولا به ولكن الناطق قام بالترتيب والتعديل وفقا للدلالة التي يبتغيها هو  
كما صرّح الجرجاني سابقا، و الأمر نفسه مع الجمل التالية:

1- You close the door ( أنت تغلق الباب )

2- The door is closed by you ( الباب مغلق بواسطتك )

3- Close the door ( أغلق الباب )

فالجمل الأولى جملة خبرية (active form) والثانية مبنية للمجهول (passive)

form ) والثالثة أمر (imparative) ، وهذه الجمل قريبة جدا وذات صلة وثيقة حتى  
تكاد تكون متطابقة وذلك يرجع لكونها تشتمل على مصدر تجريدي واحد وهو البنية العميقة  
أين تجتمع عناصر التنظيم المجردة.

>> وما دامت البنية العميقة في السلسلة التحتية الحاملة للمعنى، وما دام المعنى

موجودا عند كل المخلوقات البشرية على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية أو قدراتهم العقلية

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 101.

فإنّ هذا الأمر يؤكد بقوة على أنّ التمثيل الذهني المجرد (أي . ب . ع ) (\*) هو ظاهرة مشتركة بين جميع البشر عامة في جميع اللغات الإنسانية لكونه انعكاسا مباشرا للتفكير. ولذلك فهو عالمي...

إنّ القول بعالمية البنية العميقة واشتراكها هو الذي ساعد على تطوير النحو (ت.ت) (\*\*) وذلك من خلال توجيه الاهتمام نحو وضع ودراسة أسس نحو عالمي (Une grammaire universelle) تكون قواعده اللغوية واحدة وثابتة لا تتغير بتغيير اللغات << (1)

## ج - الملكة اللغوية

لقد أولى تشومسكي الملكة اللغوية اهتماما كبيرا ، حيث سعى لمعالجة طبيعتها و أصلها في معظم كتاباته في مجال اللسانيات، إذ لا نكاد نتصفح أحد كتبه اللغوية إلا و صادفنا مصطلح " الملكة اللغوية " الذي يقصد به الحالة الأولية للغة الإنسانية المستقرة بيولوجيا في أذهان البشر منذ ولادتهم قبل أن تتفاعل تلك الملكة مع التجربة الحسية التي يقدمها المجتمع للبشر.

إلا أننا نجد أن ابن خلدون عالج مصطلح " الملكة اللسانية " في كتابه " ديوان العبر... " المعروف بـ " المقدمة " ليعبر به عن معانٍ تكاد تقترب كثيرا من المعاني المتعلقة بموضوع الملكة اللغوية عند تشومسكي.

يُميّز ابن خلدون بين الملكة اللغوية و صناعة العربية ، إذ يقول في فصل " في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية و مستغنية عنها في التعليم " : >> و السبب في ذلك : أنّ صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة و مقاييسها خاصة. فهو علم بكيفية لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة ، و إنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما، و لا يحكمها عملا. مثل أن يقول بصير بالخياطة غير محكم لملكته في التعبير عن

(\*) ( ب . ع ) تعني : البنية العميقة .

(\*\*) النحو ( ت . ت ) تعني : النحو التوليدي و التحويلي

(1) شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 54- 55

بعض أنواعها: الخياطة هي أن يدخل الخيط في خرت الإبرة، ثم يغرزها في لفقي الثوب مجتمعين، و يخرجها من الجانب الآخر بمقدار كذا ، ثم يردها إلى حيث ابتدأت، و يخرجها قدام منفذها الأول . بمطرح ما بين الثقبين الأولين، ثم يتمادى على ذلك إلى آخر العمل، و يعطي صورة الحبك و التنبيت و التفتيح وسائر أنواع الخياطة و أعمالها، وهو إذا طُوبَ أن يعمل ذلك بيده لم يحكم منه شيئاً...و هكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة نفسها. فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل ، و ليس هو نفس العمل.>> (1)

>> فالملكة اللسانية حقيقة لغوية غير صناعة العربية بل أكثر من ذلك، ليست صناعة العربية واجبة لتوفر الملكة اللسانية. إنما الملكة اللسانية تستقيم بصورة مستقلة عن صناعة العربية . ومع ذلك لا يغفل ابن خلدون عن الإشارة إلى العلاقة القائمة بين الملكة اللسانية و بين صناعة العربية >> (2)، حيث أكد قائلاً أن صناعة العربية هي معرفة قوانين هذه الملكة و مقاييسها خاصة.

صناعة العربية هي معرفة بقوانين الملكة اللسانية، و لذا فهي تشتغل عليها و تبحثها و تدرسها و تستنبط قوانينها. و ذلك من خلال تتبع الكلام الذي يصدر عن الناطقين بهذه الملكة.

يشترط ابن خلدون >> تمكن الملكة للناطق " بتكرار الأفعال " ، بصور ارتقاء هذا التكرار من الصفة إلى الحال إلى الملكة ، لأن الفعل يقع أولاً و تعود منه للذات صفة، ثم تُكرر ، فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة ، أي أنها صفة راسخة. >> (3)

يقترّب مفهوم ابن خلدون للملكة اللسانية من مفهوم تشومسكي للمعرفة اللغوية أكثر من قربه من مفهومه للملكة اللغوية. حيث أن الملكة اللسانية عند ابن خلدون تتشابه

(1) ابن خلدون ( عبد الرحمن) المقدمة ، تح: عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار يعرب ، 2004، ج2 ، ص385.  
(2) ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون ( دراسة ألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، 1986، بيروت، ص 23  
(3) محمد عيد ، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب، 1979، القاهرة، ص 25

معانيها و تمييز تشومسكي القديم بين الكفاية اللغوية و الأداء الكلامي ، >> فالكفاية اللغوية (... ) ، حقيقة عقلية تقود عملية الأداء الكلامي. هي المعرفة الضمنية بالقواعد التي تنتج الجمل؛ في حين أن الأداء الكلامي هو الاستعمال الأنّي لهذه المعرفة الضمنية بالقواعد ، في عملية التكلم . فالأداء الكلامي يتم عبر اعتماد قواعد الكفاية اللغوية . و لقد اقترب ابن خلدون ، في نظريته إلى الملكة اللسانية ، من مفهوم الكفاية اللغوية. فالملكة اللسانية ، في نظره، هي ، في نهاية المطاف ، المقدرة على صناعة العربية. إذ يكفي اللجوء إلى قوانينها لكي يصوغ العربي الكلام العربي الصحيح. كما أن الكفاية اللغوية ، في النظرية الألسنية ، هي المقدرة على تكلم اللغة و كتابتها. و الجدير بالذكر أنّ ابن خلدون يركز على صناعة العربية أو كتابتها في حين أنّ النظرية التوليدية تركز، بالذات، على الأداء الكلامي بصورة عامة. << (1)

و لذلك إنه لمثير للدهشة حقا أن نجد هذا التحليل الحاذق عند ابن خلدون ، ذلك أنّه >> في تصوره " الملكة اللسانية " ، قد سبق – بحق – فهم اللغويين المحدثين لها من حيث اعتمادها على الجملة لا المفردات ، ومن حيث تدرجها من الإفهام إلى الصحة إلى البلاغة ، ومن حيث حصول الملكة من العرف و العادة و المعاشية المستمرة للنطق في بيئة الفرد اللغوية. << (2)

و بالعودة لكلام ابن خلدون السابق نتفاجأ أكثر بأنه لم يميز بين صناعة العربية و بين الملكة اللسانية و حسب، بل إنه قد ميز بين الملكة و قوانين اللغة أيضا و ذلك بقوله : >> و هكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة نفسها. فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل ، و ليس هو نفس العمل. << (3)

(1) ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص 24

(2) محمد عيد ، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، ص 27

(3) ابن خلدون ، المقدمة، ج2 ، ص 385

الملكة اللسانية ليست هي قواعد النحو كما أنها ليست صناعة النحو ، إنما هي

<< المعرفة بقوانين الإعراب و ليست قوانين الإعراب ذاتها. >> (1)

كما تتيح المعرفة اللغوية – عند تشومسكي – للمتكلم بلغة معينة إنتاج الكلام و تفهمه  
فإن الملكة اللسانية – عند ابن خلدون – تتيح للمتكلمين استعمال اللغة و إنتاج الجمل استنادا  
إلى ما تنطوي عليه من قوانين و قواعد و معجم لغوي و أساليب الكلام.

إن متكلم لغة معينة ( العربية أو الإنجليزية أو أية لغة أخرى ) << لا يمكنه أن يتكلم  
اللغة التي هي تنظيم من الرموز قائم على قواعد و تركيب و دلالات و أصوات لغوية ما لم  
يكن مُلمًا بهذه القواعد. و لا يعني ذلك أنه ملم بصورة مباشرة بهذه القواعد. فهذه القواعد قد  
اكتسبها خلال نموه اللغوي الطبيعي و في مراحل اكتسابه اللغة. فالباحث الألسني يحاول  
استقراء القواعد اللغوية التي تتيح لمكلم اللغة إنتاج جمل لغته و التي هي قائمة، بصورة  
ضمنية . >> (2)

## د - تأثير تشومسكي بالنحو العربي

كثيرة هي المسائل التي عالجها تشومسكي و التي ينظر إليها بعض علماء اللغة  
العرب المحدثين – أمثال خليل أحمد عميرة - على أنها من بنات التفكير اللغوي عند  
الباحثين العرب القدماء ، كبناء تشومسكي نظريته التوليدية << على ركن خفي لم يبرز  
ذكره كثيرا مع أنه يمثل حجر الأساس فيها و هو الاعتماد على أصل و فرع في الجمل،  
فالأصل فكرة و الفرع كيفية إخراج هذه الفكرة و الأصل بنية عميقة، فرعها البنية السطحية  
كيفما تكون، و في الجملة التي تحمل البنية السطحية كلمات أصل ، و أخرى فروع  
يرمزون للأولى بكلمة unmarked word و للثانية marked words و الأولى عندهم  
وثيقة الصلة بالبنية الأصل ( البنية العميقة Deep Structure ) و الثانية لها صلتها  
الوثيقة بالبنية الفرع ( البنية السطحية Surface Structure ) فالجملة ، مثلا:

(1) ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص 24

(2) المرجع نفسه ، ص 25-26



، teachers كلمات فيها the teachers approved these things

things ،these،approved كلمات من الصنف الثاني marked word وهي متصلة بفرع في الجملة هو الهيئة التي ظهرت عليها الجملة مُحَوَّلة عن أصل ذهني مجرد يلحظ في الذهن و لا يمس و لا يجسد بالكلمات في هذه الجملة أو قبلها كلمات تشير إلى المؤنث ، فهو انتقال من أصل ذهني مجرد إلى فرع منطوق مجسد. << (1)

و مسألة الفرع و الأصل هذه راسخة بجذورها العميقة في الفكر اللغوي القديم، فها هو سيبويه يؤكد مسألة الفرع و الأصل بين المؤنث و المذكر، فيقول: << و إنما كان المؤنث بهذه المنزلة و لم يكن كالمذكر لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، و الشيء يُذَكَّر، فالتذكير أول ، و هو أشد تمكنا ، كما أن النكرة هي أشد تمكنا من المعرفة ، لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تُعرَّف ، فالتذكير قبل ، وهو أشد تمكنا عندهم. فالأول أشد تمكنا عندهم. << (2)

<< و إذا ما انتقلنا من كتاب سيبويه إلى غيره من كتب التراث فإننا نجد هذا البند يعد من أهم البنود التي قامت عليها كتب الأصول في النحو و في ضوءه تمّ بناء النظرية النحوية فيها، ومثالها كتاب ابن السراج (الأصول) و كتاب ( الكواكب الدرية في تنزيل الفروع النحوية على الأصول الفقهية) للأسنوي، وكتب الخلاف، مثل: كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين الكوفيين و البصريين للأنباري، وكتاب : مسائل خلافية للعكبري و اللمع و الاقتراح و غيرها. << (3)

و تكمن المسألة الثانية التي أثارها تشومسكي و نجد لها وجودا بيّنا في التراث النحوي العربي مسألة تجريد القاعدة النحوية و ارتباطها بالكلام المنطوق بواسطة ما يسميه النحاة بـ

(1) خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق اللغوي ( بحوث في التفكير النحوي و التحليل اللغوي ) ، وائل للنشر و التوزيع ، ط1، 2004 ، عمّان، ص 255

(2) سيبويه ( أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب ( كتاب سيبويه) ، تج: عبد السلام محمد هارون، مكتبة

الخانجي، ج3، 1992، القاهرة، ص 241

(3) خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير و التطبيق اللغوي ، ص 256

" العامل " (1) ، حيث اهتدى النحاة إلى أن كل كلمة داخل تركيب معين لديها وظيفة إعرابية معينة تستلزم وظيفة دلالية و تترك أثرا في غيرها من الكلمات التي تجاورها ، و لذا وضعوا العامل اللفظي و العامل المعنوي، و في ذلك يقول ابن جني >> و إنما قال النحويون: عامل لفظي ، و عامل معنوي، ليروك أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه، كمررت بزيد، وليت عمراً قائم، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به، كرفع المبتدأ بالابتداء. يرفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر، و عليه صفحة القول ، و محصول الحديث، فالعمل من الرفع و النصب و الجر و الجزم إنما هو للمتكلم نفسه، لا لشيء غيره. و إنما قالوا: لفظي و معنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ ، أو باشتغال المعنى على اللفظ. وهذا واضح . << (2)

إنّ هذا ما نجده عند تشومسكي في " نظرية الثيتا " أو نظرية الأدوار المحورية و خاصة عند تحليله لوظيفة الكلمات داخل التركيب و تأثير بعضها في بعض من خلال ما يسميه بالوسم المحوري. (\*)

و ما أقره تشومسكي من مبادئ " لنظرية الثيتا " من كون معيار " الثيتا " ينص على أن لكل عنصر معجمي دوراً محورياً واحداً أو دوراً واحداً من أدوار الثيتا ، و كل دور محوري يجب أن يُنسب إلى مشارك واحد هو ذاته ما أقره النحاة القدماء في باب التنازع من أنّه لا يجتمع عاملان على معمول واحد، كما أنه لكل عامل معمول.

لكنّ ما يهمننا في هذا المقام هو تلك البنية القواعدية التجريدية التي تؤدي إلى انتظام الجمل أو التراكيب ضمن قوالب نحوية ذهنية مجردة لا تظهر أثناء الكلام و لكنها هي التي تنظمه و تضبطه بعناية فائقة، و هذه القوالب النحوية لا يتذكرها الإنسان و لا يستحضرها إلا إذا دُكر بذلك أو طلب منه تفسير و تعليل ما يقوله، كأن يقول : بلّغ محمد الرسالة، برفع محمد و نصب الرسالة، و إذا طُوب النحوي مثلاً تعليل سبب الرفع و النصب و جب

(1) ينظر : المرجع السابق، ص 258

(2) ابن جني، الخصائص، ج1، ص 109- 110

(\*) ينظر الفصل الخامس: مبادئ و وسائل النحو الكلي، المبادئ العامة للنحو الكلي ( نظرية الثيتا )، ص 241

توضيح ذلك بأنّ الأول فاعل و الثاني مفعول به (1) و بأنّ العرب رفعتُ الفاعل و نصبتُ المفعول به على السليقة.

و لعل من الأفكار التي طرحها تشومسكي التي تعمل إما على مستوى البيئة العميقة أو البنية السطحية المستحدثة فكرة الترتيب و التقديم و التأخير ، و تراثنا النحوي غني بمباحث الرتبة و التقديم و التأخير و قد أكد العلماء العرب القدامى >> على ما للتقديم و التأخير من أثر في المعنى ... ، و كان عمدتهم في بيان سبب التقديم قولهم ( قُدِّم للعناية به ، و لأن ذكره أهم )، إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني الذي يعود له الفضل الأكبر في اكتشاف أسرار التقديم و التأخير. (\*) << (2)

وقد انقسم الباحثون العرب المحدثون بشأن تأثر تشومسكي بالنحو العربي إلى فريقين ، فريق يرى أن الرجل نهل من مشارب النحو العربي ما ساهم بشكل كبير في بناء دعائم نظرياته ، و من هؤلاء خليل أحمد عمارة ، نهاد الموسى و الراجحي و جاسم علي جاسم ، و يحتج هؤلاء على رأيهم بأنّ تشومسكي عالم لغوي ذو أصول يهودية، و بأنّ أباه كان عالماً لغوياً كذلك؛ وله اطلاع على اللغات السامية كالعربية والعبرية وغيرهما.

كما أن تشومسكي كتب رسالته للماجستير عن الصيغ الصرفية في العبرية. والأكثر أهمية من ذلك، أن اللغويين اليهود في الأندلس قد قاموا بكتابة قواعد لغتهم نحويًا وصرفيًا على طريقة النحو العربي. فكان النحو العبري صورة مطابقة عن النحو العربي؛ حيث صيغ على هيئة النحو العربي. ومن ثم تُرجم إلى اللغة العبرية واللغات الأوروبية على أيدي علماء اللغة اليهود في العصر الأندلسي. وكانت اللغة العربية وعلومها من نحو وصرف و بلاغة وغيرها تُدرّس بشكل رسمي ومعتمد في جامعة باريس في القرن الرابع عشر. وتسربت هذه المعلومات إلى المدرسة الفرنسية في القرن السابع عشر التي كانت تسمى

(1) ينظر : خليل أحمد عمارة، المسافة بين التنظير و التطبيق اللغوي ، ص 259  
(\*) لمزيد من الإطلاع و التعمق في هذا المجال يرجى العودة إلى كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني، و الخصائص لابن جني.

(2) لطفي عمر بن الشيخ أبو بكر، أثر التقديم و التأخير في المعنى عند النحويين، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد الثاني، المجلد السابع، مارس 2014م ، ص 49

بالباب العالي (Port -Royal) وعلم اللغة المنطقي الديكارتي (Cartesian

(Linguistics...)؛ واستفادت هذه المدرسة الفرنسية من النحو العربي ومدارسه والتي تأثر بها تشومسكي كما يعترف بنفسه بذلك ، فنجد في النحو العبري ظاهرة التقديم والتأخير والتأويل والحذف والزيادة وغير ذلك من الظواهر النحوية العربية. وهذه الظواهر اللغوية معروفة لدى تشومسكي وطبقها على اللغة الإنجليزية. (1)

وهناك الفريق الذي لا يُسلّم بفكرة تأثر تشومسكي بالنحو العربي ، بل يرى أنّ جلّ نظرياته غريبة الميلاد و المنشأ لأنه لم يسبق له الإطلاع على تراثنا اللغوي و النحوي ، و حتى إن اطلع على نماذج محدودة من النحو العربي فإن هذا الاطلاع لا يعدو كونه قراءات سطحية عابرة بعيدة كل البعد عن الدراسات الجادة المتعمقة و لذا يستحيل أن تترك أثرا عميقا في فكر تشومسكي اللغوي. و من هؤلاء : مازن الوعر، حمزة بن قبلان المزيني، و أحمد المتوكل و غيرهم.

وسواء إن تأثر تشومسكي بالنحو العربي أم لا رغم أنه كثيرا ما يردد أنه لم يطلع سوى على الأجرومية أيام كان طالبا في جامعة بنسلفانيا يدرس التراث العربي و العبري النحوي (2) ، وسواء أتنفق الباحثون العرب على تأثر تشومسكي بالدراسات اللغوية العربية أم لا ، فإن الذي لا شك فيه هو أن علماء العربية القدماء قد أثاروا العديد من القضايا اللغوية التي تعد من صميم الفكر اللغوي عند تشومسكي و التي يراها بعض العرب و رواد الفكر اللغوي الغربي الحديث كشفا له .

(1) ينظر: جاسم علي جاسم ، تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي، مجلة جمعية اللسان العربي الدولية، العدد

السابع ، 2009م ، نشر إلكتروني من: ( <http://www.allesan.org> )

(2) ينظر : جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية ، ط1، 1985، الإسكندرية،

## ثالثا : تشومسكي والدرس اللغوي العربي الحديث

عندما طرح تشومسكي نظرية ( النحو الكلي) المنبثقة عن النظرية التوليدية التحويلية انشغل بها العالم أجمع، فوافقه فريق ورفض آراءه فريق آخر في العالم الغربي والعربي على السواء.

وقد سلك الدارسون العرب في شأنه مسلكين أيضا ، بعضهم اتبع اتجاهها يتبنى آراءه وأفكاره وحمل على عاتقه تطبيق نظرياته على اللغة العربية وراح الطلاب والدارسون في الوطن العربي يُعدّون بحوثا و أطروحات أكاديمية ودراسات علمية تستند إلى أسس ومبادئ تلك النظريات.

و من هؤلاء نجد الباحث مازن الوعر ، و ربما لا يخفى على باحث في علم اللغة في الوطن العربي مكانة مازن الوعر و ضخامة جهوده في مجال اللسانيات العربية ، إنّ الرجل يكاد يكون قطبا عظيما من أقطاب هذه الأمة التي خلفت بصمة غائرة في الدرس اللغوي العربي الحديث.

إن تأثر الوعر بالفكر اللساني الغربي الحديث كان عميقا ، وخاصة بالنحو التوليدي التحويلي ، و قد رام تطبيق مبادئ هذا النحو على اللغة العربية فجاءت أبحاثه عملا بقوانين النظرية التوليدية التحويلية خاصة المتعلقة منها بهذه المواضيع : القضايا الأساسية في اللسانيات الحديثة ، وجملة الشرط عند النحاة و الأصوليين العرب في ضوء النحو الكلي ، ساعيا لإيجاد نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية . (1)

---

(1) ينظر : عامر بن شتوح ، الجهود اللسانية عند مازن الوعر ، أطروحة دكتوراه في اللغة و الأدب العربي ، تخصص، علوم اللسان العربي و المناهج الحديثة ، السنة الجامعية 2013. 2014 م ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، ص 22 ، و ينظر : قبايلي عبد الغاني ، آراء مازن الوعر اللغوية، و قضايا جملة الشرط بين النحاة و الأصوليين و نظرية النحو العالمي لتشومسكي، مجلة الممارسة اللغوية ، العدد الخامس، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011 ، ص

حتى أننا نلمس تأثيره الواضح بآراء تشومسكي في بعض أقواله ، انظر إلى قوله في إحدى لقاءاته في مجلة " اللسانيات " : >> لا بد من أجل دراسة اللغة من هذا المنظور ( الحاسوب ) أن نستعين بالأدوات العلمية الموجودة في العلوم الطبيعية لكي تصبح جزءا لا يتجزأ من المنهج العلمي لدراسة اللغة ، و من هذه الأدوات على سبيل المثال : الرياضيات ، و الهندسة الإلكترونية ، و المعلوماتية ، و هندسة الحاسوب . فلكي ندخل اللغة في الحاسوب لابد من دراستها رياضيا ، و هندسيا و معلوماتيا ، هذا يعني أن ندرس اللغة العربية و نستخرج قواعدها استخراجا علميا دقيقا على المستوى الصوتي و النحوي ، و الدلالي ، و المعجمي ، من أجل أن نضع هذه القواعد في أطر رياضية تتناسب و هندسة الحاسوب من أجل أن يأخذها المعلوماتي ( المبرمج ) ، و يبرمجها في الحاسوب . << (1)

و فكرة الاستعانة بالعلوم الطبيعية و الرياضية لدراسة اللغة لطالما دعا إليها تشومسكي و أصر عليها في كتاباته.

و لا يكفي الوعر بهذا ، بل نجده يفتني أثر تشومسكي خطوة خطوة ، و يعد هو الآخر اللغة سمة بيولوجية ، أو هي عضو كبقية الأعضاء البيولوجية التي تحددها الوراثة كلون العينين و استقامة القامة و الطول و الشعر و شكل الأنف و الفم.. إلخ، إذ يقول في هذا الصدد : >> اللسانيات تطرح اليوم إشكالية صعبة تتمثل في هذا السؤال: هل اللغة عضو بيولوجي كبقية الأعضاء الموجودة عند الإنسان ينمو و يتطور عبر الزمن كما يتطور الجهاز البيولوجي؟ أم أنها شيء خارجي عن الإنسان يتلقفه الطفل تلقفا من المجتمع؟ هذه إشكالية عويصة حيرت الباحثين ، و لكن أغلبهم توصل بعد إقامة تجارب علمية كثيرة إلى أن اللغة عضو بيولوجي يُخلق مع الطفل و ينمو و يتطور تطورا طبيعيا << (2).

(1) حوار مع الدكتور مازن الوعر ( اللسانيات و الشعر )، حاوره خالد الأنشاصي، اللسانيات ( مجلة في علوم اللسان و تكنولوجيااته )، مركز البحث العلمي و التقني لتطوير اللغة العربية ، جامعة الجزائر، العددان 12-13، 2007، ص 113

(2) المرجع نفسه، ص 114

يقر الوعر بأراء تشومسكي التي يرفضها كبار الباحثين في اللسانيات أمثال الفرنسي أندريه مارتنيه، و الروسي رومان جاكبسون و كبار علماء النفس كجان بياجيه (\*)، متجاهلا أن الأعضاء البيولوجية تنمو و تتطور من تلقاء نفسها و هي ليست بحاجة للمجتمع البتة، في حين أن (عضو اللغة) هذا يبدو عديم الفائدة إذا عُزل عن المجتمع . و لعل الوعر يقصد " بالتجارب العلمية " هنا : تلك التجارب العصبية التي أجريت على المرضى الذين تعرضوا لصدمات أو ضربات عنيفة على الرأس أدت إلى إتلاف خلايا في أدمغتهم ؛ تلك الخلايا المسؤولة عن اللغة و الكلام.

إنّ وجود خلايا دماغية و مراكز ذهنية عند الإنسان مسؤولة عن اللغة لا يثبت أن اللغة عضو بيولوجي ، فالعضو البيولوجي ينمو و يتطور من تلقاء نفسه دون جهد يذكر ، بينما اللغة تحتاج لعوامل كثيرة لتظهر عند الطفل في سنّه الثانية و أول هذه العوامل هي البيئة اللغوية أو المجتمع.

---

(\*) إنّ مارتنيه لا يعد تشومسكي لسانيا البتة ، إذ يقول: >> ... هذه النظرية الفطرية للوقائع، التي عُرضت منذ أواخر الخمسينيات من قبل أشخاص قدموا أنفسهم على أنهم لسانيون ، أغوت بضعة علماء نفسيين لم يشكوا بكفاءة أولئك الذين عرضوها . ومع ذلك ، فإن هذه النظرية المرفوضة عموما تُتابع اليوم من قبل أولئك الذي يفضلون المعايينة على التأمّلات العشوائية، و التأثير في الفكر المعاصر ، و التحذير منها على الأرجح ليس مضرًا . و ضمن نفس الذهنية القائمة على التعميم المفرط ، أصبح الاستماع ممكنا لأشخاص ينعمون بجمهور ما، و ينادون بأن الولد يتكلم منذ ولادته. و انطلاقا ممّا يُقدم، هل نقبل القول إن الولد يتواصل مبكرا جدا مع محيطه؟؟ و لكن الخلط بين " التكلم " و " التواصل "، هو استسلام للغموض. << - أندريه مارتنيه، وظيفة الألسن و ديناميتها، تر: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة ( مركز دراسات الوحدة العربية)، ط1، 2009، بيروت، ص 183. أما جاكبسون فإنه ينتقد نظريته قائلا أنّ >> التجارب التي حاولت بناء نموذج للكلام دون علاقة مع المتكلم أو المستمع، و التي قننت نظاما منفصلا عن التواصل الفعلي، أو شكت أن تحوّل عملية التواصل إلى وهم متجمد .<<

- Roman Jakobson, Essai de linguistique général. Tome1, les fondations du langage, Traduit et préface par Nicolas Rawet et les éditions de Minuit, 1963, p .83

- أما فيما يتعلق برأي بياجيه فينظر المناظرة التي جرت بينهما الواردة في الفصل الثالث، ص 170

و لا نكاد نغادر مازن الوعر حتى نلتقي بالعديد من المؤلفات و الأعمال التي تسعى  
جاهدة لتطبيق نظريات تشومسكي على اللغة العربية ، و على سبيل المثال لا الحصر  
مؤلف محمد علي الخولي : ( قواعد تحويلية للغة العربية )<sup>(1)</sup>.

و ما قام به حسام البهنساوي في أطروحته التي كانت حول التراكيب والدلالة في  
لهجات الدقهلية<sup>(\*)</sup> على أسس المنهج التوليدي التحويلي يظهر حرص اللغويين العرب  
المحدثين على مواكبة تطورات هذه النظريات الغربية و تطبيقها على لغتنا العربية، و قد  
قام بعد ذلك بدراسة تطبيقية تحليلية في ديوان حاتم الطائي استنادا إلى القواعد التحويلية و  
ذلك سنة 1993م ، بهدف تحويل التراكيب النحوية من البنية العميقة إلى البنية  
السطحية ، و زاد اهتمامه بتطبيق نظريات تشومسكي على تراكيب اللغة العربية فألف  
كتاب << نظرية النحو الكلي و التراكيب اللغوية العربية >> ساعيا للتحقق من مدى  
توافق معطيات نظرية النحو الكلي مع التراكيب اللغوية العربية معتمدا في ذلك على مبادئ  
النظرية و متغيراتها parameters و قوانين النظرية النموذجية الموسعة التي تعد أحد  
أطوار بناء نظرية النحو الكلي.

و في المقابل هناك الفريق الآخر من اللغويين و الباحثين و الفلاسفة العرب الذين لم  
يكونوا من معتنقي آراء تشومسكي اللغوية ، فهذا الفيلسوف علي حرب ينتقده في كتابه  
"أصنام النظرية و أطيف الحرية - نقد بورديو و تشومسكي" ضمن مبحث بعنوان  
" تشومسكي و مأزقه الألسني من الناطق الفطري إلى الفاعل اللغوي" حيث استهل مبحثه  
ب طرح أسئلة عن اللغة إن كانت مكتسبة من المحيط أم أنها وراثية تنمو كالأذرع و الأسنان  
دون جهد للإنسان فيها.

ثمّ راح يعالج بحكمة تتم عن فهم عميق واطلاع واسع، متمعنا آراء تشومسكي التي  
تعد اللغة نسقا سوريا يدخل في التركيب البيولوجي العضوي لذهن الإنسان إذ هو جزء من

(1) محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح للنشر و التوزيع، 1999، الأردن.  
(\*) لهجات مصرية



النظام الإدراكي للعقل يطلق عليها تشومسكي اسم << الكليات النحوية >>، بعدها انتقد حرصه الشديد على حراسة أفكاره والدفاع عنها بدل أن يعمل على تطوير نظريته .<sup>(1)</sup>

يتمسك تشومسكي بشدة بآرائه حول فطرية اللغة عادا المجتمع والمحيط حافظا لاشتغال النظام اللغوي الوراثي المثبت مسبقا في أذهان البشر جينيا، وهذا ما أدى به إلى الانخراط في مواجهات مع الذين << اعترضوا على نظريته من المناطقة وفلاسفة اللغة وعلماء أصول المعرفة كويلارد كواين وجوناثان كوهن وجان بياجيه وأندريه مارتنيه . >><sup>(2)</sup>

إنّ أكبر هفوات تشومسكي حسب رأي "علي حرب" هو اتخاذ من العلوم الرياضية والحسابية والمستجدات المعرفية لبعض العلوم كعلم النفس اللغوي وعلم الوراثة وعلم الأعصاب دعامة لبناء نظريته اللغوية، فهو << قد فسّر التوليد تفسيراً رياضياً بوصفه مجرد تعداد إحصائي أو إجراء حسابي مجردا بذلك اللغة من نبضها الحي وكثافتها التعبيرية وشحناتها الرمزية، بعد تحويلها إلى نسق صوري هو عبارة عن مجموعة من المبادئ العامة والقواعد المجردة . ومن هنا ازدراؤه لما تنطوي عليه اللغة من التقنيات الأسلوبية و الأبعاد البيانية أو الجمالية، كما روت عنه الكاتبة و المحللة النفسية جوليا كريستيفا . >><sup>(3)</sup>

فالتعبير الجمالية البيانية ليست من اهتمامات نظريته التي حصرها في نموذج لغوي مثالي يصدر عن (ناطق مثالي ومستمع مثالي) قد لا يكون لهما وجود فعلي، كما أنه بنى نظريته على أسس غيبية تجريدية لم يتمكن علم الوراثة وطب الأعصاب الحديث من إثبات صحتها مثل ما يدعيه عن فكرة الحالة الأولية an initial state التي تسبق التجربة الحسية التي يقدمها المجتمع للطفل .

<sup>(1)</sup> ينظر : علي حرب، أصنام النظرية و أطياف الحرية ، نقد بورديو و تشومسكي، المركز الثقافي العربي، ص 71 -

74

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص74

<sup>(3)</sup> المرجع نفسه، ص 75

إنّ تركيز تشومسكي على فكرة الفطرية اللغوية أدى به إلى >> التراجع للوراء ،  
للتعاطي مع نظريته التوليدية بعقلية غيبية لاهوتية أو ناسوتية(\*) ، متكئا بذلك على مقولة  
الطبيعة البشرية الهرمة التي تشكل الداء المزمن للفكر الفلسفي العلمي من أفلاطون حتى  
تشومسكي وتلامذته من الغربيين والعرب . ذلك أن البحث عن الجوهرية والأصلي والكلي  
والمثالي فضلا عن المسبق والثابت والواحد، يصدر عن شبكة من الأوهام والتهويمات  
الإيديولوجية لم تنتج سوى المأزق والمفارقات . << (1)

ومن هنا لا يمكن عد اللغة منطقا سوريا نقلت فيه الرموز الدلالية بشحناتها المجازية ،  
وهي ليست بريئة و لا حيادية إذ غالبا ما تصطبغ بفكر صاحبها واتجاهاته و معتقداته  
وانفعالاته أيضا أثناء الحدث الكلامي.

و لعل أكثر باحث عربي تصدى لنظرية تشومسكي هو الباحث المغربي محمد  
الأوراغي الذي حمل على عاتقه لواء نقد آراء تشومسكي اللغوية وتفنيدها في عدة مؤلفات  
متخصصة ، خاصة تلك الآراء التي تتعلق بفطرية اللغة فألف كتابه الوسائط اللغوية (أقول  
اللسانيات الكلية ) وتجرد لمجابهة مزاعم تشومسكي بالحجة العلمية مستندا إلى آراء منتقديه  
من الفلاسفة الغربيين والعلماء والمشتغلين بدراسة اللغة الإنسانية في شتى المجالات  
والتخصصات وكان غرضه من ذلك هو التصدي لنظرية تشومسكي وتبيان جوانب ضعفها  
حتى يقيم بديلا لغويا لها .

و انطلق الأوراغي من النقطة التي جعل منها تشومسكي دراسة اللغة المجسدة هدفا  
للوصول إلى أمور غيبية كالكشف عن بنية الدماغ البشري ، ولذلك فالأوراغي يهدف إلى  
إقامة نظرية لسانية ( اللسانيات النسبية ) في مواجهة (اللسانيات الكلية )، نظرية تعيد اللغة  
إلى حظيرة اللسانيات.

(\*) " ناسوتية : من الناسوت وتعني الطبيعة البشرية ، و يقابله اللاهوت بمعنى الألوهية " ، قاموس المعاني من :  
<http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar> ، و لعل مقصود الكاتب هنا هو بناء تشومسكي لنظريته على  
فكرة خرافية كفكرة ناسوتية المسيح عليه السلام و لاهوتيته أي كونه إنسانا و إلها في الوقت نفسه .

(1) علي حرب ، أصنام النظرية و أطيفاف الحرية ، نقد بورديو و تشومسكي، ص 77- 78. و ينظر : علي حرب ،  
الماهية و العلاقة نحو منطلق تحويلي، دار الفكر العربي، ط1، 1998، الدار البيضاء ( المغرب) ، بيروت ( لبنان)، ص  
105 إلى 128

>> ويمكن تعميق نقد النظرية بالتركيز على مادة بعينها أو أكثر لتدقيق فحصها .  
وتأتي في المقدمة فرضية العمل الطبيعية (\*) الذاهبة إلى أن الملكة اللغوية بنية عضو ذهني،  
لها مورثات كما للون البشرة أو العينين مورثات، بهذه الفرضية المناسبة للهدف الخارجي  
المذكور صارت نظرية تشومسكي اللسانية تقاسم الإحيائية الموضوع والهدف، وتختلف  
عنها في الوسيلة لا غير.

يلزم عن تداخل الحقول السعي إلى معرفة رأي الإحيائي في تصور اللساني لموضوع  
يدخل في اختصاص الأول . وفي نفس الاتجاه يمكن التركيز على الكيفية التي يكتشف بها  
تشومسكي كلياته اللسانية وعلى طريقة استدلالية على كليتهما <<. (1)

أما النقطة الثانية التي يعيبها الأوراعي على نظرية النحو الكلي هي لجوء صاحبها  
بسبب كثرة الطاعنين فيها إلى أجندة اصطلاحية تغطي على العيوب والنقائص ومن هذه  
المصطلحات، مصطلح البارامترات التي تشتغل على المتغيرات الموجودة في اللغات  
الإنسانية وبذلك تكون النظرية قد تحصنت من الانهيار. (2)

إنّ تأثر تشومسكي بالإرث الفلسفي الغربي الذي يعدّ اللغة مرآة عاكسة لظواهر الكون  
المادية (3) هو ما جعله يوظف أفكار هذا الإرث في نظريته التحويلية وقد صرّح تشومسكي  
نفسه عن هدفه من وراء دراسة اللغة معتبرا إياها "مرآة للعقل" البشري (4).

أي أنه باعتمادنا على اللغة الملفوظة بوسعنا أن نصف وندرس الدماغ البشري وهذا  
زعم واقتراض مجحف في حق اللغة؛ إذ أنه قد يُحملها ما لا تطبق ثم إنه ليس واجبا على  
اللغة التي هي في الأصل عبارة عن أصوات، هذه الأصوات تنتظم في شكل مفردات  
تصب في قوالب نحوية أن تعكس البنية الداخلية للذهن البشري .

(\*) الطبيعية: يقصد بها عدّ اللغة تطبيع بمعنى غريزة تولد مع الإنسان.

(1) محمد الأوراعي، الوسائط اللغوية ( أقول اللسانيات الكلية )، دار الأمان ، الرباط، ط1، 2001، ص 28

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 28

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 68

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص 70. و ينظر: محمد الأوراعي ، نظرية اللسانيات النسبية و دواعي النشأة ، الدار العربية  
للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ، دار الأمان، ( بيروت ) ، ( الجزائر )، ( الرباط )، ط1 ، 2010 ، ص 142-

لقد بدأت رحلة النحو الكلي مع تشومسكي مع نظريته التوليدية التحويلية، حيث أنه أثناء عرضه لهذه النظرية من خلال كتاب Aspect of The Theory of Syntax ، نادى بفكرة فطرية اللغة عادا الملكة اللغوية عضوا ذهنيا أما الأوراغي و غيره من نقاد تشومسكي فإنهم يرون الملكة اللغوية تحل بذهن الإنسان عن طريق الاكتساب.

أخذ تشومسكي من خلال دراسته للإنجليزية يردد << فرضيته القائلة ، إن ما يصح في الإنجليزية يحتمل أن يكون كليا يستغرق جميع اللغات البشرية، أو أن يكون تحقيقات خاصة لمبادئ كلية أشد تجريدا لم تنكشف بعد. لأنه يعتقد استنادا إلى فرضية العمل الطبيعية أنه بالإمكان الوصول من خلال دراسة عميقة للغة المعينة، إلى اكتشاف المبادئ العامة المنتمية إلى الملكة اللغوية بوصفها جهازا تزود به " الإنسان الأول " ثم صارت تتناقل في خلفه الوراثة . إذ هي إلهام مشترك بين الناس .>> (1)

ولكن ، لو كانت اللغة تتناقل - حقا- من خلال الوراثة و أنها تنمو مثلما تنمو الأظافر والأسنان والأذرع من تلقاء نفسها دون اكتساب أو تعلم ، فلماذا يعجز الإنسان إذا عُزل عن البيئة اللغوية التي من شأنها أن توفر المادة اللغوية من مفردات وقوالب وتراكيب نحوية عن استعمال تلك الملكة الأولية؟؟ ولماذا تصبح عديمة الجدوى في حين لا تتوقف الأذرع والأسنان والأظافر عن النمو أو عن أداء وظيفتها ؟

اللغة هي شيء مختلف تماما عن نمو الأظافر والأسنان ولا يجوز حتى تشبيهها بهذه الأعضاء، وعلى افتراض التسليم بوجود الملكة اللغوية السابقة للتجربة الاكتسابية إن جاز هذا التعبير، فإن هذه الملكة شيء مغاير تماما لا يمكن التمثيل له بنمو الأذرع و لون العينين ونوعية الشعر ولون البشرة وغيرها من المظاهر التي تلعب فيها الوراثة دورا بارزا ومهما . و قد قال تعالى في سورة النحل : { وَ اللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا

تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (2)

(1) محمد الأوراغي ، الوسائط اللغوية ( أفول اللسانيات ) ، ص 93- 94

(2) سورة النحل، الآية 78

حاول الأوراعي التصدي لكل هذه الآراء لبناء نظرية جديدة ضمن ما يسميه باللسانيات النسبية ليس فقط من أجل مجابهة اللسانيات الكلية التي تقودها نظرية النحو الكلي لتشومسكي، و إنما بدافع تجديد اللسانيات العربية إن كان هناك فعلا ما يسمى باللسانيات العربية التي يرى أنها تعاني الفشل الذريع <sup>(1)</sup> ولهذا ظهرت مدرسة لسانية جديدة في المغرب على أيدي باحثين مغاربة منطلقين من التراث النحوي العربي الأصيل إلى فسحة الإبداع . <sup>(2)</sup>

---

<sup>(1)</sup> ينظر : محمد الأوراعي ، نظرية اللسانيات النسبية و دواعي النشأة ، ص 22 - 54  
<sup>(2)</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 81 - 94. و ينظر: محمد الأوراعي ، اللسانيات النسبية و تعليم اللغة العربية ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط1، 2010، لبنان، الجزائر ، الرباط، مواطن متفرقة من الكتاب، و ينظر كذلك: الأوراعي ، الوسائط اللغوية، اللسانيات النسبية و الأنحاء النمطية، دار الأمان ، ط1 ، 2001، الرباط، مواطن متفرقة من الكتاب. حاول الأوراعي في هذه المؤلفات الأربعة أن يؤسس لسانيات نسبية تخالف اللسانيات الكلية و تكون بديلا عنها.

## الفصل الأول

- الأسس الإبستمولوجية لنظرية النحو الكلي

أولاً: الأسس الفلسفية العقلية

أ - أفلاطون

ب - ديكارت

ثانياً: الأسس اللغوية

أ - بور رويال

ب - همبولدت

ثالثاً: الأسس النفسية و استثمار النظريات الأحيائية  
البيولوجية

أ - علم النفس الإدراكي Psychology

Cognitive

ب - استثمار النظريات الأحيائية البيولوجية

## - تمهيد -

عندما يتعلق الأمر بفكر تشومكسي اللغوي فإنه يصعب فصل الجانب النفسي عن الجانب الفلسفي في دراسة اللغة، ويرى " جونز ليونز " بأن الفصل بينهما هو فصل تعسفي خاصة أن تشومكسي يرى أنّ علم النفس و الفلسفة و علم اللغة لا ينبغي أن يُنظر إليها على أنها علوم مستقلة ومنفصلة عن بعضها البعض.<sup>(1)</sup>

و مع ذلك أجدني مضطرة إلى الفصل بينها في هذا المقام ، و هو ليس فصل يقصي جانبا عن آخر بقدر ما هو فصل تستدعيه طبيعة البحث التي تدفعني دفعا للكشف عن الأصول التي استقى منها تشومسكي فكره في مجال دراسة اللغة الإنسانية، و التي كانت ثلاثة حقول معرفية متداخلة منذ القدم ( الفلسفة، علم النفس، علم اللغة ) ، ذلك أنّ دراسة اللغة كانت هاجس العلماء في هذه الحقول منذ الأزل.

---

<sup>(1)</sup> جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 233

## أولاً : الأسس الفلسفية العقلية ( أفلاطون وديكارت )

### أ- أفلاطون

إن تقصي الأسس المعرفية التي بنى عليها تشومسكي نظرية النحو الكلي يستوجب تقصي المنبع الذي استقى منه فكره اللغوي أجمع ، وقد كانت الفلسفة الغربية أول المناهل التي تشرب منها.

لقد بحث تشومسكي نفس الإشكالية - وهي إشكالية طبيعة المعرفة البشرية - التي أثارها قبل مئات القرون الفيلسوف الإغريقي أفلاطون وقبله سقراط ، وذلك من خلال إعادة تلك الإشكالية في عدة تساؤلات فلسفية يحاول معالجتها بمنطق العلم الحديث مستفهما :

1/ ما نظام المعرفة اللغوية ؟ أي : ما الذي يوجد في عقل / دماغ الذي يتكلم الإنجليزية أو اليابانية ؟

2/ كيف نشأ نظام المعرفة هذا في العقل / الدماغ؟

3/ كيف تستعمل هذه المعرفة في الكلام ( أو الأنظمة الثانوية مثل الكتابة )؟

4/ ما العمليات العضوية التي تكوّن الأساس المادي لنظام المعرفة هذا، و لاستعمال هذه المعرفة؟

و يَعدُّ تشومسكي السؤال الثاني ذا أهمية خاصة يسميه بـ " مشكلة أفلاطون" (1)، وهذه المشكلة قد صاغها الفيلسوف البريطاني برتراند راسل بقوله : >> كيف يمكن لأفراد النوع البشري أن يعرفوا ما يعرفونه على الرغم من قصر تجربتهم مع الكون ومحدوديتها << (2)

(1) ينظر: نعوم تشومسكي، اللغة و مشكلات المعرفة ( محاضرات ماناجوا ) ، ص 14- 15

(2) ينظر : المصدر نفسه، ص 15



و قد وردت هذه المشكلة الأفلاطونية في محاوره سقراط لمينون، إذ سأل " مينون " سقراط: كيف يمكن لنا أن نبحث عن شيء نجهله لهذا السبب البسيط : وهو أننا نجهل ما هو؟ و قد أجابه سقراط مقدما حججا ميتافيزيقية تتلاءم و تفكير العقل اليوناني الذي يؤمن بالخلود و عيش حيوات متعددة يقضيها في العالم الطبيعي و العالم السفلي " عالم الأموات " ، ولذا لا غرابة أن تعرف النفس البشرية كل المعارف و تذكّر شيء واحد يستوجب شد حبال العديد من الأشياء من شتى العلوم الأخرى. (1)

يعرض أفلاطون نظرية المعرفة السابقة ( الكامنة ) أنفا لتفسير ظاهرة المعرفة البشرية و يقدم حججا لنظريته من أمثلة سقراط ، إذ يزعم سقراط و معه تلميذه أفلاطون أن عبدا صغيرا يستطيع أن يحل مسألة هندسية رغم أنه لم يدرس الرياضيات بعمره، فيكون هذا دليلا أنّ الغلام توّصل لحل المسألة بتذكره لمعارف مسبقة كامنة في نفسه ، و لكنه لم يكن على دراية بها، و الشيء الذي جعل هذه المعارف تظهر هو أسئلة سقراط التي طرحها على العبد و التي كانت بمثابة منبه جعل المعارف المكنونة في النفس تخرج للعيان . (2)

>> من المقاربات التي تمكن من اقتراح حل مبرر لمشكل أفلاطون ، مقارنة الموقف الأفلاطوني، وهي مقارنة أكثر خصوبة من التقليد الأرسطي . إن الإنسان - في تصور أفلاطون - لا يكتسب معارف جديدة ، و إنما يعيد اكتشاف معارف معطاة قبلا ، لأن طبيعة المعرفة قبلية، ذلك هو موقف أفلاطون المنسجم مع نظريته المشهورة في المثل . و هكذا تضع المقاربة الأفلاطونية قاعدة التفسير على أساس الفكر ، لا على أساس بنية العالم ، كما هي في التقليد الأرسطي . إن قدرتنا المعرفية محددة بطرق الفهم و الإدراك ، و معرفتنا الفعلية تابعة لتجارب خاصة، تثير جزءا من النظام المعرفي الثاوي في فكرنا ، و إذا كانت المعرفة كذلك ، فهي فطرية. << (3)

(1) ينظر : أفلاطون، في الفضيلة ( محاوره مينون )، سلسلة محاورات أفلاطون مترجمة عن النص اليوناني، تر: عزت قرني، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، 2001، القاهرة، ص 28- 29

(2) المرجع نفسه، ص 30. يمكن الاطلاع على المحاوره كاملة من المرجع نفسه، ص 103 - 121

(3) بنكيران امحمد الطيب، الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية، مجلة عالم الفكر ( مجلة فكرية محكمة ) تصدر عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب المجلد الخامس و العشرون، العدد الثالث، يناير / مارس 1997، الكويت ، ص 47

إن مشكلة أفلاطون تفسر >> كيف نعرف هذا القدر الكبير جدا إذا ما أخذنا في الاعتبار أنّ ما هو متاح لنا ضئيل للغاية. << (1) أي كيف يمكن للطفل أن يعرف كل هذه الأشياء عن اللغة ، وكيف يستخدمها إذا كان المجتمع لا يقدم له إلا جزءا بسيطا من المعرفة اللغوية ؟

و هذه المشكلة هي الأساس الذي انطلق منه تشومسكي وحاول أن يعيد صياغتها بالطريقة العصرية مقترحا حلا شبيها بحل سقراط وأفلاطون وهو التسليم بأن بعضا من >> مظاهر معرفتنا وفهمنا خصائص فطرية، أي أنها جزء من إعدادنا الأحيائي المحدد بالوراثة Genually Determined إذ تماثل هذه الخصائص عناصر طبيعتنا المشتركة التي تجعل من اللازم أن تنمو لنا أرجل وأذرع بدلاً من أجنحة. << (2)

و يوضح تشومسكي بأن الإجابة عن السؤال الثاني أو تقديم حلّ لمشكلة أفلاطون هو تحديّد للنحو الكلي العام و وصف للطرق التي تتفاعل بها مبادئه مع التجربة الحسية لتولد بعد ذلك اللغة الخاصة ، ذلك أن النحو الكلي نظرية عن الحالة الأولية initial state للغة (3) و المشكلة الكلاسيكية في رأيه تبدو أكثر إثارة للجدل، فعلى سبيل المثال: التسليم بفكرة الملكة اللغوية كمكون ذهني/ عقلي تنتج المعرفة اللغوية بناءً على التجربة المقدمة، حيث أنه لا جدال في أن البشر يحصلون على معرفة خاصة بالإنجليزية أو اليابانية بينما الصخور والطيور والقرود لا يحصلون عليها. هذا التسليم يستوجب الخوض في مسائل أعمق لطرح أسئلة أكثر عمقا عن طبيعة هذه المشكلة وملاحها و كيفية عملها ومعالجتها معالجة عصرية.

---

(1) نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها و استخدامها ، ص 45

(2) نعوم تشومسكي، اللغة و مشكلات المعرفة ( محاضرات ماناجوا ) ، ص 16

(3) Chomsky, Knowledge of language, p. 3

>> فيجب أن تُحلّ مشكلة أفلاطون إذن برد مبادئ الملكة اللغوية الثابتة إلى التركيب العضوي البشري ، فتُفهم على أنها جزء من إعداده الأحيائي إذ تنشي هذه المبادئ بالطريقة التي يعمل بها العقل في نطاق الملكة اللغوية. << (1)

إنّ جانباً كبيراً من فكر تشومسكي اللغوي المرتبط >> بالممارسة العقلانية له أصول تمتد إلى أفلاطون الذي اقترح مبدأ الخصوصية والتفرد مميزاً بين ما يسميه معرفة حقة و هي المعرفة بالكمالات، وبين ما يسميه انطباعاً أو رأياً ، وهو المعرفة المبنية على ما تقدمه الحواس. المعرفة الأولى لا تحصل إلا بالعقل المسكون بالكلي ، وهي ممكنة ما دام أن كل واحد منا مزود بقدره على التعلم و أنّ هناك عضواً مخصصاً لهذه الغاية هو العقل << (2)

يشيد تشومسكي بإجابة أفلاطون العقلي لأن العقلانيين مسكونون بأفكار استنباطية مثل الشمولي و الكلي و الفطري، و لذا فهو قد وجد في إجابة أفلاطون برّد المعارف الإنسانية إلى معرفة قبلية سابقة للتجربة الحسية ما يتناسب و فكره.

يبتغي تشومسكي بالمعالجة العصرية للمشكلات الفلسفية القديمة استخدام مفاهيم حديثة لعلم الأحياء أو علم البيولوجية و ذلك بتغيير المسميات، فيسمى المعارف الكامنة التي اقترحها سقراط لإقناع مينون بطبيعة المعرفة البشرية بالملكة الفطرية البيولوجية اقتداءً بعلم الأحياء، و يستبعد تفسيراً آخر لطبيعة المعرفة الإنسانية عدا كونها فطرية وراثية. و لذا يرى آلان شالمرز أنّ >> المشتغلين بالعلم واختياراتهم يقودها ويوجهها، في نظر صاحب النزعة العقلية المتطرفة، المعيار الكلي الشمولي ، و من ثم فإنّ العالم ذا النزعة العقلية سوف يستبعد النظريات التي لا تتطابق مع هذا المعيار. << (3)

إنّ العالم ذا النزعة العقلية يلتمس في فكرة " فطرية اللغة " ضالته المنشودة لتفسير أمرٍ عَجَزَ العلم بمناهجه التجريبية عن تفسيره ، و لذا فهو يستند إلى الطبيعة البيولوجية للإنسان ليقدم حلاً لمشكلة المعرفة الإنسانية.

(1) نعوم تشومسكي، اللغة و مشكلات المعرفة، ص 44

(2) محمد محمد العمري، الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية " البنيوية و التوليدية "، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان ( الأردن ) ، ط 1 ، 2012 ، ص 181 - 182

(3) آلان شالمرز، نظريات العلم، تر: الحسين سحبان، فؤاد الصفا، دار توبقال للنشر ، ط 1 ، 1991، الدار البيضاء ( المغرب ) ، ص 106

## ب - ديكارت

بالعودة إلى أسئلة تشومسكي السابقة نلتقي بمشكلة " ديكارت " و التي يطرحها السؤال الثالث، أي : كيف تُستعمل هذه المعرفة في الكلام ( أو الأنظمة الثانوية مثل الكتابة ؟). و يُجزأ هذا السؤال إلى مظهرين، هما : مشكلة الإدراك و مشكلة الإنتاج ، فُتُعني مشكلة الإدراك بالكيفية التي تتم بها تفسير ما نسمعه أو نقرأه و هذا المظهر يَعُدّه تشومسكي أمراً ثانوياً. أما المظهر الثاني وهو الأكثر أهمية فيتمثل في مشكلة الإنتاج ، وهي الأكثر غموضاً وذلك لأنها تدفعنا للتساؤل عن الأسباب التي تجعلنا نقول ما نقوله وهي التي يسميها " بمشكلة ديكارت " .<sup>(1)</sup>

>> و بادئ ذي بدء تتجلى عودة تشومسكي إلى العقلانية في أنه ينشئ اتجاهها تقليدياً، يطلق عليه " الديكارتية " أو " علم اللغة الديكارتية " يظن أنه يمكنه به أن يؤسس نظريته اللغوية ، و أن يحل السؤال الخاص بنظرية المعرفة بمفهوم العقلانية وبهذه الطريقة أُقيمَ تعالق خاص بتاريخ المشكلة بين جهود مطابقة في الماضي والحاضر ، و طَرَحَ السؤال عن رواد علميين ( حتى يُقوي موقفه الخاص ) الذي يعد مشروعاً حقاً، حتى و إن كان يخفي في داخله أن يصير إلى ملاحقة الرواد لتبرير آرائه الخاصة وتوكيدها . <<<sup>(2)</sup>

>> كان الفكر الفلسفي القديم يقوم على أساس الاعتقاد بالفصل بين الفلسفة و العلم ،

و التمييز بينهما، و كأن النسق العلمي مستقل عن النسق الفلسفي ، إلا أن تشومسكي يرفض هذا الفصل، و يرى أنه فصل لا يدعمه تاريخ الفلسفة نفسه... يستدل تشومسكي على بطلان التمييز بين العلم و الفلسفة بأدلة ، منها : أن ديكارت كان يعتبر الفلسفة دراسة للأسس التصورية للعلم ، أو الحدود القصوى للتأملات العلمية ، كما أن دافيد هيوم (HUM) يعتبر مشروعه الفلسفي ، شديد الصلة بمشروع نيوتن (Newton) ، و لذلك كانت العلوم الطبيعية تسمى بالعلوم الفلسفية، كما أن مصطلح النحو الفلسفي يطلق على

<sup>(1)</sup> ينظر : نعوم تشومسكي، اللغة و مشكلات المعرفة، ص 16

<sup>(2)</sup> جر هارد هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970 ، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2007، القاهرة،

النحو العلمي. و هذا يدل على عدم صحة الاعتقاد الذي ترسخ في تاريخ الفكر الغربي في مرحلة متأخرة نسبياً، ذلك الاعتقاد الذي يقوم على تصور الفصل بين العلم و الفلسفة. << (1)

و حين يرجع تشومسكي إلى العقلانية الفلسفية و " الديكارتية "، فإنه يتحرك من جهة الجانب النشط للوعي و لفهم إبداعية اللغة، غير أنه يرجع من جهة أخرى إلى الأفكار الغريزية لديكارت Descarte، التي لم تعد بالنسبة إليه ذات أصل إلهي، بل هي تعود لفطرة بيولوجية محضة، ويعزو للطفل " نظرية فطرية " لكي يصف بذلك " الاستعداد الفطري " للطفل لتعلم لغة ما. (2)

و تحت مدلول " اللسانيات الديكارتية " جمع تشومسكي جملة من الأفكار والنتائج المؤطرة بنظرية للعقل والمرتبطة بطبيعة اللغة الإنسانية. أفكار يترتب عن تحليلها نتائج تتوزع على أعمال فلسفية ومنطقية و لسانية يغطي قسم منها ثلاثة قرون من التأمل في اللغة، لتمهيد قيام اللسانيات الكلية في صورتها المعاصرة. (3)

ومن جملة هذه الأفكار فكرة الفطرية وهنا ينبغي علينا أن نتساءل عن مقصد ديكارت بالفطرية أو الأفكار الفطرية أهي : عمليات عقلية أم أنها أشياء عقلية ؟ أم كلاهما معا ؟ يبدو أنّ ديكارت يُجيب عن هذا السؤال في مواضع مختلفة بطرق مختلفة، بمعنى يبدو أنه يشير إلى محتوى الأفكار عندما يتحدث عن الأفكار الفطرية، إذ نراه في " التأمل الخامس Meditations Five " (\*) يقترح أنّ الأفكار الفطرية هي ما نتذكره، وعلى حد رأيه الإنسان لا يتعلم شيئاً بقدر ما يتذكر شيئاً يعرفه من قبل : وهو هنا يشير إلى المحتوى

(1) بنكيران امحمد الطيب، الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية، ص 46

(2) ينظر : جرهارد هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970، ص 133

(3) ينظر: محمد الأوراعي، الوسائط اللغوية ( أقول اللسانيات الكلية )، ص 69

(\*) مجموعة " التأملات " Meditations لديكارت، أو تأملات في الفلسفة الأولى Meditations on First Philosophy هي أطروحات فلسفية للفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت، تم نشرها لأول مرة عام 1641، باللغة اللاتينية، ثم أعيد نشرها سنة 1647 بإشراف ديكارت نفسه باللغة الفرنسية تحت عنوان : تأملات ميتافيزيقية، وهو كتاب يتألف من ست أطروحات.

المحدد ، وهذا يذكرنا بنظرية أفلاطون عن التذكر <sup>(1)</sup> والتي استمدتها من معلمه سقراط كما سبق وبيّنا في المبحث السابق.

وفي حديثه عن معرفة البشر بالله يرى ديكارت أن البشر يستدلون على ذلك بالمعرفة الفطرية ، التي أودعها الله فينا كهبّة أصيلة تقودنا للاستدلال على وجود الخالق وهو في هذا يرد على الذين لا يؤمنون بشيء خارج نطاق الحواس. <sup>(2)</sup>

انظر إلى قوله في : " معرفة خصائص الأشياء والأعداد والأشكال والحركات " :  
>>بالربط مع طبيعتي الذهنية وبيداهة كلية ، لا يبدو لي أنّي أتعلم أمرا جديدا عندما أكتشف هذه الأشياء ( الأعداد و الأشكال والحركات و أشياء أخرى من هذا القبيل ) ، بل أنا فقط أقوم بالتذكر و حسب و أنا أستجمع ما سبق لي معرفته من قبل . << <sup>(3)</sup>

>> فهو يرى أن معرفة الأشياء هي معرفة فطرية مزروعة فينا ونحن لا نتعلمها من التجربة الحسية ، بل نتعرف عليها بواسطة طاقتنا العقلية الأصيلة ، و كل الحقائق الهندسية هي من هذا النوع ... فسقراط سأل الفتى الرقيق حول عناصر الهندسة محاولا جعل الفتى يُنقّب عن الحقيقة في ذهنه ، التي لم يكن يدركها من قبل ... و معرفتنا بالله شبيهة بهذا << <sup>(4)</sup>.

لكنه في رده على المجموعة الثالثة من [objections ] ( The Third Set Of )

(Objection) <sup>(\*)</sup> يشرح " الفطري " بالعمليات العقلية . <sup>(5)</sup>

<sup>(1)</sup> Christina Behmo, Cartesian Linguistics : From Historical Antecedents to Computational, Medeling, Submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy at Dalhousie University Halifax, Nova Scotia, June 2011, pp . 76 - 77

<sup>(2)</sup> René Descartes, Meditations On First Philosophy, translated by Elizabeth S. Haldane, Internet Encyclopedia of Philosophy, 1996. This file is of 1911 edition of The Philosophical Works of Descartes. Cambridge University Press. From Pp. 23- 32

<sup>(3)</sup> Ibid, p. 23

<sup>(4)</sup> Christina Behmo, Cartesian Linguistics, p .77

<sup>(\*)</sup> هي عبارة عن مقالات قام فيها بالرد على آراء بعض الفلاسفة حول الذات الإلهية و قضايا ميتافيزيقية و اسمها الكامل: Objections to the Meditations and Descartes Replies و هي خمس أطروحات.

<sup>(5)</sup> Christina Behmo, Cartesian Linguistics, p . 116

و هذه الأفكار الفلسفية أخذت من قبل تشومسكي كمرتكز لأرائه حول ملكة اللغة الفطرية ، فهو يتمسك بفرضية أنّ جزءا كبيرا من تعلم اللغة يعود إلى الجانب الفطري ، ( فهي شفرة موجودة في جيناتنا ) ومن هنا يقدم نظرية النحو الكلي التي تفسر طبيعة الملكة اللغوية الفطرية.

بل إنّ تشومسكي يرى أن إحياء هذه الأفكار الفلسفية القديمة و دمجها في مباحث علم اللغة يجعل علم اللغة علما قادرا >>على أن يسهم إسهاما حقيقيا في دراسة ومعرفة طبيعة العقل البشري . وما زال هذا العلم يقدم الدليل تلو الآخر على دوره من خلال الصراع الطويل الأمد الذي قام بين العقلانيين والتجريبيين ، والخلاف الحاد بين هذين المذهبين هو أنّ العقلانيين يدّعون أن العقل أو العلة هما المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية بينما يذهب التجريبيون إلى أن المصدر الأساسي للمعرفة هو التجربة. <<(1)

فكان بعض التجريبيين الإنجليز أمثال " Lock لوك" و "دافيد هيوم Hume"

يذهبون إلى أنه لا يمكن إدراك العالم الخارجي إذا لم تقدم لنا الحواس التجارب عنه، فحسب رأيهم لا يوجد شيء يسمى بالعقل. إلا أنّ ديكارت ذهب إلى أنّ فهم العالم الخارجي يقوم على أفكار فطرية innate ليست وليدة التجربة.(2)

كما ردّ التجريبيون تشابه اللغات الإنسانية واشتراكها في العديد من السمات حتى ليكاد المرء يحسبها ذات أصل واحد ، وتفرعت بعدها لظروف عديدة ، إلى كون >> جميع اللغات الإنسانية تشير إلى أشياء و إلى صفات العالم الطبيعي التي تفترض أن جميع البشر العاديين من الناحية الفيزيولوجية والنفسية قادرون على إدراكها ، و أنّ جميع اللغات في أي ثقافة أو حضارة تُستخدم للقيام بعدة وظائف متشابهة مثل إصدار الأوامر وطرح الأسئلة والإجابة عنها وغير ذلك ، وأنّ هذه اللغات تستغل نفس الجهاز الفسيولوجي وبنفس

(1) جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ، ص 233

(2) المرجع نفسه، ص 233- 234

الطريقة بحيث يمكن القول بأن عمل الجهاز يقف وراء بعض الخصائص المنطقية للغة << (1) ، و ليس مردّه الأفكار الفطرية.

لكنّ تشومسكي لم تقنعه هذه الإجابات ، وراح يصرّ أنّ الإنسان أوتي بالوراثة ملكة اللغة معتمدا على آراء الفلاسفة العقلانيين ، و على الباحث اللغوي - حسب رأيه - أن يتساءل كيف يمكن للأطفال اكتساب لغتهم الأم >> وكل القرائن تدل على أن الأطفال يولدون وليس لديهم استعداد لتعلم لغة دون الأخرى ولذلك يمكن أن نفترض أن جميع الأطفال بغض النظر عن الأرومة race أو الوراثة لديهم قدرة على تعلم اللغات مطلقا دون لغة بعينها فإذا ما درج هؤلاء الأطفال في ظروف طبيعية أصبحوا من أبناء اللغة التي يسمعونها في المجتمع الذي ولدوا ودرجوا فيه <<. (2)

ومن هنا وجب على اللغويين و الفلاسفة و علماء النفس أن يتساءلوا عن قدرة الأطفال الخلاقة في بناء جمل وتراكيب لم يسبق لهم أن سمعوها ؟

>> إن تشومسكي كما رأينا من قبل يؤكد أن التفسير الوحيد لذلك هو أن الطفل يولد مزودا بمعرفة دقيقة و محددة بالأصول النحوية الكلية، وباستعداد لاستغلال هذه الأصول في التعرف على ما يسمعه من كلام يتردد من حوله وهذه المعرفة لا يمكن تفسيرها وفق طرق تعلم اللغة language learning التي توصلت إليها النظريات التجريبية، إذ لا تستطيع هذه النظريات أن تسد الفجوة بين عدد الجمل القليلة نسبيا التي يسمعها الطفل والتي تعج بالأخطاء errors، التحريفات distortions، والتردد hesitation وبين قدرته على بناء القواعد النحوية وكل ذلك في وقت قصير <<. (3)

(1) المرجع السابق، ص 247

(2) المرجع نفسه، ص 247 - 248

(3) المرجع نفسه، ص 248



>> وحينما ينظم تشومسكي نحوه التوليدي في حوار متعلق بتاريخ الفلسفة بين العقلانية والتجريبية ، ينحاز بوضوح إلى العقلانية ويمارس نقدا حادا للتجريبية، فقد جذبته إلى العقلانية بجلاء أنه يُعترف فيها بخصائص الفهم الإنساني (في مقابل الظواهر الأخرى للمادة)، و تفترض فيها " أفكار غريزية " يمكن أن يحل بمساعدتها "التناقض ".< (1)

و إذا كان تشومسكي يستند إلى الاتجاه العقلي فإنه يفعل ذلك لما يراه في هذا الاتجاه من اعتناء بالعقل البشري و بما يمتاز به من طاقات لا محدودة و وعي و إدراك و إبداع، ذلك أن الاتجاه العقلي يفترض أن ذكاء الإنسان العادي فريد ، حر و خلاق و خارج حدود التفسير الآلي الذي يقدمه التجريبيون .

إنّ النظرية العقلية للغة التي نادى بها ديكرت منذ القرن 17 تطورت في جزء من اهتماماتها في دراسة عقول الكائنات الأخرى، فخصصت جهودا لا بأس بها في دراسة لغة الحيوانات وقدراتها العقلية في تتبع الأوامر المنطوقة للتعبير عن حالاتها العاطفية أو للاتصال مع بعضها البعض . (2)

في مقارنته بين دماغ الحيوان وبين دماغ الإنسان واستعمالهما للغة يرى ديكرت و تابعوه أن اللغة الإنسانية أو الاستعمال اللغوي عند الانسان يتميز بالإبداعية ، فالاستعمال العادي للغة هو في الحقيقة استعمال مبتكر innonvitive أي كل ما يقوله الإنسان جديد و مبتكر وليس له شبيهه ، حتى أننا لم نسمعه من قبل .

و رغم أن ديكرت يرى أن سلوك الحيوان متنوع ولا نهائي ، فإنّ تشومسكي يرى أنه متعدد و لكنه محكوم بالمؤثرات والمحفزات الخارجية، بينما الاستعمال العادي للغة عند الإنسان ليس فقط متعدد ولا متناه ومبتكر، فهو أيضا حر من سيطرة المحفزات و المؤثرات

(1) جرهارد هليش ، تطور علم اللغة من 1970 ، ص 130

(2) Noam Chomsky, Language and Mind , Thrid Edition, Combridge University Press, 2006 , New York, United States of America, P. 9

الداخلية وبسبب هذه الحرية يمكن للغة أن تعكس الفكر بل أن تكون تعبيراً ذاتياً له، و هي ليست للمبدعين والموهوبين و حسب إنها لكل البشر .<sup>(1)</sup>

و من خلال ما سبق نفهم أن تشومسكي إنما استوحى من ديكارت الفكرة المتعلقة بفطرية اللغة، أي البنية الذهنية المجردة الجاهزة للاستعمال عند الإنسان، ذلك أنّ اللغة عندهما ( ديكارت و تشومسكي ) سمة بارزة تميز الجنس البشري عن غيره من المخلوقات .

إنّ اعتماد تشومسكي لخدمة آرائه اللغوية على أفكار ديكارت في تفسير كيفية إدراك الإنسان للوجود الإلهي دون الحاجة إلى التجسد المادي الذي يلوّح به التجريبيون دائماً كبرهان لا يطلبون سواه - فيما يبدو لي - تضارب اتجاهات فكرية فهو لا يسلم بوجود الذات الإلهية<sup>(\*)</sup> ، و لا يسلم بأنّ مرد تلك الملكة اللغوية الكامنة في الذهن إلى قدرة الله في خلقه و يرفض الأفكار الغيبية المتعلقة بهذا الشأن ، و في الآن ذاته يلجأ إلى تفسير ديكارت لتلك الأفكار الغيبية حول الذات الإلهية التي تفوق نطاق الحواس كي يدركها العقل عندما يُفسر ملكة اللغة الإنسانية .

ثم نراه يعلل لوجود هذه الملكة بمصطلح " الفطرية" ، ليطور هذا المصطلح فيما بعد إلى ما يطلق عليه بـ " الحالة الأولية " لهذه الملكة، أي حالتها قبل التجربة الحسية، ثم يطلق تسمية أخرى لهذه الملكة و هي " النحو الكلي " .

<sup>(1)</sup> Ibid, Pp. 10 - 11

<sup>(\*)</sup> معروف عن تشومسكي أنه يهودي الأصل ، غير أنه من أنصار التيار الإلحادي الذي لا يؤمن بوجود الله، يُنظر : ( نعوم\_ تشومسكي / <https://ar.wikipedia.org/wiki/> ) .

و على هذا الأساس يتداخل ما هو لساني مع ما هو فلسفي و بيولوجي أو لنقل : إنه يتأسس عليه. فمشكلات تشومسكي مشكلات فلسفية بالأساس بحث لها عن أجوبة علمية اعتمد فيها على مناهج ذات صلابة إبستمولوجية . (1)

---

(1) محمد محمد العمري ، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية " البنيوية - التوليدية " ، ص 176-177

## ثانيا : الأسس اللغوية ( بور رويال – فان همبولدت)

### أ- بور رويال Port Royal

ظهرت مدرسة بور رويال في فرنسا وهي تحمل اسم المنطقة التي تنتمي إليها. وكانت هذه المدرسة حلقة من حلقات الصراع بين الفلسفة التجريبية و الفلسفة العقلية في القرن السادس و السابع إلى غاية القرن الثامن عشر ميلادي ، حيث تأثرت هذه المدرسة بالفلسفة الديكارتية العقلانية .

لقيت أفكار ديكارت مجالا رحبا في أوساط هذه المدرسة، إذ أصدر روادها كتابهم ذائع الصيت " النحو العام والعقلي Grammaire Général et Raisonnée وهو كتاب في فلسفة اللغة نشره أنطوان أرنولد Antoine Arnould و كلود لانسو Claude Lancelot سنة 1660م. (1)

من الأمور التي أخذتها و استثمرتها مدرسة بور رويال من الفلسفة الديكارتية فكرة اللغة مرآة عاكسة للفكر، وهذا ما يجعل اللغة ( لغات العالم أجمع) عندهم تشترك كلها في البنية المنطقية.

إن اللغات الإنسانية رغم اختلافها في مواضع عديدة ، و هي اختلافات يراها تشومسكي اختلافات طفيفة بالمقارنة مع وجوه التشابه، فهي تشترك في نفس الأصوات و المعاني ( الأفكار ) كما أنها تشترك في الكثير من الأنظمة النحوية .

و هذه النقطة بالتحديد اشتغل عليها رواد مدرسة بور رويال في مؤلفهم " النحو العام و العقلي General and Rational Grammar ".

هذه الرؤية كانت سائدة منذ عقود قبل ديكارت نفسه . حيث كانت فكرة القواعد الفلسفية أو التأملية Speculative Grammar تمثل >> تطورا كبيرا في تاريخ اللسانيات . و قد

(1) ينظر : أحمد مومن، اللسانيات ، النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2 ، 2005 ، الجزائر، ص 49

اشتق مصطلح "Speculative" من الكلمة اللاتينية "Speculum" أي مرآة . و يدل على أن اللغة مرآة تعكس الحقيقة التي تختفي وراء ظواهر العالم الطبيعي . و قد ظهرت هذه القواعد في شكل بحوث حول أنماط المعنى تحت عنوان De modis Significandi من قبل مجموعة من المفكرين خلال أعلى مرحلة من تطور الفلسفة السكولاستية وذلك بين 1200-1350م << . (1)

و كانت فكرة النحو العالمي Grammar Universal الذي تخضع له جميع اللغات الإنسانية سائدة بين أوساط اللغويين آنذاك ، فالنحو ثابت جوهريا في جميع اللغات الطبيعية رغم الاختلافات العارضة والسطحية.

يرى تشومسكي أن النحو الفلسفي لم يعد معروفا اليوم . باستثناء بعض الدراسات المدرسية التي شوهدت من صورة النحو الفلسفي المعقلن ، و ذلك حتى في أعمال عالم ك " بلومفيلد " الذي لم يقدم صورة حقيقية أصلية للنحو الفلسفي في كتابه " اللغة Language " . (2)

كما أنه يرى أن نحو بور رويال ينتمي إلى علم النفس ظاهرا و عمقا ، ذلك أن تأويلاتهم تنتمي إلى محاولة >> هورات دو سان جون « Huart de San Juan » لاكتشاف خصائص الذكاء عند البشر Haurte second type of wit (3) (\*)

و يظهر تأثير ديكارت جليا في نحاة بور رويال أيضا من خلال تأكيدهم على تفرّد الإنسان بالقدرة اللغوية. (4)

(1) المرجع السابق، ص 32

(2) Noam Chomsky, Language and Mind, p. 14

(3) Ibid, p. 17

(\*) Juan Haurte de San Jaun ، فيزيائي و طبيب نفسي إسباني، و لد ب : سانت جان بيباد دو بورت . Saint ، Jaun – de – port تحصل على شهادة الدكتوراه في نهاية 1529 أو بدايات 1530 في الطب ، نال شهرة واسعة سنة 1560 بسبب دراسته حول ذكاء البشر Examination of men's Wits ، و قد تأثر تشومسكي بدراسته هذه. ينظر:

[http://en.wikipedia.org/wiki/Juan-Huarte\\_de\\_San\\_Juan](http://en.wikipedia.org/wiki/Juan-Huarte_de_San_Juan)

(4) مصطفى غلفان، بمشاركة : امحمد الملاح، حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية ( من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنيوي : مفاهيم و أمثلة ) ، عالم الكتب الحديث، ط1، 2010، إربد ( الأردن ) ، ص 9

يوظف نحاة بور رويال مبدأ القضية و الحكم لوصف تعبير لغوي معين، فالمتكلم حينما يرغب في التعبير عن فكرة معينة يبني أفكاره ضمن العلاقة النحوية القائمة على المسند والمسند إليه، كما في الجملة الاسمية البسيطة: العلم نور، فالمسند هو النور، والمسند إليه هو العلم. أي أن المسند اليه هو المبتدأ والمسند هو الخبر، بينما يختلف الأمر في الجملة الفعلية، مثل: نجح الطالب، فالفاعل (الطالب) هو المسند إليه، بينما الفعل (نجح) هو المسند.

و يستخدم نحاة بور رويال الجملة الشهيرة: الله اللامرئي خلق العالم المرئي Invisible God created the visible world<sup>(1)</sup>، فهذه الجملة "تتضمن قضية أساسية هي: << الله خلق العالم >>. أما القضيتان الفرعيتان "الله لا مرئي - العالم مرئي" المفهومتان ضمينا، فليستا سوى قضيتين عَرَضِيَّتَيْنِ، تشكل الأولى جزءا مكملا للمسند إليه، بينما تشكل الثانية طرفا زائدا في المسند و بالتالي فإن (هذه) الجملة ... تحتوي على ثلاث بنيات ضمنية تعبر كل واحدة منها - في ذهننا - على حكم بسيط.

و إنما من هذه التحليلات العميقة للجمل من قبل نحاة بور رويال استلهم تشومسكي تصوره الجديد في الربط بين الجمل بواسطة التحويل Transformation<sup>(2)</sup>.

ناهيك عن فكرة النحو العقلي أو النحو المعقلن و تقسيم الجمل إلى مسند و مسند إليه، كما سنرى في الفصول اللاحقة في المراحل المتقدمة للنحو الكلي و خاصة في نظريته (الأدوار المحورية أو نظرية (الثيتا Theta Thoery) و نظرية (x-bar) أين ووظف هذه الأفكار بعمق و لكن تحت مسميات جديدة.

(1) Noam Chomsky, Language and Mind, p. 17

(2) مصطفى غلفان و آخرون، اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى، ص 9

## ب- فان همبولدت ( 1835- 1767 wilhelm von humboldt )

>> إن ما يميز همبولت (\*) عن الباحثين الآخرين هو أنه لم يقتصر على دراسة ظاهرة لغوية معينة بل حاول إقامة نظرية لغوية شاملة . إنه أدرك في هذا الزمن المبكر أن اللغة ملكة من عمل العقل ، و هي فوق هذا قوة فعالة (Energia) ، و ليست مجرد حاصل (Ergon) ، إذ لولاها لما كان هناك أي نوع من التفكير. و هذه القدرة الخلاقة هي التي تجعل أعمال الإنسان تتميز بالذكاء و الإبداع و ذلك على عكس أعمال الحيوان التي تتصف بالآلية ، و لا تفوق مستوى تلبية الوظائف الغريزية. << (1)

و همبولدت هنا يتفق مع ديكارت ، فاللغة عندهما ملكة عقلية وهي نشاط يفوق تصرفات الحيوانات التي لا إبداعية فيها، بل محض استجابات متكررة للمحفزات .

>> و بالإضافة إلى هذا فقد توّصل همبولدت إلى إثبات شكلين مختلفين و متكاملين للغة : شكل خارجي آلي يتمثل في الكلام و شكل داخلي عضوي (Organic) يتمثل في العمليات العقلية التحتية . و قد استفاد تشومسكي (Chomsky) في العصر الحديث من هذه الثنائية و جاء بما يسمى بالبنية السطحية و البنية العميقة و بالكفاءة (Competence) و الأداء (Performance) و بمفهوم الجانب الخلاق (Creativity) << (2) للغة.

إن فكرة الإبداعية في اللغة التي لطالما لوّح بها تشومسكي عاليا في وجه منهج علم اللغة السلوكي الذي يستمد مبادئه من دراسات وتحليلات علم النفس السلوكي الذي يتزعمه " واطسون " و " سكينر " قد اقتبسها عن همبولدت . و هو يعيب على اللسانيات التقليدية ( البنيوية الأوروبية و الأمريكية ) إهمال هذا الفهم الخلاق لقدرات اللغة و إبداعيتها. و من

(\*) هو فريدريك فليهم فون همبولدت دبلوماسي و فيلسوف ، مؤسس جامعة هامبولت ببرلين رغم كونه فيلسوفا إلا أنه يوصف باللغوي أو اللساني أكثر . وهو شقيق عالم الطبيعة ألكسندر فون همبولت .

(1) أحمد مومن ، اللسانيات، نشأة و تطور ، ص 60

(2) المرجع نفسه، ص 60

هنا فهو يرى ضرورة العودة إلى هذه القضايا اللغوية التي تمت إثارتها سابقا دون محاولة لتقديم حلول لها (1) ، ومن هنا وجب على علم اللغة أن يتكفل بإيجاد حلول لهذه القضايا.

لقد أعاد تشومسكي طرح مفهوم الإبداعية بقوة في الدراسات اللسانية الحديثة ، في فترة سيطرت فيها على هذه الدراسات الأفكار الآلية و الميكانيكية المستوحاة من المذهب السلوكي، كما أعاد طرح نفس تساؤل همبولدت : " كيف يمكن للغة التعبير عن المعاني المتناهية بصورة غير متناهية ( Make infinite use of finite means ) و قد >> أشير ، مطولا ، إلى هذه السمة الإبداعية في القرن السابع عشر ، كما قد كَوّن هذا المظهر اللغوي حجر الزاوية في النظرية الألسنية الكلاسيكية إلا أنه أهمل تلقائيا و بصورة متدرجة خلال تطور الألسنية البنائية الحديثة و ذلك بتأثير من المبادئ السلوكية في علم النفس .

غير أنه لا يصح بالمقابل إغفال بعض ملامح هذا المظهر الإبداعي التي نجدها عند الألسنيين البنائيين . فحسبنا أن نعلم أن أندريه مارتنيه A. Martinet ، على سبيل المثال لا الحصر ، يتكلم عن المواقف المتنوعة و غير المتناهية ، و عن مسائل الخبرة التي تُعبر عنها اللغة . فاللغة تبتكر بواسطة عدد محدود من الفونامات المتوفرة لديها، عددا غير متناهٍ من الأشكال و التراكيب التي تنص على معنى معين و يشير أيضا اميل بنفنيست E. Benveniste إلى أن جمل اللغة تكون مجموعة غير متناهية كما يذكر هيمسلوف Hjemsew أن اللغة غير متناهية <<. (2)

إنّ الإنسان بوسعه تفهم و إنتاج عدد لا نهائي من الجمل حتى التي لم يسبق له سماعها وهذه النقطة بالتحديد انطلق منها تشومسكي لشن هجوم شرس على السلوكيين . وجعلها ركيزة لبناء نظريته التوليدية التحويلية التي استقى منها النحو التوليدي التحويلي الذي بدوره لا يمثل سوى الحالة المستقرة للملكة اللغوية ، بعد التجربة المقدمة لها من قبل الحواس.

(1) Noam Chomsky, Aspect of The Theory of Syntax, p. 8

(2) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية ( النظرية الألسنية ) ، ص 29



و لعل من أهم النقاط التي اشتغل عليها تشومسكي في بناء نظريته ( النحو الكلي) فكرة همبولدت " الشكل الداخلي " للغة، فهو يرى أن للغة شكلين ، شكل خارجي تختلف فيه اللغات عن بعضها البعض و شكل داخلي يعد واحدا من الملامح الجوهرية التي تشترك فيها اللغات جميعا ، فهو خاصة عالمية.(1)

لقد استند تشومسكي إلى لسانيات بور رويال ، و لسانيات فان فليلهم همبولدت كأساس متين يركز عليه من أجل إنشاء لسانيات جديدة تُفسر ما يحويه ذهن المتكلم / السامع المثالي.

---

(1) ينظر : جرهارد هلبش ، تطور علم اللغة منذ 1970 ، ص 93

## ثالثاً: الأسس النفسية و استثمار النظريات الأحيائية البيولوجية

### أ- علم النفس الإدراكي Psychology Cognitive

إن أسئلة تشومسكي الثلاثة السابقة التي بنى عليها آراءه اللغوية ليرسي بها نظرية النحو الكلي صنفها ضمن اهتمامات اللسانيات و علم النفس، وهما موضوعان لا يُميّز بينهما فهو يُعدّ الجوانب اللغوية التي تثير اهتمامه هي في الحقيقة من صميم علم النفس و الفلسفة (1)، معتقداً أنّ اللساني إنّ تمكن من تقديم إجابات شافية لتلك الأسئلة فهو سيقدم لعالم الأعصاب أو المهتم بدراسة الدماغ البشري الخصائص المادية الضرورية التي كشفت عنها النظريات التجريدية لعالم اللغة.

أمّا إذا عجز اللساني عن الإجابة عن تلك الأسئلة فإن المهتمين بدراسة الدماغ البشري لن يتوصلوا إلى نتيجة ذات بال، إذ لا يملكون انطلاقة أو فرضية ينطلقون منها، فهم غير مدركين عمّا يبحثون .

غير أنّ تشومسكي يشير في بعض كتاباته إلى أنّ علم اللغة فرع من علم آخر يطلق علم النفس الإدراكي Cognitive Psychology وذلك في مؤلفاته التالية(2) :

- 1- Aspects of Theory of Syntax مظاهر النظرية النحوية
- 2- Cartesian Linguistics علم اللغة الديكارتي
- 3- Language and Mind اللغة و العقل

(1) ينظر : نعوم تشومسكي ، اللغة و مشكلات المعرفة ، ص 18

(2) ينظر : جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ، ص 207

>> إذا كانت اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة، و علم النفس يدرس اكتساب اللغة و استعمالها، فإن التمييز بين اللسانيات و علم النفس لا معنى له في تصور تشومسكي ، لأن مادة ما (Discipline)، لا يمكن أن تهتم باكتساب أو استعمال معرفة دون الاهتمام بطبيعة هذه المعرفة. إن علم النفس الذي يقتصر على وصف نماذج الإدراك ( Modeles de perception) و التعبير ، و يقصي من حقله نفس النظام المكتسب، يحكم على نفسه بعقم كلي، لأنه علم لا موضوع له، و على هذا الأساس ، فاللسانيات التي يدافع عنها تشومسكي تملأ فراغا مفهوميا، ... ، لأن المشروع التوليدي يسعى لتأصيل علم النفس اللغوي ( Un Psychologie du langage) كعلم جديد، يهتم بالنظام المكتسب، و بطرق اكتسابه في نفس الوقت، أي أنه علم يدرس النحو ، و مناهج الاكتساب في علاقاتها مع النحو الكلي (Grammaire Universelle) ، و نماذج الإدراك و التعبير، و الأسس الفيزيائية للكل. << (1)

و في ذلك يقول تشومسكي أثناء مناقشته لأسئلته السابقة (\*) المبنوثة في معظم كتاباته تقريبا: >> و تقع الأسئلة الأولى في حدود مجال اللسانيات و علم النفس. و هما موضوعان لا أميز بينهما ، أي أنني أنظر إلى اللسانيات ( أو على وجه الدقة تلك الجوانب من اللسانيات التي أهتم بها هنا ) على أنها ذلك الجانب من علم النفس الذي يهتم بالمظاهر الخاصة لهذا الموضوع.<< (2)

>> إنَّ التقدم المنتظر من دراسة علم النفس اللغوي حسب التصور التوليدي قادر على تزويد علم النفس المعرفي ( La psychologie cognitive ) بمناهج ممتازة ، لأنه علم يدرس كل نظام معرفي كعضو ذهني خاص، له بنيته الخاصة ، كما يدرس التفاعل بين هذه البنيات، فعندما نرى بعض الأشياء نكون قادرين على التحدث عنها ، و هذا يعني أنه توجد وسيلة لترجمة التمثل البصري إلى اللغة ، و نفس الشيء يمكن أن يقال عن أنظمة الإدراك

(1) بنكيران امحمد الطيب، الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية، ص 49  
(\*) الأسئلة الثلاثة التي تتكرر في معظم كتاباته هي أسئلته التي درسناها سابقا و هي : 1- ما نظام المعرفة؟ أي: ما الذي يوجد في عقل/ دماغ الذي يتكلم الإنجليزية أو الإسبانية أو اليابانية؟ 2- كيف نشأ نظام المعرفة هذا في العقل/الدماغ؟ 3- كيف تُستعمل هذه المعرفة في الكلام ( أو في الأنظمة الثانوية مثل الكتابة)؟  
(2) نعوم تشومسكي، اللغة و مشكلات المعرفة، ص 18

الأخرى، و هذا ما يبرر القول بأن اللسانيات ما هي إلا جزء من علم النفسي المعرفي ،  
لأن اللغة نسق غني ، لكنه نسق يمكن عزله بسهولة نسبية. << (1)

إن توظيف تشومسكي لعلم النفس الإدراكي كان بدافع تفنيد أطروحات علم النفس  
السلوكي بمختلف صيغه (2)، و لذا كانت ثورته في مجال علم اللغة تهدف إلى بناء نظرية  
لسانية تتجاوز حدود الوصف إلى التفسير. تفسير ماهية اللغة، تفسير البنية الداخلية لها  
( البنية العميقة ) ، و كل ذلك خطوة مستقبلية أو كقفزة معرفية لتفسير البنية الداخلية  
للذهن /الدماغ البشري وبذلك تكون اللسانيات قد قدمت خدمة جبارة لـ "علم النفس المعرفي  
" الذي يُعد اللسانيات فرعاً من فروعها .

ذلك أنّ جلّ القضايا التي يعالجها علم النفس المعرفي الإدراكي كـ ( طبيعة اللغة ،  
اكتسابها و النمو اللغوي عند الطفل ومراحل هذا النمو) هي في الحقيقة من صميم  
اللسانيات.

إن اعتماد تشومسكي على فرضية عقلية و نفسية في بناء نظريته التحويلية التوليدية  
لم تكن سوى خطوة تمهيدية في بناء نظريته اللاحقة ( النحو الكلي )، ولذا تراه يصرف في  
كل كتاباته على العمليات النفسية العميقة التي تقف وراء الاستعمال اللغوي .

و من هنا نرى أن تشومسكي اهتم بتلك الصورة الدفينة للأداء الفعلي لأية لغة ، ودعا  
علماء اللغة أن يضعوا في حساباتهم التراكيب النحوية الصحيحة وقدرة الإنسان المحدودة  
على التذكر والانتباه ثم الزمن الذي تستغرقه الإشارات العصبية كي تنتقل من الدماغ /  
العقل إلى أعضاء النطق ، وهذا يبين مدى تداخل العوامل والعمليات النفسية في إنتاج الجمل  
والتراكيب . (3)

(1) بنكيران امحمد الطيب، الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية، ص 49

(2) محمد محمد العمري، الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية " البنوية و التوليدية "، ص 185

(3) ينظر : حون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ، ص 209- 210

فالجمل والتراكيب التي تصدر عن البشر لا تحدث عفويا كما أنها ليست مجرد سلوك آلي تثيره المنبهات و الحوافز الخارجية. إنها بناء محكم تتحكم فيه العديد من العمليات العصبية و النفسية معا.

إذ لا يمكن قياس اللغة الإنسانية التي لا حدود لطاقتها الإبداعية بإشارات آليه كإشارات الحيوانات التي تحكمها الغرائز والمحفزات . و لذلك فهو يرى - تشومسكي - أن الأخطاء التي يقع فيها البشر >> ربما هي نوع من القصور الوراثي، ولا شك أن هذه الانحرافات عن القاعدة النحوية الصحيحة تضع بين يدي عالم النفس ثروة نفسية إذا ما قام بدراستها وتحليلها تحليلًا علميًا سليماً حيث تقدم له مثل هذه الدراسة تصورا لما يجري داخل التراكيب اللغوية بما لها من صلة بالعمليات النفسية العميقة التي تختفي وراء الاستعمال اللغوي. << (1)

إن اهتمام تشومسكي الشديد بعلم النفس المعرفي (Cognitive) جعله يشترك مع عالم النفس جورج ميلر George Miller في كتابة بحث عنوانه " اللغة ذات الحالة المحدودة Finite State Language كما اشترك في كتابة أعمال أخرى.

ثم إن العودة إلى العلوم الإدراكية لم يكن تشومسكي الرائد فيها في الفكر الغربي، فقد بدأ ذلك مع أعمال هيلبرت الرياضية Hilbert ، و تطور مع تورينغ Turing و تشرتش Church و ماركوف Markov و غيرها من الجهود التي قادت إلى ما يعرف بالتحكم الآلي و لاحقا إلى الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence . (2) (\*)

(1) المرجع السابق، ص 211

(2) Zemon Pylyshyn, Rules and Representations : Chomsky and Representational Realism, Draft of a talk presented at the conference on " Chomskian Turn" , Tel Aviv and Jerusalem , 1988, Center of Science University of Westren Ontario , London, Ontario, Canada, p.2

(\*) هيلبرت و تورينغ ، تشرتش و ماركوف علماء الرياضيات، اعتمد علماء اللسانيات على نماذجهم الرياضية في تحليل اللغة التي اعتبروها أنموذجا ، نسقا خوارزميا، ومن هؤلاء اللسانيين الذين اعتمدوا على فرضيات رياضية و أعمال العلماء الرياضيين الأربعة تشومسكي، و >> و يعد نموذج ماركوف (1856 – 1922) A- Markov حالة خاصة من نموذج عام هو النموذج المركبي و ذلك من خلال تقديده بمجموعة من القيود الصارمة على القواعد التي يقترحها لإنتاج جمل اللغة . و ينطلق نموذج ماركوف من النتائج المتوصل إليها في الرياضيات ، و لا سيما في الجانب المتعلق بحوسبة Computation البنيات اللغوية ، و محاولة إعادة إنتاجها آليا. و كان للنتائج التي حققتها نظرية التواصل عند شانون ووران و يفر أثر كبير في اهتمام علماء الرياضيات بالقضايا اللغوية ، حيث كان هذا النموذج معروفا و متداولاً لدى

>> إن العلاقة بين الرياضيات واللسانيات وليدة فترة بداية الأربعينيات من القرن العشرين فكلمة توليد المستعملة في عبارة النحو التوليدي مأخوذة من الرياضيات و مفهوم النحو ... يأخذ الشيء الكثير عن الرياضيين وتصورهم لمفهوم اللغة << (1).

العودة إلى الفلسفة العقلية و العلوم النفسية الإدراكية كانت بمثابة الدعامة التي بنى عليها تشومسكي آراءه خاصة فيما يتعلق بمعالجة بعض من جوانب القدرة اللغوية .  
هذه التطورات جعلت الباحثين يأملون أنه يوما ما سوف يمتلكون نظرية تفسيرية لبعض آليات الكفاءة اللغوية تتجاوز مجرد الوصف .

يستعمل تشومسكي عبارة التمثل الذهني Mental Representation

أو اللغة المتمثلة داخليا internally represented language للتعبير عن تلك الحالات النفسية أو العقلية للغة . و لكن المقصود من هذه العبارة بقي غامضا و بعيدا جدا عن فهم الدارسين الأكاديميين أنفسهم ولم تصبح مفهومة حتى لأولئك الذين تبنا منهج تشومسكي في معالجة هذه العبارة ، و تلك القواعد التي تعد كميكون أساسي من مكونات الحالة الأولية للبنية العقلية للمتكلم ، أو ما يدعوه بـ " النظام الداخلي " من القواعد ، أو أنّ المتكلم مُجهز بالنحو ، هذه الأشياء تبدو شديدة الغموض لعلم النفس السلوكي وللغويين الذين يدرسون اللغة انطلاقا من وصف مجموعة من البيانات التي أخذوها كعينة من لغات مينة مثل دراسة بلومفيلد للغة الهنود الحمر (2).

و لعل أهم دافع جعل تشومسكي يقحم دراسة اللغة البشرية ضمن علم النفس المعرفي أو الإدراكي هو كونه لا يدرس اللغة من أجل اللغة كما كان يفعل لغويو العقود السابقة، بل لأنه كان ينشد غاية أعمق وهي فهم و تفسير >> كفاءة المتكلم/ السامع المثالي فيما

---

علماء الرياضيات و التواصل و اللسانيات على حد سواء << مصطفى غلفان و آخرون، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى ، ص 53

(1) مصطفى غلفان و آخرون، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى ، ص 51  
(2) Zemon Pylyshyn, Rules and Representations : Chomsky and Representational Realism, Draft of a talk presented at the conference on " Chomskian Turn , P. 2

يتعلق بلغة جماعية ، و يفهم النحو على أنه وصف الكفاءة اللغوية الداخلية للمتكلم / السامع المثالي ، و يُدرك الكفاءة على أنها معرفة المتكلم السامع للغة. << (1)

و قد أدى هذا بتشومسكي إلى استعمال النحو بمعان متعددة ، وهو شيء لم يقبله علماء النفس، فتارة يجعل من " النحو " النظرية المتعلقة بلغة المتكلم الممثلة داخليا و تارة هو تلك المداخل اللغوية للغة المتكلم (2) ، كما عابوا عليه أيضا كونه لا ينسب نظام المعرفة النحوية إلى النحوي وحسب بل إلى المتكلم أيضا وهذا ما يجعلهم يرون أن تشومسكي يخلط بين النحو اللغوي والنحو النفسي ( الداخلي ). (3)

>> و لما لم يجعل تشومسكي اللغة ذاتها فقط موضوع نظريته النحوية بل معارف المتكلمين حول اللغة أيضا ، فقد وسّع النحو ونظمه في إطار علم النفس الإدراكي طالما يعالج هذا الأخير الشروط النفسية لوجود أنظمة معرفية ، غير أنه يوجد في الوقت نفسه في هذا التوسيع لمهام النحو تضيق ، يكمن في أن تشومسكي يقتصر في الربط بمفاهيم الفعل في علم النفس على نظام المعرفة فقط ، يُفترض إلى جانب غيره لتفسير الفعل اللغوي تفسيراً شاملاً ، و يعد الإطار الذي حدده تشومسكي مثاليا ( لم يهتم بمسائل الاختلاف الاجتماعي و الوظيفي ) << (4). أي أنه لا يعالج اللغة بكونها ظاهرة اجتماعية تؤثر فيها الطبقات الاجتماعية بشكل كبير درجة أن تتغير معاني بعض المفردات من طبقة لأخرى داخل المجتمع الواحد ، فلغة أهل الشرق الجزائري الذين يعيشون في القرى و على السهول - على سبيل المثال- تختلف عن لغة أهل المدن الكبرى في الشمال و في الغرب، كما أنّ إنجليزية الزوج الأمريكي تختلف عن الإنجليزية التي يتحدث بها الأمريكيان البيض .

(1) جرهارد هلبش ، تطور علم اللغة منذ 1970 ، ص 150

(2) ينظر : المرجع نفسه، ص 150

(3) ينظر: المرجع نفسه ، ص 151

(4) المرجع نفسه ، ص 153

و هكذا اتخذ تشومسكي علم النفس الإدراكي ( المعرفي ) أساسا لبروز اتجاه جديد في دراسة اللغة وهو علم اللغة النفسي الإدراكي الذي وقف في وجه أطروحات علم اللغة السلوكي القائم على البنيوية الكلاسيكية والسلوكية.



## ب- استثمار النظريات البيولوجية

اعتمد تشومسكي على علم الأحياء أو البيولوجية في طرح آرائه الحديثة المستقاة من التراث اللغوي و الفلسفي الغربي القديم لتفسير اللغة الإنسانية من خلال الملكة اللغوية الفطرية . وفي هذا الصدد يميز بين " الملكة اللغوية " و " المعرفة اللغوية " .

إن الملكة اللغوية - حسب رأيه - سمة بيولوجية فطرية يولد بها المرء بينما المعرفة اللغوية فهي أمر يتعلمه الطفل أثناء نموه اللغوي .

تتمثل الملكة اللغوية في ما يسميه تشومسكي بالحالة الأولية « an initial state » التي يرمز لها بـ  $S_0$  ، وهي هبة سابقة للتجربة الحسية أو للمادة اللغوية التي تقدمها الأسرة و المجتمع للطفل عبر مراحل اكتسابه للغته الأم.

يرى تشومسكي أنّ للملكة اللغوية جهازا لاكتساب اللغة Language

Acquisition Device و هو مكون فطري أيضا للعقل البشري ، يؤدي إلى إيجاد لغة معينة من خلال التفاعل مع التجربة المقدمة له . إنه جهاز يحول التجارب إلى نظام معرفي. (1) (\*)

معنى هذا أن العقل البشري أبدعه الخالق بملكة اللغة - و إن كان تشومسكي لا يعتقد بفكرة إبداع الخالق هذه - إلى جانب القدرات العقلية التي تميزه عن سائر المخلوقات ، و هذه الملكة هي المسؤولة عن اكتساب اللغة الأم ، فعبر الأداء الفعلي للغة من قبل الناطقين الأصليين بها تتفاعل ملكة الطفل مع النماذج المقدمة لها لتولد بعد ذلك اللغة الخاصة Particular language، أو ما يسمى باللغة القومية و وظيفة النحو الكلي هي الكشف عن الطرق التي تتفاعل من خلالها الملكة مع التجارب اللغوية المعطاة.

(1) Noam Chomsky, Knowledge of Language , p. 3

(\*) ينظر الفصل الثالث ، موضوع " جهاز اكتساب اللغة " ، ص 166

يقدم تشومسكي أدلة على وجود هذه الملكة عند الإنسان بمقارنته مع الكائنات الأخرى، فالطيور مثلا أو القردة أو حتى الصخور حتى وإن تعرضت لنفس الظروف ( التجربة اللغوية المقدمة ) لا يمكن لها البتة تحصيل اللغة و لا يمكن لها أيضا أن تكتسب ما يسميه بـ " المعرفة اللغوية .

أما المعرفة اللغوية فهي خاصية بشرية تُكتسب ، و الذهن لا يمتلئ بها امتلاء الإناء من الخارج ، فتموها أشبه بنمو الفاكهة مهما ساهمت العوامل الخارجية في نضجها فإن جودتها مرده إلى القوة الداخلية للشجرة و ميزتها، وتطبيق هذه الفكرة الأفلاطونية على اللغة يوصل إلى معرفة لغة خاصة ، لغة تنمو و تنضج على مستوى سلسلة من الأحداث تحدها إرشادات جينية بفعل التأثيرات المختلفة للعوامل البيئية . (1)

>> و الشخص الذي اكتسب المعرفة اللغوية فهو قد استوعب نظاما من القواعد يربط الصوت بالمعنى بطريقة ما . << (2)

يُفهم من هذا الحديث أن الملكة اللغوية هي سمة بيولوجية أحيائية مثلها مثل السمات الفطرية الأخرى كالنمو والأكل والمشى والوقوف على قدمين ، أما المعرفة اللغوية فهي شيء يكتسبه الطفل عبر مراحل نموه ذهنيا وجسديا وهي تتأثر بالعوامل البيئية فالطفل ينبغي عليه أن ينشأ في بيئة لغوية سليمة كي تنمو و تتطور معرفته و لكي يتعرف على محيطه أيضا . وعندما تصل المعرفة اللغوية إلى المرحلة الثانية أو المستقرة أو الناضجة تنتج هذه المعرفة للمرء قدرة ضمنية على إنتاج و تفهم عدد لا نهائي من الجمل .

غالبا ما توصف المعرفة اللغوية من قبل بعض الدارسين بأنها القدرة العملية على الفهم والتكلم . لكن هذا ما ينكره تشومسكي و بقوة أيضا ، إذ يقول : >> لا يمكن قبول الرأي القائل بأن المعرفة هي القدرة . وهناك اعتبارات بسيطة تبين عدم صحتها .

لنتصور مثلا شخصين على مستوى واحد من المعرفة باللغة الإنسانية : أي أن نطقيهما و معرفتيهما بمعاني الكلمات وفهميهما لتركيب الجملة و غير ذلك متماثلة . و مع ذلك فهما

(1) ينظر : نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها ، ص 52

(2) Noam Chomsky, Language and Mind , p. 23

قد يختلفان اختلافا كبيرا في استعمال اللغة. بل إن ذلك ما يحدث فعلا ، فقد يكون أحدهما شاعرا عظيما، أما الآخر فلا يستعمل إلا اللغة السوقية ويعتمد في كلامه على استعمال العبارات المحفوظة الجاهزة. كما أن من الأمور الطبيعية أنه لو وُضع شخصان يشتركان في مستوى واحد من المعرفة في مقام واحد ، فإن كل واحد منهما ربما ينحو إلى قول أشياء تختلف عما سيقوله الآخر . و لهذا السبب فمن الصعب أن نقنع بأن المعرفة هي الاستعداد ..

زيادة على ذلك ، يمكن أن تتحسن القدرة من غير أن يصاحب ذلك تغير في المعرفة . و هو ما يحدث لو درس شخص ما الخطابة أو الإنشاء ، فيصلح من قدرته على استعمال اللغة من غير أن يضيف شيئا جديدا إلى معرفته بها. << (1)

أي أن الإنسان قد يطور قدرته على استعمال اللغة دون أن يحدث أي تغيير لمعرفته بها، فالمرء الذي يحفظ الشعر لتحسين أسلوبه في الصياغة . فهو يحفظ أغلب الكلمات التي درج على استعمالها مسبقا والتراكيب نفسها المنتظمة في قوالب نحوية قواعدية يعرفها مسبقا باستثناء النزر القليل من الألفاظ الغريبة الحديثة بالنسبة له، فالتطور الحاصل إذن هو تطور للقدرة على استعمال المعرفة اللغوية و ليس تطورا للمعرفة في حد ذاتها.

وهذا صحيح لأبعد الحدود ، فقد يفشل عالم كبير حافظ لقوائم من الكلمات و الألفاظ عن نقل و ترجمة أفكاره بالصورة التي يريدتها ، لكن الأديب و المؤلف مثلا قد يبرع في ذلك بسهولة دون جهد يذكر لحيوية و خصوبة القدرة اللغوية لديه. و الأمر أشبه بالأساتذة الذين يكونون على درجة عالية من الإحاطة بمعارف شتى، فينجح البعض في استثمار تلك المعارف بتزويدها للطلاب في صورة واضحة ، بينما يفشل البعض في نقل و لو جزء منها للمستمعين.

ثم إن المرء قد يفقد القدرة على استخدام المعرفة اللغوية إذا تعرض لحادث معين لكن المعرفة تبقى موجودة ، فإذا ما شُفي الشخص عادت إليه القدرة العملية لاستخدام معرفته اللغوية . إنّ المعرفة اللغوية لا يمكن أن يُنظر إليها على أنها القدرة العملية .

(1) نعوم تشومسكي ، اللغة و مشكلات المعرفة ، ص 22- 23

>> و بدراسة أدمغة المصابين بإصابات مختلفة تبين مثلا :

أن ذلك الجزء الواقع في المنطقة اليسرى من المخ والذي يسمى منطقة بروكا ( Broca's Area) هو الجزء المسؤول عن برمجة الكلام أو النطق بشكل خاص، بحيث أن إصابته ينتج عنها اختلال كبير في النطق وفي التركيب النحوي للجمل يصل أحيانا إلى حد عدم التمكن من النطق إطلاقا . و لكن هذا لا يعني فقد المقدرة اللغوية لأن المصاب في هذه المنطقة قادر على استعمال أعضاء النطق لوظائف أخرى بما في ذلك غناء نغمة معينة بدون استعمال المفردات. كما أن المصاب لا يتأثر من ناحية مقدرته على فهم ما يسمعه وما يقرأه . << (1)

و " المقدرة اللغوية " المقصودة في النص السابق هي ما يطلق عليه تشومسكي بـ " المعرفة اللغوية " .

أثبتت التجارب التي أجراها أطباء الأعصاب والدماغ على عينات من المرضى الذين تم اتلاف جزء أو شيء كثير من معرفتهم اللغوية جراء إصابة في الدماغ قد تكون ضربة على الرأس أنّ مقر المعرفة اللغوية هو الجزء الأيمن من الدماغ ، و هو الجزء المسمى بـ " منطقة فرنيكا Wernicke's Area " ، المسؤول عن المعرفة اللغوية لا عن النطق. فإصابة هذه المنطقة لا تؤثر على طلاقة المريض الكلامية و لكنها تؤثر على معرفته حيث يجد المريض صعوبة في إيجاد الكلمات المناسبة لمختلف المواقف الحياتية ، كما أنه يجد صعوبة في كتابة و فهم ما يسمع أو يقرأ. (2)

إن هذه الاكتشافات تثبت أن للغة خلايا معينة في الدماغ البشري و تلف هذه الخلايا لا يؤدي إلى تلف الدماغ ، بل إن اللغة هي التي تتأثر سلبيا فيعجز المرء إما عن النطق أو عن الفهم و إنتاج اللغة، بينما يواصل الدماغ القيام بالوظائف الأخرى الأكثر تعقيدا كإدارة

(1) نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و

الفنون و الآداب ، عالم المعرفة ، الكويت، ص 20

(2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 21

الجسد و حركاته وتَفَهَّم رسائل الحس و الاستجابة لها والهضم وحركة الأمعاء وغيرها من الوظائف .

أما إذا أتلفت مراكز الذكاء والفكر في الدماغ مثلا فيُنتجُ عن ذلك شخص أبله يتحدث لغة سليمة نحويا .

و من أمثلة الإصابات التي مست الأجزاء السفلى في الفص الجبهي front lobe في الشق الأيسر للدماغ بتلف جراء جلطة أو جروح من رصاصة التي سببت حبسة بروكاما (\*) ، ما رواه أحد المصابين :

شعرت حينما صحوت بصداع خفيف و ظننت أنه لا بد أنني نمت و يدي اليمنى تحتي لأنني شعرت بشيء من التمثل ، ولم أكن أحس بها ولم أستطع أن أعمل بها ما كنت أريد . ولم أستطع ، لما نهضت من السرير الوقوف بل إنني هويت أرضا لأن رجلي اليمنى كانت أضعف من أن تحملني . و لقد حاولت أن أنادي زوجتي التي كانت في الغرفة المجاورة لكنني لم أستطع الكلام . و كنت مُدهشًا ، بل كنت فزعا و لم أصدق بأن هذا كان يحدث لي . ثم إنني بدأت أشعر بالدوار ...

و وجدتي أستطيع الكلام قليلا لكنني شعرت أنا نفسي بأن الكلمات كانت تبدو خاطئة ولا تعني ما كنت أريد قوله . (1)

فهؤلاء المصابون يعانون من تلف للمعرفة اللغوية و للنحو خاصة وليس من القدرة على الكلام ، و لعل هذه الحالات خير دليل على صحة تمييز تشومسكي بين المعرفة اللغوية و القدرة على الكلام .

رغم رواج فكرة وراثه النحو بين الدارسين منذ ظهور النظرية التوليدية ، فإن علماء الأحياء أنفسهم لم يتوصلوا لدراسة يقينية علمية في أبحاثهم حول الوراثة

(\*) ( الحبسة أو الأفازيا Aphasia وهي مرض من أمراض الكلام قد أفادت اللغويين بما ألقته على اللغة من سوء ، و لكن في دراسة هذه الحالات المرضية يجب أن تظل الشخصية عاملا هاما ) ، ينظر: محمد رشاد الحمزاوي ، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حوايليات الجامعة التونسية، ص 22 (1) ينظر : ستيفن بنكر ، الغريزة اللغوية ، ص 59- 62

والصبغيات ، تؤكد وراثه اللغة عن الأجداد . و قد أنكر عالم الأحياء الأمريكي ستيفن بنكر وهو باحث في المعهد التكنولوجي " ماساتشوستس " في كتابه القيم " الغريزة اللغوية " ما ينسب إليه هو و الباحثة " مرنا جونبيك " من توصلهما إلى تفسير للمشكلة التي حيرت المدرسين كثيرا . و هي لم يُجيد بعض التلاميذ النحو ويكتسبونه دون عوائق بينما هناك تلاميذ يستمرون في ارتكاب الأخطاء النحوية حتى إن مُنحوا القدر نفسه من التدريب و التلقين؟ فيقول الباحث أنه لم يتوصل في دراساته إلى أن السبب وراء ذلك يكمن في الوراثة ، و عالما الأحياء لا يعتقدان مطلقا أن هناك مورثا سائدا يتحكم في القدرة على تعلم النحو. (1)

فالأطفال الذين يرتكبون أخطاء نحوية أو تلميذ الطور الثانوي في المدرسة الجزائرية في الشرق الجزائري مثلا الذي يكتب " لا حبذا الطفولة الذي كان مؤلما " في سؤال مدرسي يطلب منه توظيف لفظة " أيام الطفولة " في جملة مفيدة تحتوي على أسلوب مدح أو ذم بدلا من كتابته :

" حبذا أيام الطفولة أو بنس أيام الطفولة المؤلمة " ليس غيبيا بالضرورة ، و لا يعاني أيضا من مشكلات في الصبغيات ، جعلته لا يميز بين المذكر و المؤنث جيدا، فكلمة ( الطفولة ) كلمة تدل على المؤنث و من ثم لا يجوز أن نستخدم معها اسم الموصول ( الذي ) أو نحذف تاء التأنيث من الفعل الماضي ( كان ) أو نحذف التاء الدالة على التأنيث أيضا في آخر كلمة ( مؤلما ) (\*)، لأن هذا التلميذ نفسه يتكلم لغته الأم ( الشاوية ) و هي إحدى لهجات اللغة الأمازيغية التي تميز السكان الأصليين للجزائر ولسكان شمال أفريقيا، أقول إنه يتكلم لغته بكل طلاقة وبراءة دون أخطاء نحوية أو انحرافات تمس قواعد تلك اللغة حتى و إن كان مردوده الدراسي ضئيلا للغاية.

(1) المرجع السابق، ص 377-378

(\*) طلبتُ من تلاميذ السنة الثانية ثانوي ضمن نشاط تقويمي داخل القسم توظيف " صيغ المدح و الذم " في جمل مفيدة ، و قد أجاد البعض القليل جدا توظيفها و لم يتمكن البعض الآخر من ذلك رغم حضورهم لنفس الدرس. و لا شك أنّ مرد ذلك الفروق الفردية و القدرة على الاستيعاب و الفهم و التركيز و غيرها من النشاطات الذهنية التي تميّز بين التلاميذ و ليس مرده خلل في المورثات. كما أنّ اللغة تُكتسب بالسماع المستمر و الممارسة و ليس بالتلقين. و لا يمكن الحكم على التلاميذ الذين لا يجيدون اللغات الأجنبية كالفرنسية مثلا بالغباء إذ بوسعهم اتقان هذه اللغات بسهولة عندما يوضعون في البيئة اللغوية المناسبة.

لقد أنكر الباحث – بنكر - ما نسب إليه من خلط ، على أنّ للنحو مورثات و تساءل قائلاً : << ما الوظائف التي تقوم بها مورثات النحو إن كانت هذه المورثات موجودة حقيقة ؟ >> (1)

و رغم كونه يُعد من المنادين بفكرة " غريزية اللغة " مثلها مثل غريزة النوم والأكل والتثاءب ... إلخ، إلا أنه لا يسلم بوراثة النحو ، إذ يقول : << و ليس هناك من وسيلة يمكن بها أن نتحقق تحققاً مباشراً ، في الوقت الحاضر ، من وجود أي مورث معين من مورثات النحو ... في كل واحد من بني الإنسان ... >> (2)

و مع ذلك يؤكد أنّ هناك شيئاً ما في الصبغيات Chromosomes يؤثر على القدرات اللغوية للطفل ، إذ يردف على كلامه السابق قائلاً:

<< و نحن نعلم يقيناً أن هناك شيئاً ما في الحيوان المنوي و البويضة يؤثر في القدرات اللغوية للطفل الذي ينشئ من اتحادهما . و ذلك أننا نجد التأتأة و عسر القراءة ( وهي صعوبة تقترن غالباً بصعوبة عقلية في وضع الصوتيات في مقاطعها ) والإعاقة اللغوية المحددة ( SLF ) موجودة في أفراد بعض الأسر... >> (3)

حيث أثبتت الدراسات أن هناك بعضاً من الأسر التي تعاني عبر أجيال من مرض يسمى بـ "الإعاقة اللغوية المحددة " Specific Language Impairment إذ أن أفرادها عاجزون عن التمييز بين المضارع البسيط و المضارع المستمر في اللغة الإنجليزية فينتجون جملاً مثل (4) :

- Carol is cry in the church

(1) ستيفن بنكر ، الغريزة اللغوية ، ص 379

(2) المرجع نفسه، ص 379

(3) المرجع نفسه، ص 408

(4) ينظر : المرجع نفسه، ص 409

و هذه الجملة خاطئة قواعديا وفقا لقواعد اللغة الإنجليزية ، إذ لا يمكن استخدام الفعل المساعد (is) مع الفعل (cry- تكي) دون أن نضيف إلى الفعل اللاحقة (ing) الدالة على " المضارع المستمر " « present continuous » و الجملة الصحيحة هي :

- Carol is crying in the church

( كارول تكي في الكنيسة )

غير أننا نفهم من كلامه هذا أنّ الذي تم توريثه هو المرض المتعلق بالنحو و ليس توريث النحو نفسه، فالذي تم توارثه هو الداء و ليس النحو.

و رغم آراء عالم الأحياء و الوراثة هذا حول اللغة بكونها غريزة ، و التي تتماثل مع آراء تشومسكي ، غير أنه من الواضح أن اللغة ليست سمة غريزية أو موهبة فطرية وراثية تتطور بمعزل عن المجتمع كما هو الحال مع المشي و الوقوف على قدمين و النوم ... إلخ ، حيث أثبتت حالات عديدة أن الفرد الذي يعيش منذ ولادته أو طفولته المبكرة بمنأى عن المجتمع البشري لا يكتسب لغة بشرية خاصة إن تجاوز سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة حسب الخبراء و المختصين ، لكنه سيجيد المشي و التنفس و الأكل و النوم دون حاجة للتعرض للمجتمع.

و لا يمكن التسليم أيضا بفكرة ولادة الطفل مزودا بنحو ما، و لكن لا ريب أن في الدماغ البشري خلايا مسؤولة عن اكتساب اللغة و تعلّم أي لغة معينة ، كما أن الإنسان مزود بجهاز النطق و من خلال تلك النغمات و المناغاة التي يطلقها الأطفال الرضع يمكن لنا الجزم بأن للطفل استعداد فطري لتعلم اللغة. (1)

فالإنسان يولد مزودا (equipped with) بجوانب لغوية مفطورا عليها بيولوجيا ، ولكن هذه الجوانب >> تختلف كثيرا عن تلك التي قصدها تشومسكي ، فتشومسكي يقصد بالفطرية وجود "قدرات نحوية" مشتركة بين البشر ، وهو ما لم يثبت حتى الآن على النحو

(1) ينظر : نايف خرما، أضواء على الدراسات اللسانية المعاصرة ، ص 126-127



الذي نراه في تضاعف هذا البحث ، أما الفطرية هنا فهي ليست قدرات ولكنها عمليات  
processes يمكن إثبات وجودها أو عدم وجودها معملياً. << (1)

وجليّ أنه ليس ثمة لغة معينة، واحدة من بين لغات العالم المتعددة ، تتكشف عن أية  
ملامح بنوية تتعارض مع استعداد الطفل الفطري في إحكام سيطرته عليها في العملية  
التدرجية لاكتساب اللغة . فاللغة الإنسانية هي ، كما يصطلح عليها البيولوجيون، نوع  
مقصور على النوع الإنساني . فلدى كل طفل حديث الولادة نزعات و ميول طبيعية فطرية  
إلى تعلم اللغة السائدة في بيئته . (2)

و قد كشف علم اللغة العصبي Neurolinguistics هذه الجوانب و النزعات و الميول  
التي أزاحت الكثير من الغموض الذي كان يعتري الظاهرة اللسانية ، ذلك أن هذا العلم  
" علم اللغة العصبي " يعد فرعاً من فروع علم النفس طالما أنه يهتم بالمناطق المسؤولة  
عن الكلام ، و موقع الخطط التنظيمية و المورفولوجية و مقر الفهم و معالجة  
الدلالة...إلخ. (3)

لقد دعا تشومسكي في أكثر من موضع إلى دراسة اللغة بالكيفية ذاتها التي تدرس  
الأعضاء كالعين والقلب والدماغ ، و لذا فهو >> لم يفتأ يشدد على القطيعة مع التصورات  
الميتافيزيقية التي ترجع المعرفة التي يطورها ذهن الإنسان إلى ذات متعالية و ليس إلى  
أسباب وراثية متعلقة بالنوع البشري ، فإذا كانت التصورات العقلانية مكسبا مهما في تاريخ  
الأنساق الفلسفية للفكر الأوروبي ، فإن التوجه الذي ينبغي أن يسلكه الدرس اللساني لمقاربة  
بنيات الفهم لدى الإنسان يجب أن يكون استمراراً لذلك التاريخ من جهة افتراضه للمواقف  
التي على اللسانيات أن تسلكها لفهم بنية الدماغ البشري ، و انفصالاً عنه من جهة تحويل

(1) جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي، مناهجه و نظرياته و قضاياها ، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع و النشر و

التوزيع، ج 1، الإسكندرية ، ص 9

(2) رومان ياكيسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، تر: علي حاكم و حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، ط1،

2002، الدار البيضاء ( المغرب ) ، بيروت ( لبنان ) ص 90.

(3) جلال شمس الدين ، علم اللغة النفسي ، مناهجه و نظرياته و قضاياها، ص 9

النظر من المتعالي إلى الواقعي ؛ أي الأسباب الوراثية و النوعية المتعلقة بالجنس البشري و التي تؤدي إلى استعمال خلاق للغة. << (1)

إنّ تشومسكي لا ينسب القدرة اللغوية التي أبدعها الله في ذهن الإنسان إلى الذات الإلهية الخلاقة ، إنما مردها قوانين الطبيعة التي وجدت من تلقاء نفسها دون صانع مبدع ، رغم أنّ العديد من المتخصصين يعتقدون أنّ آراء تشومسكي حول اللغة تنسجم مع آراء الفكر الغربي الذي يرجع تاريخه إلى سفر التكوين في التوراة ، وكتابات أفلاطون و أرسطو و التي تميز العقل البشري تمييزا قاطعا عن دماغ الحيوان و بالتالي فهي تفسر اللغة الإنسانية بفكرة " الخلق " . (2)

و الحقيقة أنّ تشومسكي، يقف من هذه القضية موقفا شبيها بموقفه من النظرية الفطرية لديكارت إذ يأخذ ما يناسبه من " نظرية الانتخاب الطبيعي " الداروينية أيضا ، إذ يقول صراحة : << فتحوي اللغة الإنسانية خصيصة اللانهائية المتميزة، وهي خصيصة غير عادية ، بل ربما كانت فريدة ، و يصح الشيء نفسه على ملكة العد الإنسانية . و يمكننا أن نعد هذه الملكة شكلا " مجردا " من اللغة الإنسانية بعملية اللانهائية المتميزة و لو أنها لا تحتفظ ببعض الصفات الخاصة الأخرى للغة. و إذا سلمنا بهذا التصور فإن هذا ربما يفسر لنا حقيقة أن ملكة العد الإنسانية كانت متاحة على الرغم من عدم استعمالها في مسار النشوء التطوري للإنسان.

غير أنّ هذا التكهن لا يلمس مسألة أصل اللغة و لا يفسره . لكن ليس لدينا هنا إلا بعض التكهنات لا غير ، وهي تكهنات غير مقنعة أيضا. فربما يمكن أن نتكهن أن تغييرا ضئيلا حدث في فترة بعيدة جدا أدى إلى ظهور خصيصة اللانهائية المتميزة ، وربما كان

(1) حافظ إسماعيلي علوي ، امحمد الملاح ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1 ، 2009، لبنان ، الجزائر. ص 172.

(2) ينظر: حمزة قبلان المازيني، رأي تشومسكي في نشأة اللغة الإنسانية"، جريدة الحياة، العدد 12287،

الدافع إلى ذلك التغير أسبابا تتعلق بالخصائص الأحيائية للخلية ، و يمكن تفسير تلك الأسباب في إطار خصائص العمليات العضوية التي لا يحيط بها علمنا الآن . << (1)

معنى هذا أن الإنسان في مراحل تطوره عبر الحقب الزمنية كان دون اللغة الإنسانية الناضجة في شكلها الحالي، و نظام قواعدها المعقد، ثم بعد ارتقائه حدث تغير لنظام الخلية الجينية ، فأدى ذلك إلى ظهور ما يسميه تشومسكي بـ " الخصيصة اللانهائية المتمايزة " .

يقول أيضا في ذلك: >> و لنتلفت الآن إلى بعض التكهّنات عن التطور الإنساني. فمن المحتمل أن تغيّرا بسيطا حدّثَ عند نقطة معينة في تطور النوع الإنساني قبل مئات الآلاف من السنين، أي أن تغيّرا بسيطا مفاجئا حدث في خلايا الكائنات التي سبقت وجود الإنسان. و بسبب بعض قوانين الطبيعيات التي لم يتيسر فهمها بعد، أدى هذا التغير البسيط إلى تمثيل عمليات " اللانهائية المتمايزة" في العقل / الدماغ. و هذه الخاصية ، أي التميز غير النهائي، هي المفهوم الأساسي للغة. و نظام الأعداد كذلك. و قد جعلَ تمثيلُ هذه الخاصية في العقل / الدماغ التفكير ممكنا، ذلك إن أخذنا التفكير بمعناه المتداول. و بسبب ذلك تمكّن الإنسان أو أسلافه من القيام بما يتجاوز مجرد ردود الأفعال للحوافز، و القيام بصياغة بنى معقدة مستخلصة من الكون الذي يتخيله. فربما كان أصل اللغة هو هذا.

و لدراسة أصل اللغة تاريخ طويل يُتساءل فيه عن الكيفية التي أمكن بها للغة أن تنشأ من صيحات القردة و غير ذلك. و هذا النوع من الدراسة مضيعة للوقت في نظري، لأن اللغة تقوم على مبدأ مختلف تماما عن أي مبدأ يقوم عليه نظام اتصالي آخر. و من المحتمل أن الإيماءات الإنسانية تطورت عن أنظمة اتصالية حيوانية ، لكن ذلك لا يصح عن تطور اللغة الإنسانية، فلها مبدأ مختلف كليا. << (2)

إن تشومسكي لا يرد أصل اللغة الإنسانية لنظرية الانتقاء الطبيعي صراحة فهو يرى أنها غير قادرة على تقديم تفسير واضح لظاهرة اللغة البشرية و لكنه يقدم تعديلا لها مفاده

(1) نعوم تشومسكي، اللغة و مشكلات المعرفة ، ص 231 - 232.

(2) المصدر نفسه، ص 251-252

أن ثمة سمة تطورية أو طفرة بيولوجية حدثت في المسار التاريخي الإنساني و ذلك في نظام الخلية الجينية جعلت اللغة تظهر عند الانسان ، حيث يواصل كلامه السابق قائلاً: >> و يمكن لنا أن نتصور قبل أن توجد خصيصة اللانهائية المتميزة كيف كان يمكن لبني الإنسان أن " يفكروا أفكارا" لها طبيعة محددة ما ، لكن حين وُجدت هذه الخصيصة استطاع ذلك الجهاز التصوري نفسه أن يصوغ بعض الأفكار الجديدة ، و أن يقوم بعمليات جديدة كالاستنتاج ، مما له علاقة بتلك الأفكار ، كما أنه كان من الممكن عندئذ أن يعبر عن تلك الأفكار و تتبادل . و عند تلك النقطة ربما أمكن للضغوط النشئية التطورية أن تتخذ التطورات اللاحقة لهذه الملكة و لوجزئيا في الأقل. << (1)

و قد أجاب عن سؤال طُرح عليه في المحاضرة الخامسة من محاضرات ماناجوا حول مرد تشابه اللغات الإنسانية إن كان سببه الأصل الواحد لها، ردّ قائلاً : >> ربما كان هذا الافتراض واردا ، لكنه ليس مؤكداً بأية حال. وهو سؤال يتعلق بالسؤال عن كيفية تطور الإنسان . فمن المحتمل جدا أن يكون هناك أصل مشترك للإنسان، لكن تطور اللغة حدث بعد تفرع هذا الإنسان إلى فروع عدة. و قد تطور النظام اللغوي بالطريقة نفسها بسبب بعض الحقائق الأحيائية و الحقائق الطبيعية . << (2)

لقد ساد في أواخر القرن التاسع عشر و إلى القرن العشرين منهجان علميان يدرسان الكائن الحي ، و كان المنهج الأول ينطلق من فرضية أنّ الكائن الحيّ مزود بشفرة وراثية تحدد الخصائص المطردة للنوع .

بينما ذهب المنهج الثاني إلى أن تلك الخصائص لا تعود لبنية وراثية على الإطلاق، و هذه التطورات في مجال علم الأحياء و التعمق في دراسة البنية الداخلية للكائنات الحية و في علم النباتات تعزو خصائص الأنظمة الداخلية لها إلى قوانين طبيعية داخلية خاصة. إن تطور الدراسات في مجال علم الوراثة و الصبغيات >> استثمرها تشومسكي في نظريته تحت مفهومي النحو الكلي والنحو الخاص ، فالنحو الكلي هو مجموعة القوانين

(1) المصدر السابق ، ص 232

(2) المصدر نفسه، ص 259

الوراثية التي يتقاسمها البشر ، و من هذه الجهة يماثل مفهوم النموذج الوراثي الضروري لبناء النموذج النوعي المكتسب فمثلا يعد النحو الكلي ضروريا لاكتساب لغة معينة من خلال تثبيت برامترات تحددها التجربة المحيطة ، فذلك النموذج الوراثي عند البيولوجيين ذو أهمية لتطور العضويات التي تفاعلها مع المحيط . << (1)

إن تأثر تشومسكي بالعلوم الطبيعية جعله يوظف فرضياتها في دراسة اللغة من نفس الخلفية التي انطلقت منها . و هذا ما جعل الكثيرين ( المعارضين لآراء تشومسكي والمؤيدين ) يفسرون آراءه تفسيراً انتخابياً طبيعياً ، بل إن بعضهم يسلم أن تشومسكي بنى نظريته اللغوية انطلاقاً من التصورات التي وصل إليها داروين في نظريته التطورية وفقاً لمبدأ " الانتخاب الطبيعي " .

و لهذا فإن نقاد تشومسكي ينكرون عليه ربط طبيعة اللغة الإنسانية بنظرية داروين " الارتقاء أو الانتخاب الطبيعي " خاصة فيما يتعلق بمسألة أصل اللغة و تعدد اللغات الإنسانية. إن مسألة تعدد اللغات التي تبدو للسانيين مسألة جد معقدة يصعب تفسيرها ، رغم أنهم يعتقدون أنها ترجع إلى التمرکز العرقي و إلى تميّز الأجناس البشرية ، و مع ذلك فهم لم يتوصلوا بعد لفهم أسباب وجود أكثر من لغة و في هذا الصدد يفسر داروين ذلك قائلاً : >> إن تكون اللغات المختلفة و الأنواع المتميزة و البراهين على أنهما كانا نتيجة للتطور التدريجي ، متوازيان بصورة لافتة للنظر ... فنحن نجد في اللغات المتميزة تماثلات واضحة يعود سببها إلى الأصل الواحد للجماعات ، و تشابهات تعود إلى تكون اللغات بصورة متشابهة ... فاللغات ، مثل الكائنات الحية يمكن أن تصنف في مجموعات تتفرع من مجموعات أخرى ، و تنتشر اللغات و اللهجات القوية على مساحات واسعة ، و هو ما يعود إلى الانقراض التدريجي للألسنة الأخرى . كما أن اللغة مثل الأنواع الأخرى لا تعود إلى الحياة مرة أخرى إذا ما انقرضت . << (2)

(1) حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاح ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 174

(2) Darwin : Languages and Species, 1874, p 106

- نقلا عن كتاب : ستيفن بنكر ، الغريزة اللغوية ، ص 309

فداروين هنا يشبه اللغات الإنسانية بالكائنات الحية ، فحسب نظريته التطورية مثلما هناك كائنات حية متشابهة في التكوين الفيزيولوجي ، كالسنيورات مثلا ( الأسود ، الفهود و النمور) و تشابههما يعود للأصل الواحد الذي تفرعت منها هذه المخلوقات هناك لغات تتشابه أيضا ، >> فالإنجليزية والألمانية كلتاهما تشكلان متغيرات للغة مشتركة أم ، كانت تُتكلّم في الماضي بل لقد زعم داروين أنه أخذ بعض أفكاره عن التطور الأحيائي من علم اللسانيات الذي كان سائدا في عصره . << (1)

إن تشابه اللغات الإنسانية قد يعود إلى كونها فعلا تنحدر من أصل واحد و ذلك لأن الإنسان يعود لأصل واحد وهو آدم عليه السلام ، قال تعالى: { **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّمَا نُهِىَ عَنْهَا فَسَاءَ فَمَا كُنَّ لِلشَّيْطَانِ وَجَدًا مُبِينًا** } (2)

و لأن العقل البشري أيضا واحد في تكوينه، و إنما بدأت الألسن تختلف و تتنوع لأنها إرادة الله عز وجل مضت في جعل البشرية شعوبا متنوعة ، قال تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** } . (3)

فالتنوع اللغوي كان نتيجة للتنوع العرقي ، و لتمرکز كل عرق على ذاته و كان نتيجة للتدرج الديمغرافي و حركة هجرة الشعوب عبر الحقب التاريخية . قال تعالى في كتابه العزيز : { **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوُجُوهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ** } . (4)

(1) ستيفن بنكر ، الغريزة اللغوية ، ص 310

(2) سورة البقرة ، الآية 31

(3) سورة الحجرات ، الآية 13

(4) سورة الروم ، الآية 22

لكن الطبيعيين و التجريبيين الماديين لا يسلمون بقدره الله عزّ و جلّ، و لذا فهم لن يؤمنوا بهذه التفسيرات، التي تبدو ميتافيزيقية في نظرهم. خاصة أنّ علوم التشريح و البيولوجية الحديثة تثبت صحة ما ذهب إليه داروين من تشابه الأحياء في التكوين البيولوجي كتشابه السينوريات ( القطط البرية الضخمة ) و الطيور بل كل الكائنات الحية. و لكن لا يمكن عقد مماثلة بين الأنظمة الاتصالية للكائنات الحية الأخرى و بين اللغة الإنسانية التي تصدر عن كائن ميّزه الله بعقل شديد التعقيد و الغموض ، يتميز بالفطنة و الذكاء و التفرد. و رغم ما يدعيه علماء الأحياء من أن جميع الكائنات الحية تتميز بسمة " التعلّم "، إلا أن " التعلّم " الذي يحدث داخل العقل الإنساني لا يمكن أن تضاهيه أي عملية " تعلم " تقوم بها الكائنات الأخرى ، فالتعلم عند الكائنات الأخرى تعلم غريزي ، بينما التعلم عند الإنسان هو تعلم واعٍ تتحكم فيه الكثير من العمليات الذهنية كالإدراك و الفهم و الاستنتاج و الاستقراء و الاستنباط ... إلخ .

و استنادا إلى نظرية " الارتقاء الطبيعي " لداروين كما يفهمها أغلبية الناس فإن الإنسان قبل ارتقائه لمرحلة الإنسانية كان " شمبانزيات " و هي نوع من القرود العليا، ( علما أنّ هذا ما يزعمه ليومنا هذا الداروينيون المحدثون من علماء البيولوجية الغرب أمثال ريتشارد دوكنز<sup>(\*)</sup> ) ، لا تملك أية خاصية من خصائص اللغة الإنسانية، ثم في مرحلة تطوره امتلك شكلا من أشكال اللغة الأولية أي النحو الكلي ، الذي قد >> ظهر أول ما ظهر ... بعد الفرع الذي يقود إلى انفصال بني الإنسان عن الفرع الذي يقود إلى الشامبانزيات. و ربما كانت النتيجة أن تلك الشامبانزيات لا لغة لها و هو ما يعني تقريبا مرور خمسة ملايين سنة إلى سبعة ملايين، يمكن فيها للغة أن تتطور بشكل تدريجي ...

(\*) "عالم سلوك الحيوان و عالم أحياء تطوري، و كاتب و زميل فخري للكلية الجديدة في أوكسفورد، و أستاذ الفهم العام للعلوم منذ 1995 حتى عام 2008. يحمل دوكنز زمالة الجمعية الملكية، و هو زميل الجمعية الملكية للأدب. ظهرت شهرة دوكنز بدايةً بعد كتابه الجين الأناني ، و الذي أشاع وجهة نظر ارتكاز التطور على الجينات، و صاغ فيه مصطلح ميم. في كتابه النمط الظاهري الموسع (عام 1982) أدخل في علم الأحياء التطوري مفهوماً مؤثراً و هو أن التأثيرات الظاهرية للجين ليس بالضرورة أن تقتصر على جسم المتعضية، بل يمكن أن تمتد في البيئة. أسس عام 2006 مؤسسة ريتشارد دوكنز للعلوم و المنطق. عُرف دوكنز بكونه ملحداً و منتقداً للخلقية و التصميم الذكي. في كتابه صانع الساعات الأعمى (عام 1986)، يحاجج دوكنز ضد تشبيهه صانع الساعات ، بأن تعقيد المتعضيات الحية دليل على وجود خالق خارق. يصف دوكنز العمليات التطورية بأنها "صانع ساعات أعمى" في التكاثر و التحور و الاختيار، باعتبارها عمليات غير موجهة من أي مُصمّم. يدّعي دوكنز في كتابه وهم الإله (عام 2006) أن فكرة الخالق الخارق لا وجود لها و أن الإيمان الديني وهم. كما أن دوكنز يعارض تدريس الخلقية في المدارس. حصل دوكنز على جوائز أكاديمية و جوائز كتابية مرموقة عديدة، كما أن له ظهوراً منتظماً على التلفاز و الراديو و الإنترنت، حيث يناقش خلالها كتبه، و إلحاده، و آرائه و أفكاره كمتكفّف عام." نقلا عن: ( ريتشارد دوكنز <https://ar.wikipedia.org/wiki/> )

و لهذا فإنه إن ظهر أول أثر للقدرة على ما قبل اللغة لدى السلف ... فإنه من المحتمل أن يكون بين ذلك الحين و الوقت الحاضر ما يقرب من ثلاثمائة و خمسين ألف جيل و هو ما يمكن فيه للقدرة أن تتطور و تنهذب لكي تتوافق مع صورة النحو الكلي الذي نراه اليوم. << (1)

و هنا ينشأ التناقض فإذا ما حاولنا أن نسلّم بهذا الزعم مؤقتا كيف يتمتع الإنسان بوجود اللغة بينما كان أصله الأول الشامبانزي محروما منها ؟

>> من الواضح أن الجواب على ذلك لا بد أن يكون بالنفي . و ذلك أن أدمغتنا و أدمغة الشامبانزيات و أدمغة آكلات النمل يحوي كل منها التوصيلات الخاصة بها ، فلا يمكن لهذه التوصيلات أن تتغير تبعا لبقاء نوع من الأنواع في قارة أخرى أو فنائه، و محصلة هذه التجارب العقلية أن التدرج الذي اهتم به داروين كثيرا ما ينطبق على تسلسل أفراد الأحياء في شجرة أسرية كثيفة لا على الأنواع الحية بكاملها في سلسلة عظيمة واحدة، ... فإن لا يمكن أن يلد قرْدُ سلفٌ ، لا يتميز إلا بالشخير و النخير طفلا يستطيع تعلم الإنجليزية << (2) أو أية لغة من اللغات الإنسانية .

إن ما يعيبه نقاد تشومسكي من ربط نظريته و تأسيسها على أسس قوية لنظرية " الانتخاب الطبيعي" لداروين مرّده إلى ما توحى به بعض كتاباته السابقة ، حيث جعلت العديد من الباحثين العرب " كالأوراجي" مثلا و الغرب " جون ماينارد سميث" يحسبون أن تشومسكي يزعم أن تفسير نشأة اللغة عند الإنسان مرده إلى الانتخاب الطبيعي. مع أنّ تشومسكي نفسه يفتد هذا الزعم في كتابات أخرى . حيث ينفي إرجاع البنية العقلية الفطرية إلى الانتخاب الطبيعي . ذلك أن نظرية الانتخاب مجرد زعم ما دام لا يوجد دليل مادي يؤكد على وجود النحو الفطري ( الحالة الأولية للغة التي نشأ عنها النحو الكلي ) عند الأنواع الأحيائية الأخرى غير الإنسان . و من غير السهل تخيل مسارا للانتخاب الطبيعي الدارويني على أنه تمهيد أولى لأنظمة اللغة الإنسانية المعقدة بنحوها و تراكيبيها

(1) ستيفن بنكر ، الغريزة اللغوية ، ص 437-438

(2) المرجع نفسه ، ص 439



وقوالها<sup>(1)</sup>، و لكنه في الوقت نفسه ينطلق من الفرضية التطورية المنبثقة عن الانتخاب الطبيعي لتفسير نشأة اللغة الإنسانية ، و ذلك بنموذج **الخصيصة اللامتناهية** التي ظهرت في مرحلة ما من مراحل انفصال الإنسان عن الفرع الذي يقود إلى الشامبرنزيات، رغم أنّ الجهود الآلية في نقل النظريات البيولوجية الداروينية إلى علم اللغة قد فشلت فشلا ذريعا<sup>(2)</sup>.

و لذا لم يسلم من الانتقادات حول هذه النقطة، فراح كثير من علماء النفس >> الذين لا يطبقون سماع بعض الحجج التي تصلح أن تتحول إلى شعارات ، يثورون في وجه مثل هذه الآراء ويستهزئون به فيصفونه بأنه ينتمي إلى أولئك الذين يعتقدون بفكرة الخلق لكنهم يعبرون عن موقفهم بطريقة مظللة <<<sup>(3)</sup>، و في اعتقادي أنه لا يؤمن بفكرة الخلق و لا يصرّح جهارا باستثماره لنظرية داروين الأحيائية لكنه يعبر عن موقفه من هذا الأمر تبعا لرؤى خاصة<sup>(\*)</sup>. فهو ليس مع هذا و لا مع ذاك و لكنه يأخذ من كل جانب ما يتلاءم

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص 449 - 450

(2) ينظر: رومان ياكيسون، الاتجاهات الأساسية لعلم اللغة ، ص 88 - 89

(3) ستيفن بنكر ، الغريزة اللغوية ، ص 450

(\*) لقد أرسلت له رسالة إلكترونية، طرحت عليه فيها مجموعة من الأسئلة حول هذه المسألة، إلا أنه لم يجيني إجابة قاطعة وواضحة حول هذا الأمر. و هذا نص رسالتي له بالإنجليزية و رده عليها مع الترجمة: "

Good evening,

Dear Professor. Chomsky, I'm very glad to email you. I hope that you are feeling great and having a nice cozy time over there .

At first, let me introduce myself to you, sir. I'm Asma Benmansour from Algeria, a researcher in Linguistics field, and I'm currently preparing my PhD about your theory ( The Grammar Universal ). Therefore, I would like to ask some questions. Would you please answer them ?

When you say that the language faculty is an instinctive gift or an innate given and people were born with it. It has appeared in the human race for millions of years through what you call « The Infinite Property » , do you mean by this that you don't believe or think that the human language was given to us ( the mankind) by The God who created us?? I mean do you rely on The Natural Upgrade of Darwin in this point of view of yours ??

Thanks for your patience. I look forward to hearing from you soon .

- Sincerely -

Asma Benmansour. Batna University. Algeria

مساء الخير ،  
سيادة البرفيسور تشومسكي، أنا جد سعيدة للاتصال بكم، أمل أن تكونوا بخير و تتمنون بوقت طيب هناك.

و اعتقاداته و أفكاره، و الأمر شبيهه بأخذه عن ديكرات الأفكار الفطرية التي توصلنا لمعرفة الذات الإلهية التي وظفها في فكره اللساني.

---

بداية، اسمحو لي أن أقدم نفسي، أنا أسماء بن منصور من الجزائر، باحثة في حقل اللسانيات، أقوم حالياً بتحضير أطروحة الدكتوراه حول نظريتك ( النحو الكلي)، لأجل ذلك يسرني أن أستفسر عن بعض الأشياء، هلاً أجبتموني من فضلكم؟

عندما تقولون أن الملكة اللغوية هي هبة غريزية أو معطى فطري و الناس ولدوا مزودين بها، و قد ظهرت في الجنس البشري منذ ملايين السنين عبر ما تسميه بالخاصية اللانهائية المتميزة، معنى هذا أنكم لا تسلمون بفكرة الخلق؟ لا تؤمنون بأن هذه اللغة قد منحها الله لنا ( الجنس البشري ) ؟ لأكثر دقة، هل تستندون إلى نظرية الانتخاب الدارويني في رأيكم هذا؟

شكراً لصبركم ، أتطلع أن أتلقى الرد منكم قريباً.  
- تحياتي الخالصة -

أسماء بن منصور، جامعة باتنة، الجزائر.

و كان رده كما يلي:

The best current evidence suggests that the human language faculty developed along with modern humans, about 200,000 years ago, or not long after. There is no reason to doubt that it developed in the usual manner of evolution of other biological systems.

تشير أفضل الأدلة الحالية إلى أن الملكة اللغوية البشرية تطورت جنباً إلى جنب مع البشرية الحديثة، قبل حوالي 200,000 سنة، أو ليس بعد فترة طويلة. وليس هناك ما يدعو إلى الشك في أنها تطورت بالطريقة المعتادة لتطور النظم البيولوجية الأخرى.

## الفصل الثاني

### - أطوار نظرية النحو الكلي

أولا : تجاوز أطروحات سوسير

أ- اللسانيات التعاقبية التاريخية

ب - اللسانيات الوصفية الآنية

ج - اللغة، اللسان، الكلام

د - الدال و المدلول

ثانيا : رفض مفاهيم السلوكيين

أ- التيار البنيوي السلوكي

ب - الإشرطي الكلاسيكي لبافلوف

ج - المدرسة السلوكية الأمريكية ( واطسون -

سكينر)

ثالثا: من النحو التوليدي التحويلي إلى النحو الكلي

أ- النحو التوليد التحويلي

ب - النحو الكلي

## - تمهيد -

مرت نظرية النحو الكلي بعدة مراحل استغرقت من تشومسكي زمنا طويلا كي يصل بها إلى الصورة العميقة و المعقدة التي بلغتها الآن. فهو لا يتوقف عند حد معين ، إذ ما يبرح يُعدّل و يطور حتى استحدث مصطلحات جديدة، و نظريات فرعية تضاف إلى النظريات السابقة ليصل في الأخير إلى جهاز مفاهيمي ضخم يضم العديد من النظريات المقننة التي اعتمد في صياغتها على العلوم الرياضية.

إن رفضه للمناهج التي كانت سائدة في الخمسينيات لدراسة اللغة الإنسانية جعله يدعو لتجاوز اللسانيات البنيوية الكلاسيكية في نسختها الأوروبية و الأمريكية معا ذلك أنهما – حسب رأيه- مرحلة و من الضروري تجاوزها للأبد، بغية الاهتمام بالأجدر بالدراسة وهو ما تحويه أدمغة / أذهان المتكلمين.

حيث جاء بمنهج جديد في دراسة اللغة و أنشأ نظرية عُرفت بـ " النظرية التوليدية التحويلية " التي سرعان ما ذاع صيتها و انتشر أثرها انتشارا مذهلا حتى طال حقولا معرفية أخرى غير اللسانيات كعلم النفس و علم الأحياء.

غير أنه استند أول الأمر في منهجه الجديد لدراسة اللغة إلى أرضية صلبة أسسها اللسانيون الوصفيون الذين جاءوا قبله في أمريكا متمثلة في المنهج " التوزيقي " الذي ظهر على يد بلومفيلد و تطور على يد هاريس ، فإنما تأثرا بالاتجاه التوزيقي الذي تزعمه أستاذه زيلغ هاريس انتهج مبدأ تحليل الجملة اعتمادا على ما يحيط بالكلمة من زيادات، فمن هذه البؤرة أوجد قواعده لإعادة كتابة الجمل.

و الحقيقة أننا نجد هذا عند كل من أستاذ هاريس نفسه " هوكت Hokett " في علبه المتداخلة، كما نجده عند " والس Wells " في أقواسه.

## أولاً: تجاوز أطروحات سوسير

لقد أحدث سوسير ثورة انقلابية في مجال علم اللغة الحديث، و ذلك بمحاضراته التي جمعها تلاميذه بعد وفاته في كتاب ذاع صيته بين اللغويين لأمد طويل، جاء تحت عنوان "دروس في اللسانيات العامة Cours de Linguistique Général".

دعا سوسير إلى دراسة اللغة لذاتها و من أجل ذاتها دراسة وصفية تعالج نظامها و قواعدها، تتجاوز الدراسات التاريخية و المقارنة، التي أضحت منهاجاً مكروراً في زمنه درجة إهمال العديد من الجوانب اللغوية الأجدر بالبحث و التقصي كقضية البنية (النسق) (structure).

و قد جاء دو سوسير بعدة مبادئ أرست ما يعرف باللسانيات البنوية الأوروبية، و شغلت جمهور اللغويين من بعده، كتمييزه بين الدراسة الآنية الوصفية للغة و الدراسة التاريخية التعاقبية.

كما عدّ اللغة نظاماً من الإشارات هدفه التواصل الاجتماعي، ولذا فهي ظاهرة اجتماعية، و ميّز بين اللسان (Langage) و اللغة (Langue) و الكلام (Parle)، كما ميّز بين الدال و المدلول، و لنقف وقفة وجيزة عند هذه المبادئ :

أ . **اللسانيات التاريخية التعاقبية** : و يقصد بها الدراسة التي تهتم بالتعقب المرحلي للظواهر اللغوية عبر عقب زمنية. فاللغة (La langue) نظام تواصلية يمتلكه كل الأفراد ضمن مجتمع معين تميزه خصائصه الثقافية و الاجتماعية، و لهذا فهو قابل للتعقب التاريخي لتتبع التغيرات التي طرأت عليه عبر العقب التاريخية .

يقول سوسير : >> لا يدرس علم اللغة الدايكروني Diachronic العلاقات بين العناصر الموجودة في حالة لغوية ، بل العلاقات بين عناصر متعاقبة يحل كل عنصر منها محل العنصر الآخر بمرور الزمن.

إن عدم التغيير المطلق لا وجود له. فكل جزء من اللغة يخضع للتغيير . و يعود لكل فترة ، شيء من التطور الملموس. و قد يختلف التطور في سرعته و شدته ، و لكن هذا لا يؤثر في صحة مبدأ التغيير ، فجدول اللغة يجري من دون انقطاع ، و سواء كان المجري هادئاً أو هائجاً فذلك أمر ذو أهمية ثانوية . << (1)

**ب. اللسانيات الآنية الوصفية ( التزامنية ) :** وهي الدراسة اللسانية التي يقصد بها وصف بنية اللغة و تحليلها في ذاتها ومن أجل ذاتها دون اقحام الأثر الذي تركته الحقب الزمنية على هذه اللغة .

>> يهدف علم اللغة التزامني العام إلى وضع المبادئ الأساسية لأي نظام اديوسنكراسي أي لمكونات أية حالة لغوية... و يعود إلى السنكرونية كل ما يطلق عليه " بالنحو العام " لأننا لا نستطيع أن نتوصل إلى العلاقات المختلفة التي هي موضوع النحو إلا عن طريق دراسة الحالات اللغوية. << (2)

لكن سوسير يرى أن الدراسة الوصفية للغة أكثر أهمية من الدارسة التاريخية ، ذلك أن في الدراسة التاريخية تكون >> حقائق التطور ملموسة واضحة أكثر من غيرها. و علاقاتها المرئية تربط بين العناصر، المتعاقبة زمنياً ، التي يسهل فهمها . فتتبع سلسلة التغييرات من الأمور السهلة بل من الأمور المسلية ، أمّا علم اللغة الذي يعالج القيم و العلاقات المتزامنة فتكثر فيه الصعوبات. << (3)

(1) فردينان دو سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، مرا: مالك يوسف المطلبي، آفاق عربية ، 1985،

بغداد ، ص 163

(2) المرجع نفسه ، ص 120

(3) المرجع نفسه ، ص 120

واللسانيات الآنية في نظر سوسير هي موضوع اللسانيات والأهم و الأجدر بالدراسة (دراسة اللغة وفقها)، فدعا إلى تغيير مسار الدرس اللساني و ذلك بالكف عن النباش عن الأصول التاريخية للغات ، و الانتقال إلى دراسة طبيعة اللغة و وصف مستوياتها، نسقها و بنائها الداخلي ، إضافة إلى علاقة وحداتها اللغوية بعضها ببعض. ذلك أنّ دارسي اللغة وفقا للمنهج التاريخي لا يرون في دراسة اللغة >> هدفا يُطلب للدراسة في ذاته ، كما هو الشأن لدى البنيويين، بل ينظرون إليه على أنه وسيلة من أجل تتبع تشكيلة اللغة التاريخية و تطورها، و من أجل التعرف على جميع أنواع الوقائع الخارجة عن المدى اللغوي faits extralinguistiques مأخوذة من تاريخ الثقافة و القانون و الدين، و بالتالي فهم يستبعدون المسائل المتعلقة – على المستوى الداخلي للغة – بجوهر النظام اللساني نفسه و طبيعته. << (1)

### ج- اللسان ( le langage ) اللغة ( la langue ) والكلام ( La parole )

**1. اللسان ( Le langage ) :** وهو الملكة الإنسانية التي يمتلكها الإنسان ويتميز بها عن غيره من المخلوقات ، إن اللسان يشمل ظواهر عديدة فهو >> متعدد الجوانب ، غير متجانس – فيشمل على عدة جوانب في آن واحد- كالجانب الفيزيائي ( الطبيعي) و الجانب الفسيولوجي ( الوظيفي) و الجانب السايكولوجي ( النفسي). و اللسان ملك للفرد و للمجتمع . << (2)

**2. اللغة ( la langue ) :** هي النظام التواصل الذي يمتلكه كل فرد ينتمي إلى مجتمع ما ، إنها ما يسميه تشومسكي باللغة المحددة Particular Language كالإنجليزية، الفرنسية و العربية. إنّ اللغة >> جزء محدد من اللسان، مع أنه جزء جوهرى – لاشك –

(1) الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية ( دراسة تحليلية إبستمولوجية) لطلبة معاهد اللغة العربية و للباحثين في الدراسات اللسانية الحديثة، دار القصة للنشر ، 2001 ، الجزائر، ص 48  
(2) دو سوسير، علم اللغة العام ، ص 27

اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان و مجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفرادها على ممارسة هذه الملكة. >> (1)

**3. الكلام ( la parole ) :** و هو الأداء الفعلي للغة . و قد أقصى دو سوسير اللسان من الدراسة اللسانية لأنه ظاهرة عامة بين البشر ، كما أقصى الكلام من اهتمامات علم اللغة لأنه فردي و متغير من لحظة لأخرى، و من ثم فهو غير قابل للدراسة العلمية و دعا إلى دراسة اللغة (La langue) لأنها نتاج اجتماعي لملكة اللسان .

لكنه يرى أن الكلام ضروري لتحصيل اللغة، إذ يقول: >> إن الكلام ضروري لتثبيت أركان اللغة، و الكلام يأتي أولا من الناحية التاريخية ، إذ كيف يمكن للمتكلم أن يربط فكرة ما بصورة للكلمة ، إذا لم يكن قد وجد هذا الربط في أحد أفعال الكلام؟ كما إننا نتعلم لغتنا بالإصغاء إلى غيرنا. فاللغة لا تستقر في الدماغ إلا بعد عدد من الخبرات ، و أخيرا يكون الكلام السبب في تطور اللغة : فالانطباعات التي نحصل عليها من الإصغاء إلى الآخرين تتجمع فتؤدي إلى تحوير السلوك اللغوي عندنا. فاللغة و الكلام إذن يعتمد أحدهما على الآخر ، مع أن اللغة هي أداة الكلام و حصيلته >> (2)

هذا الجدول يوضح أهم الفروق التي ميز بها سوسير بين اللغة و اللسان و الكلام (3):

اللسان	اللغة	الكلام
وقائع خارجية و داخلية	نظام داخلي	خارجي و داخلي
ملكة بشرية	قواعد تواضعية ذهنية لممارسة ملكة اللسان	تجسيد آلي فعلي لنظام اللغة
اللسان موجود بالقوة	اللغة موجودة بالفعل / القوة	الكلام موجود بالفعل
تشمل الفردي و الجماعي	نتاج اجتماعي لملكة اللسان	نتاج فردي لملكة اللسان

(1) المرجع السابق، ص 27

(2) المرجع نفسه ، ص 38

(3) الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية ( دراسة تحليلية إبستمولوجية)، ص 72



يعود إلى قدرة طبيعية (الدماغ و جهاز التصويت)	تخضع لقدرة تنسيقية تواضعية يكتسبها الدماغ من المجتمع	يخضع للآلية النفسية الفيزيائية
قوة طبيعية فطرية	ممارسة اتفاقية مكتسبة	
يصعب تصنيفه	قابلة للتصنيف لكونها ذات بنية	
	اللغة تؤخذ من الكلام	الكلام سابق عن اللغة
	اللغة نظام يضبط قواعد الكلام و يوجهه	دراسة الكلام تساعد على اكتشاف اللغة
	اللغة متموضعة خارج إرادة الفرد	الكلام مرتبط بإرادة الفرد
	دراسة اللغة غاية في ذاتها	دراسة الكلام وسيلة

**د- الدال و المدلول:** في دراسته للعلامة اللغوية Sign، ميز سوسير بين الدال و المدلول . و انتقد ذلك الرأي السطحي الذي يعد جوهر اللغة >> عملية لتسمية الأشياء ليس إلا- أي أنها قائمة من الألفاظ ، كل لفظة تدل على الشيء الذي تسميه <<. (1)

اعتبر سوسير الدال مجموعة أصوات أو هو التتابع الصوتي لكلمة ما، أما المدلول فهو الصورة الذهنية لهذا التتابع الصوتي . لكن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة عشوائية اعتبارية أي أنها غير قابلة للتبرير العقلي ، إذ لا صلة بين صورة كلمة " أخت " مثلا و تتابعها الصوتي (أ. خ. ت).

>> إن العنصرين اللذين يدخلان في الإشارة اللغوية هما ذو طبيعة سايكولوجية ، يتحدان في دماغ الإنسان بأصرة التداعي ( الإيحاء ) ، و هذا أمر ينبغي تأكيده . فالإشارة اللغوية تربط بين الفكرة و الصورة الصوتية . و ليس بين الشيء و التسمية. و لا يقصد بالصورة الصوتية ، الناحية الفيزيائية للصوت بل الصورة السايكولوجية للصوت ،

(1) دو سوسير ، علم اللغة العام، ص 84

أي الانطباع أو الأثر الذي تتركه في الحواس. إذن فالصورة الصوتية هي حسية ( لها علاقة بالحواس ) . << (1)

>> لقد تبني سوسير، عند نهاية أنشطته العلمية، التصور الرواقي للعلامة اللفظية الثنائية المؤلفة من الدال ، المُدرَك حسيًا ، و المدلول المدرك عقليًا. و لقد أدرك سوسير بوضوح أن هذين العنصرين متحدان اتحادًا صميميًا "يقتضي أحدهما الآخر" ، بيد أنه بيّن أن الربط بين الدال و المدلول هو ربط اعتباطي ، و أنّ نظام اللغة الكلي يبني على المبدأ اللاعقلاني عن اعتباطية العلامة . << (2)

و هذه المبادئ عرفت بثنائيات دو سوسير (\*) و هي مبنوثة في كتب علم اللغة الحديث.

يتفق تشومسكي مع دو سوسير في بعض ثنائياته فإذا كان سوسير يُعرّف اللغة (la langue بالمخزون القواعدي الكامن في الذهن الجماعي، فإن تشومسكي يسمي ذلك المخزون القواعدي و المعجمي بـ "البنية العميقة" أو ما يطلق عليه في أعماله المتأخرة بـ " اللغة المبنية داخليا". و يطلق سوسير على الأداء الفعلي لتلك القواعد بالكلام (la parole ) ، بينما يسميه تشومسكي بـ " الأداء " أو " اللغة المجسدة " ، و هي بمثابة تمثيل صوتي لجزء بسيط جدا لما تشتمل عليه المعرفة اللغوية.

و تكمن نقطة تجاوز تشومسكي لأطروحات سوسير في موضوع الدرس اللغوي حيث أكد سوسير أن موضوع اللسانيات هو اللغة (La langue) و هو ما يعرف عند تشومسكي

(1) المرجع السابق ، ص 84- 85

(2) رومان ياكبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، ص 29 ، 30

(\*) للتوسع في مبادئ سوسير ينظر : شفيقة العلوي ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 9 - 16. و ينظر : سمير استيتيه ، اللسانيات المجال و الوظيفة ، عالم الكتب الحديث ، جدار للكتاب العالمي، ط1 - ط2 إربد ( عمان)، 2005 - 2008، ص 161 - 164. و ينظر: جرهارد هلبش ، تاريخ علم اللغة الحديث ، تر: سعيد حسن بحيري ، ص 67 - 85. و ينظر : ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ( في الغرب)، تر: أحمد عوض ، عالم المعرفة ( سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ) 1997، الكويت ، ص 285 - 290. و ينظر: محمد المختار ولد أباه تاريخ النحو ( في المشرق و المغرب)، دار الكتب العلمية ، ط1- ط2، 1996، 2008، بيروت ( لبنان) ، إيسيسكو ، ص 546 - 548

باللغة المعينة أو المحددة مثل : الإنجليزية والعربية والفرنسية ... إلخ، بينما أصرّ تشومسكي على ضرورة دراسة المخزون القواعدي الكامن في العقل أي البنية العقلية، فهو >> يبحث عن بناء نظرية للأبنية اللسانية دون الرجوع إلى لغة ... << (1) محددة، لذا فاللسانيات البنيوية في نظره محض حقبة على اللغوي تجاوزها ، ويعدها >> مرحلة لا غاية قصوى فيجب على اللغوي أن يبتكر مناهج جديدة لتحليل المستوى التركيبي بل اللسان كله هذا وقد أغفلت البنيوية الكلاسيكية ولم تول أي اهتمام لتلك الميزة البشرية الأساسية المتمثلة في قدرة الإنسان على إحداث جمل غير متناهية العدد لم يسمعها ولم يتفوه بها قط من ذي قبل و في نفس الوقت قدرته على إدراك عدد لا متناهٍ من الجمل ما سمعها ولا تفوه بها قط من قبل . << (2)

كما أنّ >> سوسير لم يعتبر النحو جزءا من المقدرة اللغوية Langue أي من بنية لغة معينة. فترتيب الكلمات في جملٍ عمل يقوم به الأفراد في مناسبات معينة، و ليس شيئا تؤديه اللغة مرة واحدة وحسب. و هناك أنواع لا حصر لها من الجمل الممكنة في أية لغة بالرغم من أن مجال الشارات signs السوسيرية المتاحة ( أي الكلمات المتاحة بصورة عامة ) محدود في أية لغة من اللغات. و بالرغم من أنّ الكُتّاب الذين جاؤوا بعدئذ لم يوافقوا سوسير صراحة على أن النحو قضية تتعلق بالكلام parole، إلا أن الحقيقة ... تشير إلى عدم نجاحهم بصفة عامة في العثور على وسائل لإدخال التحليل النحوي ضمن الدراسة العلمية للغة. و قبل أن يتمكن تشومسكي من بيان أن التراكيب النحوية للغات المختلفة متشابهة، كان عليه أن يبين أن تعريف النحو ممكن في أية لغة معينة. << (3)

لا يكتفي تشومسكي بمجرد الوصف للمنطوق إنه ينقب داخل ذهن المتكلم / المستمع ليفسر كيفية انتظام المنطوق داخل العقل ، فاللغة عنده >> ليست ظواهر لفظية محضة فحسب، بل هي ظواهر نفسية و لفظية في آن واحد يجب أن يعطى كل جانب قسطه من

(1) مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، كاترين فوك ، بيارلي قوفيك، تر: المنصف عاشور، مرا: رابح إسطمبولي،

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 77

(2) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ، ط2، 2006، الجزائر ، ص 104

(3) جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق و التطور، تر: محمد زياد كبة، النشر العلمي و المطابع، 1997م، ص

العناية و الدراسة و إن كان دو سوسور قد وضع تقابله المشهور بين اللسان (\*) و الكلام فإن تشومسكي فرق بين الملكة و التأدية . << (1)

إن تشومسكي يشدد على قدرة المتكلم /المستمع الذهنية، إنه يهتم بالعمليات التي تحدث في ذهن المتكلم /السامع أثناء الكلام بغية تفسير آلية الكلام .

أما دو سوسير فقد وقف عند وصف الظاهرة اللغوية ضمن نسقها داخل التركيب ، ذلك أن اللغة عنده نظام تحكمه مجموعة قوانين تضبط مختلف العلاقات القائمة بين المفردات والتراكيب .و يمكن لنا أن نرسم الأهداف العامة التي انتهجتها لسانيات سوسير فيما يلي:

>> أ- السعي إلى الدراسة العلمية للسان البشري من خلال متابعة و رصد شلكه الآني ( التزامني) الذي يُبرز اللغة بوصفها بنى مترابطة و وحدات متعاقبة بشكل منتظم و متناسق يجعل منها نظاما من العناصر و القيم .

ب - دراسة اللغات دراسة وصفية ...

ج - البحث عن القوى الموجودة في اللغات كافة ، و بطريقة شمولية متواصلة ، ثم استخلاص القوانين العامة التي يمكن أن تردّ إليها كل ظواهر التاريخ الخاصة

د - دراسة اللغة لذاتها و من أجل ذاتها ( اعتبارها غاية في ذاتها).

هـ - تحديد اللسانيات لنفسها و اعترافها بنفسها، و ذلك باستقلالها عن باقي

العلوم << (2)

يقسم تشومسكي لسانيات القرن التاسع عشر إلى قسمين أو إلى تيارين: أما الأول فيتمثل في "همبولدت" الذي نادى بالقدرة اللغوية الكامنة في عقول البشر، أما التيار الثاني

(\*) لعل الإبراهيمي تقصد بـ (اللسان) في قولها : ( إذا كان سوسير قد وضع تقابله المشهور بين اللسان و الكلام ) اللغة المعنية La langue لأن اللغة هي التي تقابل الكلام أم اللسان فهو شامل إذ يشتمل عليهما معا، أي على اللغة La Langue و على الكلام La parole . و في ذلك يقول دو سوسير: >> و لكن ما اللغة Langue؟ ينبغي أن نميز بينها و بين اللسان البشري (Langage) ، فاللغة جزء محدد من اللسان، مع أنه جزء جوهري.<< دو سوسير، علم اللغة العام، ص 27

(1) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات ، ص 104

(2) الطيب دبه ، مبادئ اللسانيات البنيوية ، ص 66.

فهو تيار "سوسير" و "وتيني" اللذين لم ير فيهما سوى مؤسسين للسانيات تصنيفية ،  
و التي يعدها نشوزا عن الدور الحقيقي للدرس اللساني، وهذا النشوز سعى جاهدا لتفنيده  
في كتابه " اللغة و العقل " حتى أنه انتهى إلى أنّ تلك اللسانيات محض تصور فقير. ذلك  
أنها لا تهتم سوى بالمستوى الظاهري للغة مهملة الجانب الباطني<sup>(1)</sup> الذي بنى عليه  
نظريتي النحو التوليدي والنحو الكلي .

---

(1) ينظر : محمد محمد العمري، الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية ، ص 116

## ثانيا : رفض مفاهيم السلوكيين

### أ- التيار البنيوي السلوكي

قامت البنيوية الأمريكية ( الوصفية التوزيعية ) على الاتجاه السلوكي في علم النفس، و اعتمدت على المنهج التجريبي المادي الذي يستبعد المعنى ، و اقتصرت >> على... السلوك ( behavior ) الخارجي المرئي الذي يظن السلوكيون أنه يمكنهم أن يصفوه بمناهج علوم الطبيعة و أن يرجعوا إلى العلاقات بين المثير و رد الفعل. << (1)

>> و قد أصدر بلومفيلد كتاب "اللغة Language" سنة 1931 . و في هذا الكتاب

يدعو ... إلى دراسة اللغة من حيث هي لغة دراسة وصفية خالصة Synchronic ، يقتصر فيها الدارسون على وصف اللغة كما هي دون الاعتماد على مبادئ الإرادة و الوعي و العقل . << (2)

ولذا فإن ألفاظا مثل " الفكر والعقل " كانت من المحظورات في دراسة اللغة حسب رأيه، و ما اللغة سوى منعكس شرطي و فعل آلي ناتج عن التكرار.

و قد عرّف اللغة بأنها سلوك بشري و أنها تبعا لذلك تشبه سائر أنماط السلوك الإنساني. وقد تأثر بالمدرسة السلوكية في علم النفس وهي مدرسة كانت سائدة في مباحث علم النفس في ذلك الوقت. ولما كان الأمر كذلك ، كان من الطبيعي أن نلاحظ السلوك اللغوي، باعتباره استجابة Response لمثير عملي Stimulous . (3)

(1) جرهارد هلبش ، تطور علم اللغة منذ 1970 ، ص 114

(2) سمير شريف استثنائية ، اللسانيات ، المجال و الوظيفة و المنهج ، ص 166

(3) ينظر : المرجع نفسه ، ص 166. و ينظر : أحمد حساني، مباحث في اللسانيات ( مبحث صوتي، مبحث دلالي،

مبحث تركيبية) ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999 ، الجزائر، ص 151 - 153

بل كان يرى أن اللسانيات شعبة من شعب علم النفس السلوكي Behavioristic psychology ، و قد تأثر في منحاه هذا بواسطون (waston) مؤسس المذهب السلوكي في علم النفس . (1)

عُرف المنهج الذي اتبعه بلومفيلد في دراسة اللغة بالمنهج المادي الآلي أيضا ، لأنه يلغي العقل و الإرادة. إنه منهج استقرائي لا يعتمد على الاستنباط بقدر ما يعتمد على المحسوسات، و لذا فهو منهج << ينطلق بشكل إنفرادي من علم نفس الحيوان . و يوضح سلوك الإنسان على نحو ما يوضح سلوك الحيوانات تماما / من خلال تحليل العلاقات بين المثيرات المؤثرة وردود الفعل التي تحدثها. >> (2)

و هذه هي النقطة التي انطلق منها تشومسكي في شن هجومه على السلوكيين، فالإنسان ليس آلة مبرمجة على سلوك معين دون سواه ، كما أن سلوكه لا توجهه المثيرات الداخلية والخارجية ولا يمكن التنبؤ به مطلقا .

لقد نظر بلومفيلد للغة الإنسانية وفقا للترسيمة التالية:

S( stimulus) → r( response)

مثير ( حافز )

(استجابة)

ولنفرض أن شخصا ما (أ) طلب من شخص آخر (ب) القيام بشيء معين، فيكون ذلك الطلب (الفعل الكلامي) هو الحافز أو المثير، بينما رد الفعل للشخص (ب) هو الاستجابة و هذه الاستجابة قد تكون إما إيجابية و ذلك بقيام الشخص (ب) بما طُلب منه أو قد تكون سلبية و ذلك بتجاهل الشخص (ب) للمثير و عدم القيام به.

و يقدم بلومفيلد لذلك قصته المشهورة بين شاب و فتاة هما ( جاك و جيل ) :

(1) ينظر : أحمد مومن ، اللسانيات النشأة و التطور ، ص 193

(2) جر هارد هلبش ، تاريخ علم اللغة الحديث ، ص 120

>> أ - يسيران في حديقة فتشعر جيل بالجوع و ترغب في أكل التفاحة .

ب - فتصدر أصواتا في شكل كلمات تدعو بها جاك لأن يُحضر لها تفاحة من على الشجر.

ج - يستجيب لها جاك فيتسلق الشجرة و يأتي لها بتفاحة لتتناولها و تأكلها. << (1)

غير أن مشكلة هذا المنهج هو عدم تساؤله : ما الذي دفع جاك يستجيب أو يرفض؟؟ كما لا يعنيه ما الذي جعل جيل تقدم ذلك المثير لجاك ، ولهذا يوصف بأنه منهج ألي يلغي العقل و الإرادة.

و من الجدير بالذكر هو أن مدرسة بلومفيلد قد ألغت المعنى تماما، لأنه حسب رأي صاحبها شيء لا يمكن إخضاعه للمنهج العلمي، بينما الشكل أو النسق البنيوي فهو شيء مادي يمكن دراسته وفقا للمناهج العلمية، >> و قد أثر بلومفيلد في البنيوية الأمريكية تأثيرا شديدا للغاية من جهة هذا النفي للمعنى من علم اللغة. و يعد إقصاء المعنى من الوصف اللغوي الدقيق هو الجانب السلبي في إنجازاته . << (2)

و هو يستعبد دراسة المعنى لصعوبة ربطه بموقف معين، ذلك أن اللغة تحدث ضمن مواقف معينة ، يقول في ذلك :>> إنّ المواقف التي تدفع الناس للكلام تشمل كل شيء و كل حدث في هذا الكون، فإن أردنا أن نعطي تعريفا علميا دقيقا لمعنى أي شكل من أشكال اللغة فيجب أن تتوفر لدينا معرفة علمية دقيقة عن كل شيء في عالم المتكلم . و لكن مدى المعرفة البشرية محدود جدا بالنسبة لهذا الأمر فنحن نستطيع مثلا أن نعرف معنى أحد الأشكال اللغوية بشكل دقيق عندما يتعلق الأمر بإحدى المواد المحسوسة التي توفرت لدينا المعرفة العلمية عنها، فنستطيع - مثلا - أن نعرف أسماء المعادن كأن نقول : معنى كلمة (ملح ) هو كوريد الصوديوم و لكن ليس لدينا طريقة لتعريف معاني كلمات مثل : الحب و

(1) الطيب دبه ، مبادئ اللسانيات البنيوية، ص 147

(2) جرهارد هلبش ، تاريخ علم اللغة الحديث، ص 122



الكره ... إلخ لأنها تتعلق بمواقف لم تصنف تصنيفا علميا دقيقا. و أمثال هذه الكلمات تكون الأغلبية العظمى من مفردات اللغة . << (1)

إضافة إلى ذلك ، لعل الذي جعل بلومفيلد يقصي المعنى، هو ارتباط المعنى بالعقل، فهو ذلك الوجه الآخر للغة و هو الفكر، و لأن العناية بالمعنى قد يطيح بمنهجه اللألي القائم على المثير والاستجابة دون تحكم العقل والفكر والإرادة بذلك المثير وبتلك الاستجابة.

إنّ المثيرات قد تكون داخلية و قد تكون خارجية فالشعور بالجوع مثلا هو مثير داخلي يجعل الإنسان يستجيب بالبحث عن الطعام ، لكن إذ شاهد المرء حدثا معيناً هزه و جعله يستجيب لغويا أو فعليا فإن هذا يعد استجابة لمثير خارجي. ولذلك كان بلومفيلد يرى أنّ وحدها الظواهر الفيزيائية التي يمكن ملاحظتها قابلة للبحث التجريبي و وحدها يمكن تسميتها بـ " الحقائق العلمية" .

و انكب بلومفيلد يستمد أسسه في دراسة اللغة من تجارب علماء النفس أمثال "ثورندايك" في أمريكا و بافلوف في روسيا اللذين أقاما العديد من التجارب على الحيوانات لإثبات نظرياتهم ، التي تُفسر السلوك اللغوي عند الإنسان بالتكرار والعادة . >> و قد ظهر تأثر علماء اللغة بهذا المذهب بأنهم أخذوا ينظرون إلى اللغة على أنها مجموعة من العادات كغيرها من العادات السلوكية الأخرى و بناء على ذلك فإن من الممكن دراسة تركيبها من ناحية و تعليمها من ناحية أخرى على هذا الأساس . و كان أشهر من قال بذلك العالم الشهير سكينر ( skinner ) << (2) الذي نظر إلى >> اللغة على أنها عادة مكتسبة مثلها في ذلك مثل العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان أثناء نموه من الطفولة إلى الرجولة و قال أن الطفل يولد وذهنه صفحة بيضاء خالية من اللغة تماما . كما عزا نجاح الطفل في اكتساب عادة اللغة المعقدة إلى التدريب المتواصل المتحكم فيه الذي مكنه من

(1) Leonard Bloomfield. Language. Compton printing LTD. 1935. London. P. 139

(2) جرهارد هلبش ، تاريخ علم اللغة الحديث ، ص 90

تعليم عادات معقدة للحيوانات من الفئران وغيرها التي كان يجري عليها التجارب في  
مختبره. << (1)

لمزيد من التعمق أو تتبع المنبع الذي كان يستقي منه المنهج السلوكي في دراسة اللغة  
في أمريكا لا بد من العودة إلى نظرية المنعكس الشرطي لبافلوف و المدرسة السلوكية في  
علم النفس .

## ب - الإشراف الكلاسيكي لبافلوف Classical Conditioning of Pavlov

ارتبطت نظرية المنعكس الشرطي بالعالم النفسي الروسي إيفان بافلوف الذي كان رائدا  
في الأبحاث العلمية حول فيزيولوجيا النشاطات العصبية الحركية .

كان عالم الفيزيولوجيا إيفان بافلوف يقوم بدراسة حول الهضم في أواخر القرن  
التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث قام بإجراء جراحة على كلبه و ذلك بتوصيل  
غده اللعابية بمخبر ليقاس كمية اللعاب التي يفرزها الكلب عند تقديم الطعام له ، ولكنه  
لاحظ أن الكلب يفرز اللعاب قبل تقديم الطعام له و ذلك بمجرد سماعه صوت حارسه قادما  
بالطعام.

تنبه بافلوف إلى أن عملية إفراز اللعاب أثناء وضع الكلب للطعام في فمه أمر طبيعي ،  
فذلك يعود إلى التأثير الكيميائي على الغدد، أمّا أن يفرز اللعاب قبل وضع الطعام في فمه  
فهذا أمر يحتاج إلى تفسير علمي و قد استعمل بافلوف هذه المصطلحات لأول مرة :  
"المثير الطبيعي" أو " المثير غير الشرطي " (US) Unconditioned Stimulus .  
على إفراز اللعاب أثناء مضع الطعام بـ "الاستجابة غير الشرطية" Unconditioned  
(UR) Reponse " ، أما إفراز اللعاب استجابة لصوت الحارس فقد أطلق عليه اسم

(1) المرجع السابق ، ص 114

"الاستجابة الشرطية" (CR) Conditionel Reponse أو المنعكس الشرطي ، وأطلق على صوت الحارس بالمتثير الشرطي (CS) Conditioned Stimulus (1).

ثم عمد بافلوف لإجراء تجارب أخرى للكشف عن علاقة المتثير الشرطي بالمتثير غير الشرطي، فكان يقرع جرسا قبل تقديم الطعام للكلب بمدة وجيزة و بعد محاولات عديدة أصبح الكلب يستجيب بإفراز لعابه كلما سمع الجرس .

بعد ذلك أخذ بافلوف في تنويع تجربته، فقد اهتم بأثر التكرار على تثبيت الاستجابة للمتثير الشرطي وبكمية اللعاب كل مرة (2).

و عنصر التكرار هنا مهم جدا، فاستنادا إلى هذه التجارب بنى السلوكيون منهجهم في دراسة اللغة . و قد أكدوا مرارا على عنصر التكرار و دوره الفعال في دراسة اللغة و وصف عملية اكتسابها .

**ج - المدرسة السلوكية الأمريكية (واطسون - سكينر):** هي مدرسة في علم النفس أنشأها العالم النفسي واطسون وهو من أطلق عليها اسم السلوكية (Behaviorism).

و كان واطسون مهتما بتطبيق أساليب البحث في علم نفس الحيوان على الإنسان معتمدا في ذلك على المنهج التجريبي، وكان يعد السلوك المصدر الأول للمعارف النفسية و يندد بالمفاهيم العقلية كمفهوم الاستبطان.

و من الأمور التي ساعدت على إتباع هذه المدرسة للاتجاه السلوكي >> هو ظهور الاهتمام بعلم نفس الحيوان وكان هذا بسبب ظهور نظرية النشوء والارتقاء عند دارون التي أعطت دفعة هائلة لدراسة علم نفس الحيوان والذي يُعد الأساس الأول في نظرية واطسون السلوكية . << (3)

(1) ينظر : جلال شمس الدين ، علم اللغة النفسي ( مناهجه و نظرياته وقضاياها ) المناهج و النظريات ، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع ، ج 1 ، الإسكندرية ، ص 30.

(2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 31

(3) المرجع نفسه ، ص 54

كانت هذه المدرسة مدرسة تجريبية لا تهتم سوى بدراسة السلوك الظاهري، أما المفاهيم العقلية والشعور أمور لا مقام لها في منهجها . واعتبرت أقوال الإنسان مجرد سلوك كبقية السلوكيات الأخرى التي تصدر عنه ، وقد تأثرت بنظرية بافلوف حول المثير والاستجابة .

و لعل أهم نقطة تأثرت بها البنيوية الأمريكية الوصفية في دراسة اللغة من المدرسة السلوكية في علم النفس هي عد التعلم ناتج عن التكرار المستمر دون أي تدخل للغرائز أو للمورثات أو حتى لأي جهد ذهني.

أما سكينر فمدرسته تعرف بـ **(الإشرطي النفعي أو الاجرائي Instrumental or Operant Conditioning of Skinner)** ، و تذهب نظرية الإشرط النفعي لسكينر إلى أن تعليم الطفل أو الحيوان شيئا ما ، يقوم على طريقة الإشرط الإجرائي ، و ذلك بأن تستدرج الطفل أو الحيوان ليقوم بذلك الشيء ثم تكافئه. (1)

و من هنا يمكن أن نفهم الأسس التي بني عليها بلومفيلد نظريته ، فإذا كان دو سوسير صاحب نظرية لأنه اعتمد على ما توفره له اللغة من نسق للدراسة العلمية التي كان ينشدها، فإن بلومفيلد مكث حبيس أفكار علم النفس السلوكي إذ تأثر تأثرا عجيبا بأراء سكينر الذي ذهب بعيدا إلى حد الإدعاء بإمكانية صنع إنسان آلي على غرار الإنسان الحقيقي الذي يرى أن سلوكه مجرد استجابات لحوافز و مثيرات. (2)

و ظل بومفيلد و رفقائه من التوزيعيين يرفضون التفسير و يصرون على الدور الوصفي في دراسة اللغة، فتفسير اللغة يدخل ضمن الأمور الغيبية التي لا يمكن إخضاعها للعلم ، و العلم عندهم >> ليس سوى وصف للظواهر كما ندركها وهو أساس قديم ربما نجد أصوله عند فرنسيس بيكون ومن تبنى تصوره ممن انتهوا إلى رفض نظريات كوبرنيك و

(1) المرجع السابق ، ص 69

(2) ينظر : محمد محمد العمري ، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية ( البنيوية و التوليدية ) ، ص 117

كيلر و كاليلى و نيوتن ، مثل هيوم و بركلي و ماخ ولوروا ... فالتفسير عند هؤلاء جميعا مسألة ميتافيزيقية و رجم الغيب. << (1)

و هذا الرفض لم يكن في الحقيقة رفضا لعدم قدرة العلم على دراسة أمور معقدة كالأنشطة العقلية و الفكر والاستنباط ، وإنما كان رفضا مشككا في وجود هذه الأشياء أصلا ، إذ لا وجود في رأيهم لأنشطة ذهنية تقوم بها خلايا عصبية للسيطرة على السلوك الإنساني أو تقف وراءه على الأقل . فكل سلوكيات الإنسان مردها التجربة والعادة والتكرار.

إن الصرامة العلمية و اعتماد المنهج التجريبي بغية نشدان العلمية كانا هاجس العلماء التجريبيين مثل " دافيد هيوم " قبل السلوكيين أنفسهم . فعنه أخذوا عدم الثقة في التأملات الفلسفية، لأن المعرفة الإنسانية مصدرها الخبرة، ف " هيوم " يرى أن المعرفة الإنسانية و الدين والأخلاق وغيرها من الأمور التي يصنفها ضمن الفلسفة الأخلاقية قابلة لإخضاعها للمنهج التجريبي، و كان يدرس المعرفة الإنسانية انطلاقا من الحواس .

لقد ألح التجريبيون على أن العقل الإنساني لوح أملس أو وعاء فارغ قبل تلقيه أية انطباعات خارجية . و هذا ما يرفضه تشومسكي جملة وتفصيلا. (2)

إن تشومسكي لا يمثل سوى حلقة جديدة ضمن حلقات الصراع بين التجريبيين والعقليين، فإذا كان التجريبيون يرون أن مصدر المعرفة الإنسانية هو الخبرة التي تقدمها الحواس للعقل . فإن العقليين يرون أن العقل هو مصدر المعرفة وهو ليس لوحا أملسا أو وعاء فارغا قبل التجربة الحسية .

من الفلاسفة التجريبيين الذين حذا بلومفيلد حذوهم في إنكار العقل والقدرات الذهنية :

**دافيد هيوم Hume** و **لوك Locke** و **بركلي Brkely** ، أما الفلاسفة العقليون الذين ناصروا العقل وانتصروا له تمثلوا في اتجاه الفيلسوف الفرنسي **ديكارت** ، و قد بينا سابقا كيف جاء بفكرة المبادئ الفطرية (innate) التي جعلها تشومسكي محور جميع نظرياته.

(1) المرجع السابق ، ص 120

(2) ينظر : نعوم تشومسكي ، اللغة و المسؤولية ، ص 195

لقد اهتم هيوم « Hume » بمبدأ الاستقراء كأمر مبرر في " الغريزة الحيوانية " التي ينبغي أن تبدو كافتراض تجريبي (1). و هو المبدأ الذي بنت عليه البنيوية في نسختها الأمريكية مناهجها في معالجة الظواهر اللغوية بينما نادى تشومسكي بالمبدأ المضاد القائم على الاستنباط وسبر الأغوار .

>> وبرغم حدة هذا الخلاف بين المذهبين إلا أنّ هناك أوجه خلاف أقل حدة من ذلك، حيث أخذ الجدل بين المذهبين على مدى تاريخ الفلسفة الغربية صوراً وأشكالاً متنوعة فقد كان الخلاف بينهما طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ثم بين عدد لا بأس به من فلاسفة أوروبا وأمريكا فيما بعد . ظل هذا الخلاف يدور حول العلاقة بين العقل و إدراك العالم الخارجي ، هذا إذا كان ثمة شيء اسمه العقل لأن التجريبيين ينكرون وجوده .<< (2)

تأثر علم النفس عامة وعلم النفس السلوكي خاصة بالمذهب التجريبي تأثراً جماً وخاصة عندما امتزج المذهب التجريبي >> بالمذهب الطبيعي (الفيزيائي) Physicalism والحتمي Determinism. كان هذا الامتزاج سبباً في اعتقاد كثير من علماء النفس بأن المعرفة الإنسانية والسلوك الإنساني إنما تحددهما البيئة كلية، ولا يوجد فرق جوهري في هذا بين الإنسان والحيوان أو بين الحيوان والآلة .<< (3)

إذا كان المذهب الطبيعي الفيزيائي فلسفة وجودية، موضوعها العالم ودور الإنسان فيه، تُسَلَّم أن الطبيعة هي كل ما هو موجود و تدركه الحواس أما دون ذلك من الأمور التي تنتمي لحقل " ما وراء الطبيعة " كالذات الإلهية والغيب أشياء لا وجود لها، فإن الفلسفة الحتمية هي >> فرضية فلسفية تقول أن كل حدث في الكون بما في ذلك إدراك الإنسان وتصرفاته خاضعة لتسلسل منطقي سببي محدد سلفاً ضمن سلسلة غير منطقية من الحوادث التي يؤدي بعضها إلى بعض وفق قوانين محددة ... وبالتالي فنظرية الحتمية يمكن تبنيها

(1) ينظر: المصدر السابق ، ص 197

(2) جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ، ص 233

(3) المرجع نفسه ، ص 234

من قبل أشد الناس إحدادا وتمسكا بالقوانين العلمية كما يمكن تبنيها من قبل أشد الناس إيمانا  
وقدرية. << (1)

أخذ المذهب السلوكي في علم النفس هذه الرؤى الطبيعية والحتمية لتفسير سلوك  
الإنسان والحيوان على السواء . ثم سرعان ما انتقلت هذه الرؤى في شكل مبادئ صارمة  
وقاطعة عند علماء اللغة الأمريكيين الذين درسوا اللغة وفقا للمنهج السلوكي حتى أن نظرية  
بلومفيلد في اللغة ليست سوى صورة مطابقة للمذهبين الطبيعي والحتمي .

لقد أولى السلوكيون عناية فائقة واهتماما واسعا للمناهج التجريبية في دراسة اللغة  
وشددوا على تطبيق هذه المناهج تطبيقا صارما يُخطئ من يخالفها، فعدوا هذه المناهج  
الصارمة الموضوع الشرعي في علم اللغة، وأهملوا الظاهرة اللغوية في حد ذاتها وهذا ما  
جعلهم يستبعدون المعنى و يقصون السياقات التواصلية والاجتماعية في مجال دراسة  
اللغة، و قد أدى هذا إلى تقييد علم اللغة، و من هنا كان لا بد من تجاوز البنيوية  
الكلاسيكية بنظرية بديلة وهي نظرية النحو التوليدي. (2)

لقد شن تشومسكي هجوما على المفاهيم السلوكية التي يعتمدها اللسانيون في زمانه  
لدراسة اللغة الإنسانية، وقوض هذه المفاهيم في عدة أعمال، أولها كتابه " البنى التركيبية  
أو التراكيب النحوية Syntactic structures " سنة 1957.

ثم أحدث ثورة في مجال علم اللغة ، وغيّر أهداف الدرس اللساني و أساليبه، بل إنه  
قلب الطاولة على مفاهيم الاتجاه السلوكي المجحفة في حق اللغة ورفض آراءهم و كان أهم  
ما قام به >> في حياته العلمية المبكرة في علم اللغة هجومه الساحق المدمر على آراء  
سكينر التي عرضها في كتابه "السلوك اللغوي" و دحض جميع الأسس التي قامت  
عليها تلك الآراء و النظريات. فبينما كان سكينر كما رأينا، يؤمن ، بناءً على التجارب  
المخبرية على الحيوانات ، بأن اللغة لا تعدو أن تكون عادة اجتماعية مثلها في ذلك مثل

(1) الموسوعة العالمية و ويكيبيديا ، من : حتمية <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

(2) ينظر : جوهارد هلبش ، تطور علم اللغة منذ 1970 ، ص 120 - 122

سائر العادات الاجتماعية الأخرى، و أن اكتسابها يتم بنفس الطريقة أي عن طريق المحاولة و الخطأ»<sup>(1)</sup> ، كان تشومسكي يؤمن بالقدرات العقلية الخلاقة و بالإبداع.

كما يعد تشومسكي من اللسانيين الذين أحدثوا ضجة عارمة في أوساط حقول معرفية عديدة كحقل طب الأعصاب و علم الأحياء و علم اللغة النفسي و اللسانيات بفكرة فطرية اللغة، فهو اللساني الذي اهتم بتحليل التعقيد البالغ لنظام اللغة، و قد جابه تلك المناهج التي كانت سائدة قبله و التي تُخضع اللغة للمدرسة السلوكية التي تعد كلمات مثل : فطري – عقلي – غريزي – إدراكي كلمات غير علمية و غير دقيقة ناهيك عن كونها كلمات قدرة لا طائل من وراء تتبعها.

و قد رفض أفكار السلوكيين رفضاً قاطعاً و نقد آراءهم السطحية الخاضعة لمبدأ المثير والاستجابة المستخلصة من تجربة العالم الروسي بافلوف ، منادياً أن العقل الإنساني هبة مذهلة معقدة للغاية لا تحللها التجارب على الفئران في المختبرات . كما أن اللغة الإنسانية ليست شيئاً ناتجاً عن التقليد الأعمى و المحاكاة البلهاء ، فالأطفال أنفسهم الذين يدعي السلوكيون أنهم يقلدون ما يسمعون ، ينتجون كلمات و جملاً لم يسمعوها من قبل ، و مثال ذلك تلك المسميات " المبتكرة " التي يطلقها الأطفال على أشياء مختلفة كأن يبتكروا مسميات للخبز أو الماء أو حتى على ألعابهم .

كان تشومسكي يندد و بشدة بالربط التعسفي بين التجارب التي يجريها علماء النفس على الفئران لتفسير سلوكهم و بين اللغة الإنسانية ، فسلوك الحيوان ولغته بعيدان كل البعد عن اللغة الإنسانية ذلك أنهما مقيدان و محددان و خاضعان للمثيرات و الحوافز ويمكن التنبؤ بهما.

(1) نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، ص 92. و ينظر : ميشال زكريا، الألسنية ( علم اللغة الحديث) المبادئ و الأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، ط2 ، 1983-1980، بيروت ( لبنان)، ص 265 - 266.



ثم إنّ أهم ما يميز التواصل اللغوي الإنساني عن التواصل الحيواني هو << خصائص جوهرية تفصل ، بشكل ملحوظ ، العلامة اللفظية عن جميع أنواع الرسائل الحيوانية: منها على سبيل المثال قوة اللغة التخيلية و الإبداعية ، و قدرتها على التعامل مع التجريدات و التخيلات ، و التعامل مع الأشياء و الحوادث بمعزل عن المكان / أو الزمان، و بشكل مغاير لوجود الحيوان المقتصر على الـ ( هنا) و ( الآن ) ، ومنها أيضا الترتاب البنوي للمكونات اللسانية... أي الانقسام الثنائي بين الوحدات ( الفونيمية ) التمييزية و الوحدات ( القواعدية ) الدالة، و انقسام آخر في النمو القواعدي إلى مستوى الكلمة و مستوى الجملة ( الوحدات المشفرة بمقابل القوالب المشفرة ) ؛ و ... قضايا الأحكام ؛ و أخيرا الترتاب التجميعي و العكسي للوظائف و العمليات اللفظية المتنوعة و المتزامنة : المرجعية ، و الإفهامية ، و الانفعالية و الانتباهية ، و الشعرية ، و اللسانية الوصفة. >> (1)

فكيف إذن نشبه هذه الإشارات و الكيمائيات المحدودة باللغة الإنسانية؟ إن وسائل التواصل عند الحيوان بصفة عامة لا ترقى إلى مستوى مقارنتها أو مماثلتها باللغة البشرية، و من الإجحاف ربط هذه الإشارات المعدودة والسلوكية بنظام قواعدي معقد يتسم بالتنوع والابتكار والتعدد و اللا محدودية .

إذا كان سكينر يفهم اللغة الإنسانية فهما سلبيا يجعلها مجموعة من العادات المتكررة بآلية ، فإنّ تشومسكي يرفض هذا الفهم و بشدة.. و قد روج لمفاهيم بديلة كالخلق والابتكار والقدرات الذهنية .

و لذا فإنّ آراء تشومسكي اللغوية كانت << ثورة كاملة على أنصار تلك المدرسة الذين كانوا ينادون بأن دارس اللغة طفلا كان أم راشدا يبدأ بتعلم تلك اللغة و ذهنه صفحة بيضاء ينقش عليها النماذج اللغوية التي يتعلمها، وعند الحاجة يلجأ الى ذلك المخزون و يختار النماذج التي تناسب المقام. >> (2)

(1) رومان ياكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، ص 83 – 84.

(2) نايف خرما، أضواء على الدراسات اللسانية المعاصرة ، ص 96

بل إن الطفل يكتسب اللغة عن وعي وإدراك ، ويوظف ما اكتسبه في مواقف حياته عن وعي وإدراك أيضا.

و ما يزعمه التجريبيون والسلوكيون من أن الإنسان يولد بعقل كصفحة ملساء ليس بها شيء وأن التجربة الحسية هي التي تنقش على سطح تلك الصفحة العلم و المعرفة الإنسانية ضرب من التخبط في رأي تشومسكي، لأن الطفل- حسب- يولد مزودا بملكة فطرية تضم المعرفة السابقة بنظام القواعد الكلية التي تشترك فيها جميع اللغات. ما يجعل الطفل قادرا على اكتساب أية لغة بيسر. وبهذا يكون تشومسكي قد عاد إلى فكرة القواعد العامة التي نادى بها سابقوه من أنصار المدرسة العقلية كديكارت و همبولدت ومدرسة بورت رويال .

>> يرى العقلانيون أن العقل يتضمن نسقا متماسكا من المبادئ العامة التي تشكل جزءا أساسيا من بنيته الداخلية و تمكنه من تفسير المعلومات المتناثرة و غير المترابطة التي يتلقاها عن طريق الحواس لكي ينظمها على شكل أشياء و علاقات و أسباب و نتائج ، و أجزاء و كليات ، و تماثل ، و وظائف، إلخ. المحسوسات في نظر العقلانيين لا تعدو أن تكون صورا عابرة لا معنى لها في حد ذاتها بل إنها في منتهى التفاهة و الخصوصية. أما المعرفة الحقيقية ، و التي يبقى الجزء الأكبر منها خارج وعينا ، فإنها على درجة عالية من التنظيم و البناء و تشتمل على الكليات و المبادئ العامة المضمرة التي تشكل هذه المعرفة وتنظمها. أي أن أصحاب المذهب العقلاني يعطون أهمية خاصة لبنيان العقل الداخلي الذي تصدر عنه العمليات الذهنية. و مؤسس هذا المذهب أفلاطون و من رواده في العصور الحديثة ديكارت Rene Decartes (1650-1596) ، وسبينوزا Benedict de Spinoza (1677-1632) ، ولايبنتس Gottfried Wilhelm Leibnitz (1716-1646) . << (1)

(1) سعد عبد الله الصويان، اللغة الإنسانية " طبيعتها و خصائصها "، العصور ( مجلة علمية نصف سنوية ، محكمة ، تعني بنشر البحوث التاريخية و الأثرية و الحضارية ) ، دار المريخ للنشر، المجلد الثامن، الجزء الأول، 83- 98 ( يناير 1993 )، لندن. ص 73.

يقول تشومسكي في كتابه " آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل " : >> تقوم اللغة

البشرية على خاصية أولية تبدو أيضا معزولة بيولوجيا: إنها خاصية اللا محدودية (اللانهائية) infinity المتفردة ، التي تتكشف بشكلها الأفقي عن طريق الأعداد الطبيعية 1 ، 2 ، 3... إن الأطفال لا يتعلمون هذه الخاصية ما لم يمتلك العقل المبادئ الأساسية قبلا ، لا يمكن لأية كمية من الأدلة أن توفرها بشكل مماثل . لا يتعين على أي طفل أن يتعلم أنه توجد ثلاث جمل من ثلاث و أربع كلمات، و لكن لا توجد جمل من ثلاث كلمات و نصف ، تستمر في ذلك للأبد ، من الممكن دوما أن نركب جملة أكثر تعقيدا .<< (1)

وهو يقصد بهذا القول أن سمة الإبداعية و اللا محدودية في اللغة الإنسانية سمة وراثية عند جميع أفراد البشر . فهي ليست حكرا على أقوام دون أقوام، و لكنها معزولة بيولوجيا أي أنها خاصة بالنوع البشري فقط.

والطفل أثناء اكتسابه للغة لا يتعلم أن هناك جملا محدودة الكلمات و أخرى غير محدودة ، لأنه يكتسب أصواتا و كلمات محدودة ثم يعيد بناءها ضمن قوالب ابتكرها من تلقاء نفسه لينتج بذلك جملا لا متناهية .

بالنسبة لتشومسكي >> لا يمثل السلوك الكلامي الفعلي أي الأداء الكلامي سوى قمة جبل جليدي ضخم لقدرة لغوية جرى تشويه شكلها بعدة عوامل غير ذات صلة باللغة <<. (2)

إن تشومسكي لم يقف عند حدود رفض مبادئ البنيوية الأمريكية الوصفية القائمة على مفاهيم علم النفس السلوكي ، بل انتقد حتى الخلط بين اسم العلم والموضوع الذي يعالجه ، فعلم النفس على حد قوله علم يهتم بالعقل أو يجب أن يكون علما للعقل، و تسمية علم النفس "بعلم سلوكي" هو بمثابة تسمية علم الفيزياء بعلم القياسات (3) ، القياسات جزء ضئيل من

(1) نعوم تشومسكي ، آفاق جديدة في دراسة اللغة و العقل ، ص 34

(2) جون سيرل، ثورة تشومسكي في مجال علم اللغة ، تر: الطاهر قبية ، مجلة الجامعة المغاربية ( دورية محكمة نصف سنوية تصدرها الجامعة المغاربية التابعة لاتحاد المغرب العربي)، العدد السابع، السنة الرابعة، 2009، طرابلس ( ليبيا)

ص 265

(3) ينظر : المرجع نفسه، ص 265

علم الفيزياء و كذلك السلوك . ولذا من الخطأ حسب تشومسكي إطلاق الجزء الضئيل لوصف الكل أو العلم ككل .

>> و في سياق هذا الخلاف بين منهجية حصر البحث في حقائق قابلة للملاحظة وبين منهجية أعمال الحقائق التي تقبل الملاحظة كمفاتيح موصلة لقوانين خفية كامنة نجد أن ثورة تشومسكي من قبيل ما تحقق إمتاعاً مزدوجاً: أولاً، ففي مجال علم اللغة عملت على إثارة صراع يعد مثالا على وجود صراع أوسع نطاقاً، و ثانياً، استغل تشومسكي النتائج التي توصل إليها إزاء اللغة محاولاً تطوير استنتاجات عامة مناهضة للسلوكيين والتجريبيين بشأن طبيعة العقل البشري الذي يتعدى مجال علم اللغة. << (1)

---

(1) المرجع السابق ، ص 266

## ثالثاً : من النحو التوليدي التحويلي إلى النحو الكلي

### أ - النحو التوليدي التحويلي

مرت النظرية التوليدية التحويلية بثلاث مراحل قدم خلالها تشومسكي ثلاث نظريات

هي :

1- النظرية الكلاسيكية Classical Theory

2- النظرية المعيارية Standard Theory

3- النظرية المعيارية الموسعة Extended Standard Theory

يُعدُّ عمل تشومسكي الأول " البنى النحوية Syntactic Structures" الانطلاقة التي مهدت لظهور منهج جديد في دراسة اللغة و ذلك منذ سنة 1965 م ، حيث عالج في مؤلفه الأول استقلال النحو The independence of grammar عن المعنى، و أتى بجملته المشهورة (1):

- **Colorless green ideas sleep furiously.**

(تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون بغيظ)

ليؤكد على أن هذه الجملة الصحيحة قواعديا غير مقبولة معنويا، خير دليل على أن النحو مستقل عن الدلالة . كما ميّز بين الجملة النحوية و الجملة غير النحوية و قدّم ما يُعرف بقواعد إعادة الكتابة.

و تحدث عن الجملة النواة Kernel sentence (2) ، مثل الجملة التالية:

- **Good tests are short.** الاختبارات الجيدة قصيرة

(1) Noam Chomsky, Syntactic structures, Second Edition with an Introduction by David W. Lightfoot , Mouton de Gruyter , Berlin . New York, 2002 , p.15

(2) Cook, Chomsky's Universal Grammar, p. 2

فهي تتكون من جملتين هما:

- Tests are short
- ( The ) tests are good.

مستوحيا ذلك من تحليلات نحاة بور رويال كما لاحظنا سابقنا، و عالج " بنية العبارة " (1) و حاول أن يحدد أهداف النظرية اللسانية لديه (2).

و قد طرح خلال هذه المرحلة المبكرة من النحو التوليدي ثلاثة نماذج لغوية هي: نموذج القواعد المحددة أو ما يُعرف بـ " سلاسل ماركوف " وهو نموذج بسيط خاص بنظرية التواصل عند " شانون وو يفر " ، نموذج المكونات المباشرة أو النحو النسقي، ثم نموذج التحويل.

أمّا نموذج القواعد المحددة فهو >> ميكانيزم يسمح بإنتاج اللغة بطريقة آلية ، و لذا فهو يُعد شبيها بآلة، تمر بعدد من الحالات المتوالية بدءا من الحالة الأولية (Initiale) حتى تصل إلى الحالة النهائية (Final). و أثناء هذا الانتقال، فإنها تنتج في كل مرة رمزا أو كلمة. إن توليد ( أي إنتاج ) الكلمة الثانية يكون متعلقا بالأولى. فكل حالة تحد من إمكانية توليد الكلمات المتوالية.

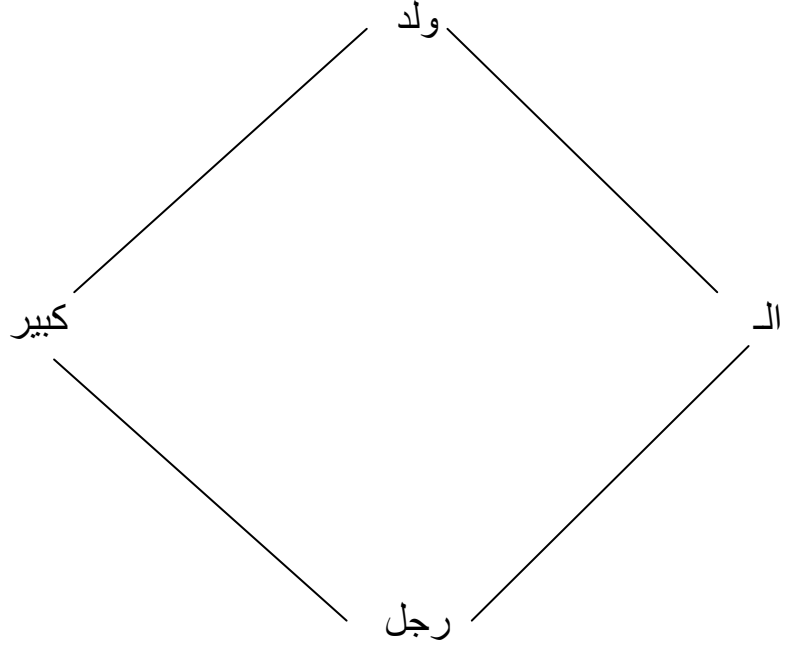
إن سلسلة الرموز المنتجة وفقا لهذه الآلة تُكون الجملة ، و إن اللغات التي يتم توليدها بهذه الكيفية تسمى لغات ذات الحالات المحدودة << (3)

و يمكن التمثيل لنموذج الحالات المحددة بالشكل التالي :

(1) Noam Chomsky, Syntactic structures, p. 26 - 48

(2) Ibid, p. 49 - 60

(3) شفيقة العلوي ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 64-65

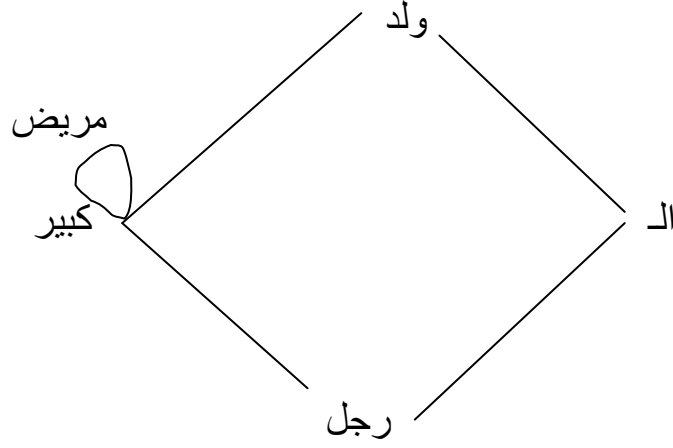


إذ ننتقل من الحالة الأولى (الـ) إلى الحالة الثانية و هي المورفيم ( ولد ) أو المورفيم ( رجل )، و هكذا بالتدرج حتى نصل إلى الحالة النهائية المتمثلة في الجملة التالية :

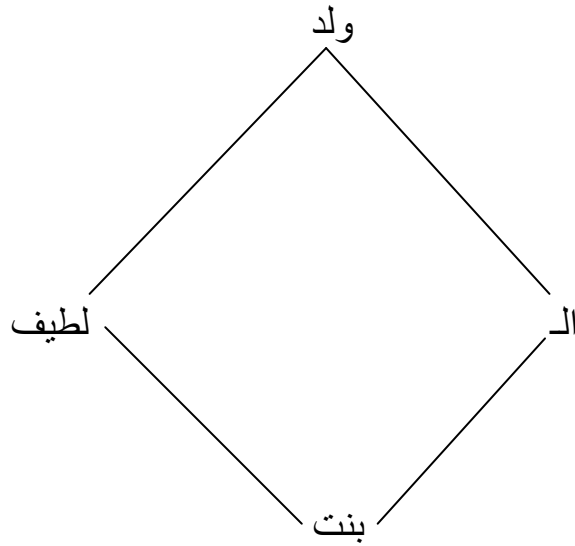
" الولد كبير أو الرجل كبير ". كما يمكن إضافة مورفيمات أخرى لتوسيع الجملة و ذلك بإضافة عقد (Des boucles) إلى المخطط السابق لنحصل على المخطط التالي (1):

---

(1) ينظر : المرجع السابق، ص 65



لكن هذا النموذج كان ذا نقائص عديدة منها عجزه عن توليد بعض الجمل المتداخلة، كما أنه لا يقدم معلومات حول البنية النحوية للجمل المشتقة. و يظهر عجزه أمام ظاهرة انسجام الكلمات الداخلة في بناء الجمل بعضها ببعض كما يوضح المخطط التالي<sup>(1)</sup>:



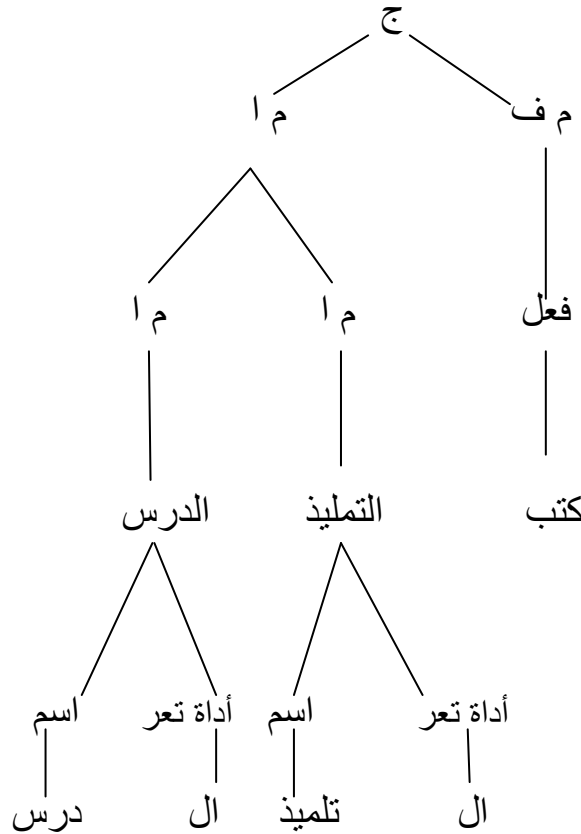
فهذا النموذج و إن كان قد أفلح في توليد الجملة الأولى ( الولد لطيف ) بنجاح، فإنه أخفق مع الجملة الثانية ( البنت لطيف ) حيث لا ينسجم و لا يتوافق العنصر المعجمي الثاني مع الأول من حيث التذكير و التأنيث.

(1) ينظر : المرجع السابق، ص 66



و لذا كان لازما على تشومسكي أن يقدم بديلا لنحو الحالات المحددة، فطرح نموذجا آخر و يُعرف بالنحو النسقي، و يقوم هذا النموذج على تحليل الجملة وفق مشجر أو شجرة، >> رأسها ( أي عقدها الأولى) الرمز ( ج ) ، و تتفرع عنه المؤلفات المباشرة حتى يتوصل – بواسطة قواعد إعادة الكتابة ( les règles de récritures ) إلى أصغر مورفيمات. و تقوم قواعد إعادة الكتابة ( ق، إ، ك) بإعادة كتابة الرمز ( ج) من اليمين إلى اليسار على شكل مجموعة من الرموز المتوالية، حتى يتم اشتقاق الجملة في صورتها النهائية و تحديد مختلف العلاقات القائمة بين عناصرها. << (1)

و لناخذ مثلا بسيطا لذلك، " كتب التلميذ الدرس"، و نقوم بتمثيله بالمشجر كمايلي:



لكن هذا النموذج كان يقف عاجزا أمام بعض الظواهر اللغوية فهو >> لا يستطيع أن يوضح لنا بقواعده الاشتقاقية (ses règles dérivationnelles) النسقية كيف يتم

(1) المرجع السابق، ص 68

الانتقال من الجملة المبنية للمعلوم ( فهم الولد درسه ) إلى الجملة المبنية للمجهول ( فهم  
الدرس).

فلأجل تجنب هذه النقائص ، أدرج تشومسكي في نموذجه النسقي القواعد التحويلية، و بذلك  
غدا النحو التوليدي تحويليا. << (1)

و لنقف قليلا عند أهم المفاهيم التي جاء بها تشومسكي في هذه المرحلة:

- 1- **الجملة الأصولية:** يمكن للمتكلم /المستمع أن يؤلف جملا صحيحة و أخرى غير  
صحيحة، تسمى الجملة الصحيحة بالجملة الأصولية و غير الصحيحة بالجملة غير  
الأصولية، و أصولية الجملة لا تعني مطابقتها لقواعد النحو فقط ، بل أيضا لا بد  
أن ترتبط بواقع قبولها اجتماعيا دلاليا و ثقافيا.
- 2- **القواعد التوليديّة :** وظيفة هذه القواعد هي إنتاج جمل اللغة أو إنتاج عدد لا نهائي  
من الجمل، و هي قواعد لغة معينة من اللغات البشرية كقواعد اللغة العربية أو  
الإنجليزية و الفرنسية مثلا ، و لذا فهي قواعد خاصة يكتسبها الأطفال أثناء اكتساب  
لغتهم ، إنها قواعد كامنة في " المعرفة اللغوية".

>> تتخذ القاعدة التوليديّة شكل قاعدة إعادة الكتابة أي أنها تعيد كتابة رمز يشير إلى  
عنصر معين من عناصر الكلام، برمز آخر أو بعدة رموز أخرى. و من السهل فهم هذا  
النوع من القواعد. فجواز اشتغال الجملة، مثلا، على ركن فعلي مؤلف من فعل و فاعل و  
مفعول به يتمثل بالقاعدة التالية :

ركن فعلي ← فعل + ركن اسمي + ركن اسمي

( فاعل ) ( مفعول به )

(1) المرجع السابق، ص 70- 71

نقرأ السهم بوصفه تعليمة تقضي بإعادة كتابة الرمز الواقع إلى اليمين بواسطة الرموز المتتابة الواقعة إلى اليسار. و يمكننا ، على النسق نفسه ، استبدال ركن اسمي، مثلا، بتتابع رموز و بواسطة القاعدة التالية:

**ركن اسمي ← تعريف + اسم**

و يتم، عادة، استبدال كل رمز بالعناصر الواقعة إلى اليسار، بالتدرج ، إلى أن يتم اشتقاق الجملة. << (1)

و تجدر الإشارة هنا إلى أن القواعد التوليدية مسؤولة فقط عن إنتاج الجمل المقبولة ، أمّا ما تتعرض له جمل المتكلمين أثناء الأداء الفعلي أو الكلامي من تشويه و أخطاء و انحراف عن جادة القاعدة فإن ذلك مرده إلى الانفعال و الحالة النفسية للمتكلم و الموقف الذي قيلت فيه، كما يعود إلى الظروف السيوسيو اجتماعية للناطقين.

و لنقدم أمثلة على نموذج من القواعد التوليدية ( قواعد إعادة الكتابة ) :

- **الركن الفعلي ← فعل + ركن اسمي + ركن اسمي**



**كتب + التلميذ + درسه**

- **ركن اسمي ← تعريف + اسم**

**ال + تلميذ**

فالتوليد إذن مصطلح >> يدل على الجانب الإبداعي في اللغة؛ أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناهٍ من الجمل في لغته الأم، بما في ذلك الجمل التي لم يسمعها من قبل ، و كل هذا يصدر عن الإنسان بطريقة طبيعية دون شعور منه بتطبيق قواعد نحوية معينة. و قد أولى تشومسكي هذه القدرة الإبداعية ( Creativity ) اهتماما

(1) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية ( الجملة البسيطة ) المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط2 ، 1986 ، بيروت ، ص 13

كبيراً، و أكدَّ على أنّ النظرية النحوية لابد أن تعكس قدرة جميع المتكلمين باللغة، و النحو التوليدي – في نظره- لابد أن يولد كلّ الجمل النحوية (Grammatical) في اللغة، أي أننا باتباع قواعد نحوية يمكننا تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة.>> (1)

**3 - القواعد التحويلية:** هي تلك القواعد التي تحول البنية العميقة السابقة إلى البنية السطحية و ذلك بواسطة عدة عناصر كالتقديم و التأخير، الحذف و الزيادة، تحويل الجملة المثبتة إلى الجملة المنفية و الجملة الخبرية إلى الجملة الاستفهامية و هكذا ، و هي قواعد كامنة أيضاً في المعرفة اللغوية و يكتسبها الأطفال أثناء اكتساب لغتهم الأم أيضاً.

>> يقوم مفهوم التحويل على الملاحظة التالية: توجد في اللغة جمل يرتبط بعضها ببعض بصورة وثيقة ، و لا يمكننا ، من خلال دراسة عناصرها فقط ، أن نلاحظ الصلة القائمة بينها. لنأخذ الجمل التالية:

(16) أكل الرجل التفاحة

(17) الرجل أكل التفاحة

(18) التفاحة أكلها الرجل

لابد لنا، لكي نفسر العلاقة القائمة بين هذه الجمل، من مفهوم يتيح لنا أن نبحث في علاقة الجمل بعضها ببعض ، و يسمح بأن نعيد ترتيب عناصرها >>. (2)

و قد أطلق على هذه المرحلة >> فيما بعد اسم النظرية الكلاسيكي

(Classical Theory) . >> (3)

لتأتي بعد ذلك المرحلة الثانية و ذلك سنة 1965م بظهور كتابه " ملامح النظرية النحوية Aspects of The Theory of Syntax " ، و كان من أهم النقاط التي جاء بها

(1) أحمد مومن، اللسانيات، النشأة و التطور ، ص 206

(2) المرجع نفسه، ص 14

(3) المرجع نفسه، ص 205

في هذه المرحلة فكرته حول الحدس عند السامع المثالي، و دور هذا الحدس هو التمييز بين الجمل التي يكتنفها لبس ما، أو التي تترادف معانيها.

ذلك أنه يرى بأن >> الحكم على استقامة العبارة نحوياً راجع إلى حدس المتكلم، و لكي يكون حدسه إطاراً مرجعياً يحتكم إليه، لا بد أن تكون لغة العبارة هي لغة المتكلم، ومن هنا أضحت المكانة التي أفردها تشومسكي للحدس دليلاً على القطيعة التامة التي نشبت بينه و بين الأبحاث السلوكية و هي التي تحدد المعنى... من خلال القرائن المحيطة بالتخاطب، أمّا النظرية التوليدية فقد أعادت للمتكلم اعتباره و مكانته في التعبير كما ردت إليه المعنى << (1) و تُعرف هذه النظرية بالنظرية النموذجية **Standard Theory**. (2)

كما قام بشرح أهم المفاهيم اللسانية التي جاء بها، حيث ميّز بين الكفاية اللغوية و بين الأداء الكلامي بصورة واضحة، و قد قدّم الأداء الكلامي على أنه المظهر الخارجي للغة أثناء الاستعمال الآني لها من قبل متكلم / سامع مثالي، وهو ما أطلق عليه لاحقاً بالبنية السطحية ثم باللغة المجسدة.

أمّا الكفاية اللغوية فهي المعرفة الضمنية باللغة، فكل مستمع / متكلم مثالي معرفة ضمنية عن لغته، و لذا فهو حينما يتكلم يوظف جزءاً من معرفته الضمنية تلك في سياق معين، و قد أطلق عليها لاحقاً مصطلح " المعرفة اللغوية " ، بعدها أطلق عليها في المراحل الأخيرة من بناء نظرية النحو الكلي بـ " اللغة المبنية داخلياً " **Internalized Language**.

و ميّز بين البنية العميقة و البنية السطحية، فالبنية العميقة حسبه هي بيئة داخلية أمّا السطحية فهي الجانب الخارجي المستمد من البنية العميقة (3).

(1) مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية، الأسس و المفاهيم، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، ب / قسم الآداب و الفلسفة، العدد 13 – جانفي 2015، ص 6  
(2) ينظر: أحمد مومن، اللسانيات، النشأة و التطور، ص 205

(3) Noam Chomsky, Aspects of the theory of syntax, p. 128-132

و قد استمرت هذه المرحلة إلى غاية السبعينات، حيث أولى تشومسكي المكون الفونولوجي و التركيبي و الدلالي عناية و اهتماما (\*) خاصة فيما يتعلق بالمكون الدلالي، إذ أعاد للمعنى قيمته في الدراسات اللسانية و ذلك بنشره لمقالاته الثلاث حول الدلالة و البنية العميقة التي جُمعت فيما بعد في كتاب واحد تحت عنوان " دراسات الدلالة في القواعد التوليدية " ليعرفَ هذا الشكل الجديد لنظريته بالنظرية النموذجية الموسعة

(1). **Extended Standard Theory**

لنصل إلى المرحلة التي تبدأ بعد الدراسات اللسانية التي جاءت بعد السبعينات و ذلك بامتداد النظرية النموذجية الموسعة، و اتساع في فكرة النحو الكلي و تأسيس نظرية لغوية حديثة بصدد تفسير الملكة الفطرية أو الهبة البيولوجية التي يشترك فيها جميع البشر وهي اللغة.

و هكذا نقل تشومسكي اللسانيات من الاهتمام بالسلوك الفعلي إلى القواعد الضمنية ( البنية العميقة ) الموجودة في عقل كل مستعمل سوي للغة .

>> و في هذا السياق، تحولت النظرية التوليدية من الاهتمام باشتقاق الجمل و تفرعها عن طريق القواعد إلى الاهتمام بتمثيل القواعد التي تسيطر عليها الجمل. إن قضايا النحو هي قضايا حول معرفة اللغة المستنبطة داخليا. وهكذا أصبحت جُل مسائل اللغة تعالج ضمن إطار تصوري أكثر شمولية لا يرتبط بدراسة لغة محددة، و إنما بالنحو الكلي للغة البشرية. << (2)

(\*) لمزيد من الإطلاع على هذه المكونات : ينظر ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية التحويلية، ص 14- 15

(1) ينظر : أحمد مومن، اللسانيات، النشأة و التطور ، ص 205

(2) مصطفى غلفان و آخرون، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى ، ص 299

## ب - النحو الكلي

لقد بذل تشومسكي جهودا جبارة ليصل بنظريته الأولى التوليدية التحويلية Transformational Generative Grammar إلى صورتها المطورة نظرية النحو الكلي The Grammar Universal Theory ، و يمكن لنا ملاحظة الفترة الطويلة التي امتدت من أواخر الخمسينات إلى يومنا هذا كي يصل بنظريته إلى طور الكمال.

لقد عرّف تشومسكي النحو الكلي بأنه >> نظرية اللغات الإنسانية المبنية داخليا، أي أنها نظام من القيود مستقى من الموهبة البيولوجية الإنسانية التي تحدد هوية اللغات المبنية داخليا التي يمكن الوصول إليها إنسانيا تحت الظروف العادية . << (1)

رغم الأطوار التي سردناها سابقا عن كيفية بدايات النحو الكلي ، من تجاوز لسوسير و نقد للسلوكية و ميلاد النحو التوليدي، إلا أنّ نضج نظرية النحو الكلي كان عبر مرحلتين سنحاول تلخيصهما فيما يلي:

### - المرحلة الأولى:

يمكن أن نعدّها مرحلة الانطلاق، و كان فيها يعالج جوانب عامة حول اللغة و اكتسابها، فظهرت معه أفكار جديدة متعلقة بوصف النحو في الخمسينات و بداية الستينات مع كتابه الأولى " البنى النحوية " الذي جاء ليؤسس النحو التوليدي كاتجاه لساني جديد، واضعا قواعد بنية العبارة التي ولدت التركيب التوليدي و قواعد التحويل التي تحول الجملة من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول، و أطلق على نظريته اسم النحو التوليدي التحويلي Transformationl Generative Grammar ( TGG).

### - المرحلة الثانية:

(1) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها ، ص 82

في عام 1965 جاء بنموذج الملامح في كتابه Aspects ثم بالنظرية المعيارية النموذجية كمقدمة للتمييز بين الكفاءة Competence ، الأداء Performance ، البنية السطحية Surface Structure و البنية العميقة Deep Structure ، و عالج هذه المصطلحات بمعناها الكلاسيكي الذي استقر لديه في الخمسينيات قبل أن يعدّلها لاحقاً.

و في عام 1970 م طوّر أعماله إلى النظرية النموذجية الموسعة Extended Standard Theory ( EST ) ، ثم جاء في عام 1981 بنظرية الإحكام الربطي ( GB ) و في عام 1986 طرح المفاهيم التالية : المبادئ Principles و المتغيرات ( الوسائط ) Parameters<sup>(1)</sup> . و سنعود بحول الله لدراسة هذه المفاهيم بالتفصيل في الفصول اللاحقة.

و أرسى العديد من مبادئ النحو الكلي و متغيراته في كتابه القيم " المعرفة اللغوية :

طبيعتها و أصولها و استخدامها Knowledge of Language : It's Nature, Origin and Use . و أدخل العديد من التطورات على النظرية حتى بلغ بها مراحل جد معقدة ، حيث قام تشومسكي باستحداث مفاهيم جديدة لمفاهيمه القديمة كتطويره لمصطلحي البنية العميقة و البنية السطحية، إذ طوّرها إلى البنية - د، و البنية - س ، اللتين عدّهما مستويين من مستويات التمثيل الأربعة التالية:

1- البنية - د D - structure

2- البنية - س S- structure

3- الصورة المنطقية Logical Form

4- الصورة الصوتية Phonetic Form

إنّ البنية - د ليست هي ذاتها البنية العميقة بمفهومها القديم ، بل هي مستوى تمثيلي تولده قواعد البنية المركبية ، حيث يقول تشومسكي : >> قواعد البنية المركبية (... ) تولد بالاستعانة بمقولات بسيطة فقط، طاقة من البنى التحتية التجريدية ( يمكن تسميتها " البنى

(1) Cook, chomsky's universal grammer, p . 3



– D- structures " ) و تحوّل هذه البنى – د عن طريق قواعد مختلفة النوع - هي القواعد التحويلية - إلى بنى يمكن تسميتها " البنى – س " S- structures << (1)

كما أنّ البنية السطحية بمفهومها القديم و الذي يعني البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي ينطق بها المتكلم قد قام بتعديل موقعها و مفهومها ، حيث أنّ المصطلح الذي يؤدي وظيفة إظهار البنية الناتجة عن تتابع الكلمات هو المستوى " PF " أو " الصورة الصوتية Phonetic Form " ، فهي المسؤولة عن تحويل البنية – س إلى صورة تمثّل فونولوجي. (2)

إنّ البنية – س تحمل العديد من الآثار التي يخلفها نقل عنصر من مكان إلى آخر أو حذفه تماما، و تقع عمليا في مفترق الطرق المؤدية للتمثيل الصوتي، و تكون مجالا واسعا لتحويلات الحذف المختلفة. (3)

أمّا المستوى " LF " أو الصورة المنطقية Logical Form فتشتق من البنية – س مباشرة. (4)

و لا يزال تشومسكي يعدل من نظريته مع كل مؤلف جديد، ففي سنة 1993 جاء بالبرنامج الأدنى مستعملا مفاهيم جديدة مثل النظام الحوسبي الذي أدخله كواسطة تصل بين الصوت و المعنى، أي بين البنية العميقة و البنية السطحية .

ثم جاء سنة 2000م بنموذج آخر و ذلك في كتابه " The Architecture Of Language يعرف بنموذج الأطوار Phase Model . (5) و ناقش فيه قضايا موسعة و متعمقة عن نظرية الربط التي سنتناول أهم مبادئها في الفصل الأخير بإذن الله.

(1) نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية، طبيعتها و أصولها و استخدامها. ص 141

(2) Chomsky, knowledge of language, p. 68

(3) ينظر: مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى: مفاهيم و أمثلة، ص 302

(4) ينظر : نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية ، طبيعتها و أصولها و استخدامها، ص 144

(5) Cook, Chomsky's universal grammar, P. 3

و تجدر الإشارة هنا أنّ تشومسكي لا يقف عن حد معين قط، بل إنه لا ينفك يطور من نظريته مضيفا إليها العديد من المفاهيم التي تتسم بكثير من التعقيد و الغموض.

## الفصل الثالث

### - اكتساب اللغة

أولا : اكتساب اللغة في الفكر العربي

أ - عند القدماء

ب - عند المحدثين

ثانيا : اكتساب اللغة في الفكر الغربي

أ- عند سكينر ( النظرية السلوكية )

ب - عند جان بياجيه ( النظرية المعرفية )

ج - عند تشومسكي ( النظرية الفطرية )

## - تمهيد -

### - الفرق بين الاكتساب و التعلّم

قبل الخوض في الحديث عن نظريات اكتساب اللغة لابد أن نُميّز أولاً بين مصطلحين يطوفان في حقل تعليمية اللّغة كأنّهما شيء واحد، بينما هما في الحقيقة يختلفان في نقاط شتّى ألا و هما: الاكتساب و التّعلم.

غالبا ما يقترن مصطلح الاكتساب مع اللغة الأولى أو اللغة الأمّ ، فالأطفال يكتسبون اللغة الأمّ دون وعي بالقواعد النّحويّة و يحصلون على لغتهم من خلال التّواصل الذي تقدّمه البيئة لهم.

بينما ، تعلّم اللغة غالبا ما يرتبط باللّغة الثانية ، حيث يتعلّم فيها هنا الأشخاص القواعد النّحوية مع إهمال لعمليّة الاتّصال . و تعلّم القواعد في كثير من الأحيان لا يؤدّي إلى نتائج طيّبة في مجال تعلّم اللغة.

إن اكتساب اللغة عمليّة غير واعية يتمّ فيها استيعاب اللغة التي تعرّض لها الطّفل (اللغة الأمّ)، دون تحفيظ متعمد للكلمات و لقواعد النّحو، في حين أن التّعلم هو نشاط واعٍ، و هذا ما يفعله المرء عندما يبحث عن كلمة في قاموس ما أو عندما يتعلّم القواعد النّحويّة و يحفظ قوائم المفردات ، الأشكال و القواعد، ولهذا فالاكتساب أكثر فعالية من التّعلم، و يدخل ضمن عامل الفعالية هذا عنصر العمر، كما أن الاكتساب يحدث من خلال الاحتكاك المستمرّ بالبيئة اللغويّة بطريقة تفاعلية.

و قد يقترن أحيانا مصطلح الاكتساب باللّغة الثانية أيضا، كأن يوضع طفل ما - شرط ألا يكون تجاوز مرحلة الطّفولة - في اتصال مستمرّ بمحيط لغوي دون بذل جهد فكري متعمد في أثناء العمليّة.

باختصار اكتساب اللغة يتمّ في المحيط بينما التّعلّم يتمّ في المعاهد أو المدارس و ذلك من خلال الحفظ و التلقين.

و للمحيط اللغوي تأثير عظيم على نوعية اللسان المكتسب ومدى خصوبته و رداءته ،  
و قد لاحظ أندريه مارتنيه أنّ إحدى ابنتيه - وهي أمريكية المولد - أنها اكتسبت الفرنسية  
و الإنجليزية معا ، و لكن في ظروف مختلفة ، حيث كانت تتحدث الإنجليزية مع حاضناتها  
و رفاقها في حدائق الأطفال، و لم تكن تتحدث بالفرنسية إلا مع والديها ، و في سنتها  
الرابعة كانت فرنسيّتها راشدة و إنجليزيّتها صبيانية طفولية<sup>(1)</sup> و ذلك بفعل الاختلاف بين  
نوع البيئتين اللغويتين اللتين نشأت فيهما، فالأولى تتسم بأنها بيئة لغوية انعزالية لا تتواصل  
فيها إلا مع الراشدين ( أبويها) و الثانية كانت بيئة انفتاحية تضم أقرانها من الأطفال.

---

(1) ينظر : أندريه مارتيني ، وظيفة الألسن و ديناميتها ، ص 220

## أولا : اكتساب اللغة في الفكر العربي

### أ - عند القدماء:

كان ابن فارس يرى أنّ اللغة تؤخذ من المحيط ، فالطفل يكتسب لغته الأمّ من خلال احتكاكه بالمحيط اللغوي الذي يعيش فيه ، و هو رأي اتفق عليه اللغويون المحدثون أيضا على اختلاف مناهجهم و مدارسهم و آرائهم .

يقول ابن فارس: >> تؤخذ اللغة اعتيادا كالصبيّ العربي يسمع أبويه و غيرهما ، فهو يأخذ اللغة عنهم على مرّ الأوقات.

و تؤخذ تلقّنا من ملقّن ، و تؤخذ سماعا من الرّواة الثّقات ذوي الصّدق و الأمانة ، و يُتقّى المظنون .<< (1)

الملاحظ في قول ابن فارس أنّه ذكر نوعين من مسالك أخذ اللغة ، النوع الأوّل هو أخذها عن طريق السّماع من المحيط و هذا هو الاكتساب الذي شرحناه من قبل ، أمّا النوع الثّاني فيتمثّل في أخذها عن طريق التلقين أي التعليم ، و الذي يستدعي جهدا فكريا واعيا. نلاحظ أيضا أن ابن فارس لم يتعمّق في عرض هذه المسألة بالتّفصيل ، و قد ذكرها في " باب القول في مأخذ اللغة " و لم تستدع منه سوى أربع فقرات ، ثمّ انتقل إلى " باب الاحتجاج باللّغة " فقدمه كما قدّم بقيّة الأبواب تقريبا في "الصاحبي" ، لمحات خاطفة أو ملاحظات سريعة بلا تعمق و تحليل و تفصيل ، و هذا شأن العديد من المسائل اللسانية التي نعثر عليها مبنوثة في بطون كتب التراث هنا و هناك ، إذ نجد أنّ كثيرا من القضايا اللسانية التي تناولتها اللسانيات الغربية و أولتها عناية فائقة و خاضت فيها طويلا بالتحليل و البحث ، قد سبقهم العرب إليها و لكنّها كانت في شكل ملاحظات منثورة هنا و هناك في بطون مؤلفاتهم العتيقة.

لقد أدرك العرب منذ القدم أهمية السّماع لاكتساب اللغة ، لأجل ذلك تجدهم حرصوا

(1) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها ، ص 34

على وضع أبنائهم في أوساط لغوية فصيحة لاكتساب الفصاحة. و نجد في سيرة النبي صلى الله عليه و سلم شيئاً من هذا ، إذ نشأ في بني سعد و هم أفصح العرب ، و قد قال: << أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، و إنني نشأت في بني سعد بني بكر. >> (1) ذلك أنّ قريشا هي أفصح العرب و سعد بن بكر التي تربى فيها هي من أكثر قبائل العرب فصاحة.

و ليس هذا شأن العرب في الجاهلية و صدر الإسلام و حسب ، بل كان الخلفاء الأمويون يرسلون أولادهم إلى البوادي من أجل تعلّم العربية و حفظ الأشعار و أخذ اللغة الفصيحة، حيث يُروى << أن عبد الملك بن مروان كان يقول : " أضرّ بنا حُبُّ الوليد ". لأن الوليد كان لحّاناً، و كان سليمان فصيحاً، لأن الوليد أقام مع أمّه ، و سليمان و غيره من إخوته سكنوا البادية ، فتعرّبوا ، ثم أدبوا فتأدّبوا. >> (2)

كما روى إبراهيم بن محمّد البيهقي في كتابه " المحاسن و المساوي " أنّ هارون الرشيد عهد إلى الأحمر النحوي بابنه محمّد الأمين كي يلقّنه العربية و أسرارها و فنونها و فصاحتها، و يقرئه القرآن و يعلمه الآثار و الأخبار و السنين و الشعر، و أن يؤدبه بالرزانة في المجلس و الاقتصاد في نظره و سمعه . (3)

و قد كان علماء العربية القدماء شديدي الحرص على معرفة أسرارها و دقّة لفظها و سلامة نطقها و ذلك بأخذها عن طريق السماع من موطنها: البوادي التي حافظت على سليقتها.

يُروى عن ابن جنى أنّه سأل أعرابياً قائلاً: << كيف تجمع سرحانا، فقال سراحين، قلت: فدكانا، قال : دكاكين، فقلت فقرطانا، قال: قراطين، قلت: فعثمان ، قال عثمانون، قلت: هلا قلت عثمانين كما قلت سراحين و قراطين، فأبأها البتة و قال: إيش ذا أرأيت إنسانا

(1) السيوطي ( جلال الدين ) ، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، شر: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية ، ج1 ، صيدا ( بيروت ) ، ص 210

(2) السهيلي ( عبد الرحمن بن عبد الله )، الروض الأنف ، تح: عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الإسلامية ، ط 1 ، ج 2 ، 1967، ص 168

(3) ينظر : البيهقي ( إبراهيم بن محمد ) ، المحاسن و المساوي ، دار صادر ، بيروت ، ص 575

يتكلّم بما ليس من لغته، و الله لا أقولها أبدا >>. (1)

هذه الرواية و غيرها كثير، دليل على حرص العرب الشّدِيد على السّماع في مسألة اكتساب اللّغة.

يقول الشّيخ محمّد إبراهيم البيهقي: >> قال مصعب بن الزبير: إنّ النّاس يتحدّثون بأحسن ما يحفظون ، و يحفظون أحسن ما يكتبون، و يكتبون أحسن ما يسمعون ، فإذا أخذت الأدب فخذ من أفواه الرّجال ، فإنّك لا تسمع منهم إلا مختاراً.<< (2)

و قديما بيّن فخر الدّين الرّازي كيفية أخذ اللسان العربي قائلًا : >> الطّريق إلى معرفة لغة العرب و نحوهم وتصريفهم إما العقل و إمّا النّقل أو ما يتركّب منهما. أمّا العقل فلا مجال له في هذه الأشياء لما بيّنا أنّها أمور وضعيّة، و الأمور الوضعيّة لا يستقل العقل بإدراكها. و أمّا النّقل فهو إمّا توتر أو آحاد و الأوّل يفيد العلم، و الثّاني يفيد الظّن. و أمّا ما يتركّب من العقل و النّقل فهو كما عرفنا بالنّقل أنّهم جوزوا الاستثناء لإخراج ما لولاه لدخل تحت اللفظ. فحينئذ نعلم بالعقل بواسطة هاتين المقدمتين النّقليتين أنّ صيغة الجمع تفيد الاستغراق.<< (3)

بعكس ما يدعيه تشومسكي من وجود قواعد ضمنية أو ملكة لسانيّة في أدمغة المتكلّمين و هي بمثابة سمة بيولوجية شأنها شأن لون العينين و البشرة و الشّعْر، هبة فطرية تولد مع الإنسان ، >>فإنّه لم يرد في التّأليف العربي القديم أنّ استعملت الملكة اللسانية لتدلّ على أبنية أو صور أو أيّ اسم آخر مطبوعة في حيّز الدّماغ ..... بل أينما استعملت ملكة قصد بها صفة راسخة مكتسبة << (4) ، و هذا ما نجده عند ابن خلدون و هو يتحدّث عن كيفية اكتساب اللّغة في فصل: " في أنّ اللّغة ملكة صناعيّة"، فيقول :

>> اعلم: أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، و جودتها و قصورها بحسب تمام الملكة، أو نقصانها. و ليس ذلك بالنّظر إلى

(1) الحموي ( ياقوت أبو عبد الله ) ، معجم البلدان، دار الكتب العلمية ، ج3 ، 1991 ، بيروت ، ص477

(2) البيهقي ، المحاسن و المساوئ ، ص 5

(3) الرّازي ( فخر الدّين محمد بن عمر بن الحسين)، المحصول في علم أصول الفقه ، تح : طه جابر فياض

العلواني ، مطبوعات الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط1، ج 2، 1400هـ ، السعودية ، ص 276

(4) محمد الأوراعي، اكتساب اللّغة في الفكر العربي القديم ، دار الكلام للنشر و التوزيع ، 1990 ، الرباط ( المغرب ) ،



المفردات، و إنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، و مراعاة التّأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال ، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع ، و هذا هو معنى البلاغة ، و الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأنّ الفعل يقع أولاً و تعود منه للذات صفة، ثمّ تتكرر فتكون حالاً، و معنى الحال أنّها صفة غير راسخة، ثمّ يزيد التكرار فتكون ملكة أي: صفة راسخة. << (1)

يشير ابن خلدون إلى أهميّة تكرار الفعل التواصلّي لتحصيل اللغة في الأذهان، لتنتقل من حالة مؤقتة عارضة إلى حالة راسخة إذ يواصل قائلاً: << فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودةً فيهم، يسمع كلام أهل جيله و أساليبيهم في مخاطبتهم و كيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولاً، ثمّ يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثمّ لا يزال سماعهم لذلك يتجدّد في كلّ لحظة و من كلّ متكلم، و استعماله يتكرّر إلى أن يصير ذلك ملكةً و صفةً راسخة، و يكون كأحدهم. هكذا تصيّرت الألسن و اللغات من جيل إلى جيل و تعلمها العجم و الأطفال و هذا هو معنى ما تقوله العامة من أنّ اللغة للعرب بالطّبع، أي: بالملكة الأولى التي أخذت عنهم و لم يأخذوها عن غيرهم.>> (2)

فاكتساب اللغة - حسب رأيه - لا يتمّ إلا من خلال التّعرّض المستمر للاستعمال اللغوي الذي يوفّره المجتمع للأطفال. و كلّما تكرّر هذا التّعرض كلّما ترسّخت هذه اللغة إلى أن تصبح ملكة.

لقد أولى العرب اهتماماً بالغاً بعنصر السّماع في أخذ اللغة العربية (أي الاكتساب)، و هذه التفاتة عظيمة منهم، فلا يمكن أخذ لغة من المحيط إلا عن طريق السّماع، و من ثمّ يتّضح لنا أنهم كانوا من أنصار التيار الاكتسابي .

<< إذن نظرية المعرفة و الاكتساب الملائمة لما له طبيعة اللسان الوضعية تتحدّد

(1) ابن خلدون ، المقدمة، ج 2 ، ص 378

(2) المرجع نفسه، ج 2، ص 378

في القيود الموضوعية لقبول المسموع، و تقوم تلك القيود مقام الدليل على كونه كما  
سُمع. << (1)

لذلك ليس غريبا على ابن خلدون أن ينظر إلى جميع اللغات الإنسانية على أنها ملكات  
شبيهة بالصناعة، أي أنّ اللغة يمكن اكتسابها كما يمكن اكتساب حرفة أو صناعة ما، ثمّ  
تتحول إلى ملكة و الملكة هي مهارة راسخة تأتي عن طريق التعرض المستمر حتى  
صارت طبعا في الإنسان و هذا ما يوحيه قوله السابق: "...و الملكات لا تحصل إلا بتكرار  
الأفعال، لأن الفعل يقع أولا و تعود منه للذات صفة، ثمّ تتكرر لتكون حالا، و معنى الحال  
أنّها صفة غير راسخة، ثمّ يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة ."

و من هنا فإنّ العرب اكتسبوا لغتهم عن طريق السماع، و ذلك بتعرض الأفراد لبيئة  
لغوية عربية فصيحة و لم يكونوا بحاجة لتعلمها على أيدي المشايخ ، أي حصول اللغة في  
الدّهن دون وعي و هنا يظهر الفرق بين الملكة و الطّبع ، و يتمثّل هذا الفرق << بحديث  
العرب بالفصحى، و هو أنّ كلامهم هذا ليس طبعا جاهزا هكذا دون تعلّم، و إنّما هو ملكة  
تكونت و تمكنت و ترّسخت فيهم فأصبحت لا شعورية . >> (2)

و في ذلك يقول ابن خلدون : << و لذلك يظنّ كثير من المغفلين ممّن لم يعرف شأن  
الملكات أنّ الصواب للعرب في لغتهم إعرابا و بلاغة أمر طبيعي، و يقول كانت العرب  
تنطق بالطبع، و ليس كذلك، و إنّما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكّنت و رسخت  
فظهرت في بادئ الرّأي أنّها جبّلة و طبع. >> (3)

و بعد فساد اللسان المُضري بسبب اختلاط العرب بالأعاجم احتاج النّاس إلى طريقة أخرى  
لحصول العربية في الدّهن فكان التّعلّم.

يقول ابن خلدون : << ثمّ إنّهُ لما فسدت هذه الملكة لمضر بمخاطبتهم الأعاجم. و سبب

فسادها : أنّ الناشئ من الجيل ، صار يسمع في العبارة عن المقاصد كصفات أخرى غير  
الكيفيات التي كانت للعرب من غيرهم، و يسمع كيفيات العرب أيضا، فاختلط عليه الأمر و

(1) محمد الأوراعي، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، ص 216

(2) باسم يونس البديرات، الفكر اللغوي عند ابن خلدون في ضوء علم اللغة المعاصرة ، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد  
القادر مرعي خليل ، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا، استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في

الدراسات اللغوية ، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة مؤتة، 2007 ، الأردن ، ص 44

(3) ابن خلدون ، المقدمة ، ج 2 ، ص 387

أخذ من هذه و هذه ، و استحدثت ملكة، و كانت ناقصة عن الأولى ، و هذا معنى فساد اللسان العربي. << (1)

فالاختلاط سبب في فساد الملكات و تغييرها >> و هو عامل من عوامل التطور اللغوي الذي يصيب اللغة ( ... ) و يبدأ ذلك بتسرّب رشح من الدّخيل من لغات أخرى تحتاج إليه اللغة فتتقبّله ، بل تحس مع تعاطيها له في البداية بمزيد من الانتعاش و القوّة و النشاط يشجعها على تقبّل جرعات أكبر من هذا الدّخيل ، و هذا الأمر حسب ما يرى ابن خلدون كان سببا واضحا في فساد الفصحى لدى العرب. << (2)

و هنا يميز ابن خلدون بين نوعين مختلفين من طرق أخذ اللغة ، الأول يتم من خلال الترعرع في بيئة لغوية و التعرض لهذه اللغة عن طريق السماع، أمّا النوع الثاني فيكون عبر الحفظ و المران . (3)

و لذلك على من يبتغي ملكة اللسان المضري و يروم تحصيلها أن يسعى لحفظ كلام الفصحاء من العرب ، حيث يقول في ذلك : >> و وجه التّعليم لمن يبتغي هذه الملكة ( اللسان المضري) و يروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن و الحديث، و كلام السّلف، و مخاطبات فحول العرب في أسجاعهم و أشعارهم ، و كلمات المؤلّدين أيضا في سائر فنونهم ، حتى يتنزّل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم و المنثور منزلة من نشأ بينهم و لقن العبارة عن المقاصد منهم . << (4)

في نظر ابن خلدون تعلم الكلام الفصيح مقرون بحفظ مصادر النّحو العربي المعروفة القرآن و الحديث و كلام العرب شعرا كان أم نثرا. و هذا بدوره يؤدي إلى تحصيل اللغة العربية و ترسيخها في الأذهان . كثرة الحفظ هي إذن مسألة ضرورية لتعلم اللغة و رسوخها في الذّهن حيث يؤكد مرة أخرى على أهمية التّعليم في رسوخ الملكة قائلا :

(1) المرجع السابق ، ص 378

(2) باسم يونس البديرات ، الفكر اللغوي عند ابن خلدون في ضوء علم اللغة المعاصر ، ص 46

(3) ينظر : ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون ( دراسة ألسنية)، ص 64

(4) ابن خلدون ، المقدمة ، ج2 ، ص 386

<< أنّ الملكة إمّا تحصل بالتّعليم كما قلناه. >> (1)

و يقول أيضا : << و تَعَلَّم مما قررناه في هذا الباب أنّ حصول ملكة اللسان العربي إنّما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسخ هو عليه، و ينزل بذلك منزلة من نشأ معهم، و خالط عباراتهم في كلامهم، حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم >> (2)

لكن هذا لا يعني أنّ الحفظ وحده يكفي لرسوخ اللغة ، بل يجب أن يقرن الحفظ بالفهم، فالفهم ما يتيح للمتعلّم كيفية استعمال ما تمّ حفظه ، و هذا ما قصده ابن خلدون بقوله: <<... ثمّ يتصرّف بعد ذلك في التعبير عمّا في ضميره على حسب عباراتهم ، و تأليف كلماتهم ، و ما وعاه و حفظه من أساليبهم و ترتيب ألفاظها ، فتحصل له هذه الملكة بالحفظ و الاستعمال، و يزداد بكثرتها رسوخا وقوة ، و يحتاج مع ذلك إلى سلامة الطبع و التفهم لمنازع العرب و أساليبهم في التراكيب و مراعاة التّطبيق بينها و بين مقتضيات الأحوال.>> (3)

<< واضح أن تعلم اللغة ، في يقين ابن خلدون ، يتم من خلال توفير مادة كلامية حيّة و وضعها في متناول حفظ المتعلم بحيث يتفاعل مع اللغة و هي تعمل و تحمل النتائج الثقافي الأدبي الفصيح ، فيكتسب اللغة على نحو شبيه بالطفل الذي يترعرع في مجتمعه حيث يكتسب ، بصورة طبيعية، لغته.>> (4)

لقد أثار ابن خلدون قضية ازدواجية الواقع اللغوي الذي كان يعيشه العربي في عصره وهو أمر تعاني منه المجتمعات العربية المعاصرة التي تتخبط بين اللهجات العامية و العربية الفصحى التي صارت لا تُعَلَّم إلا في المدارس و الجامعات، أمّا لغة التخاطب اليومي فتتم بالعديد من اللهجات المختلفة، و لذا فحال العربي "متعلم اللغة العربية" اليوم أشبه بحاله في زمان ابن خلدون.

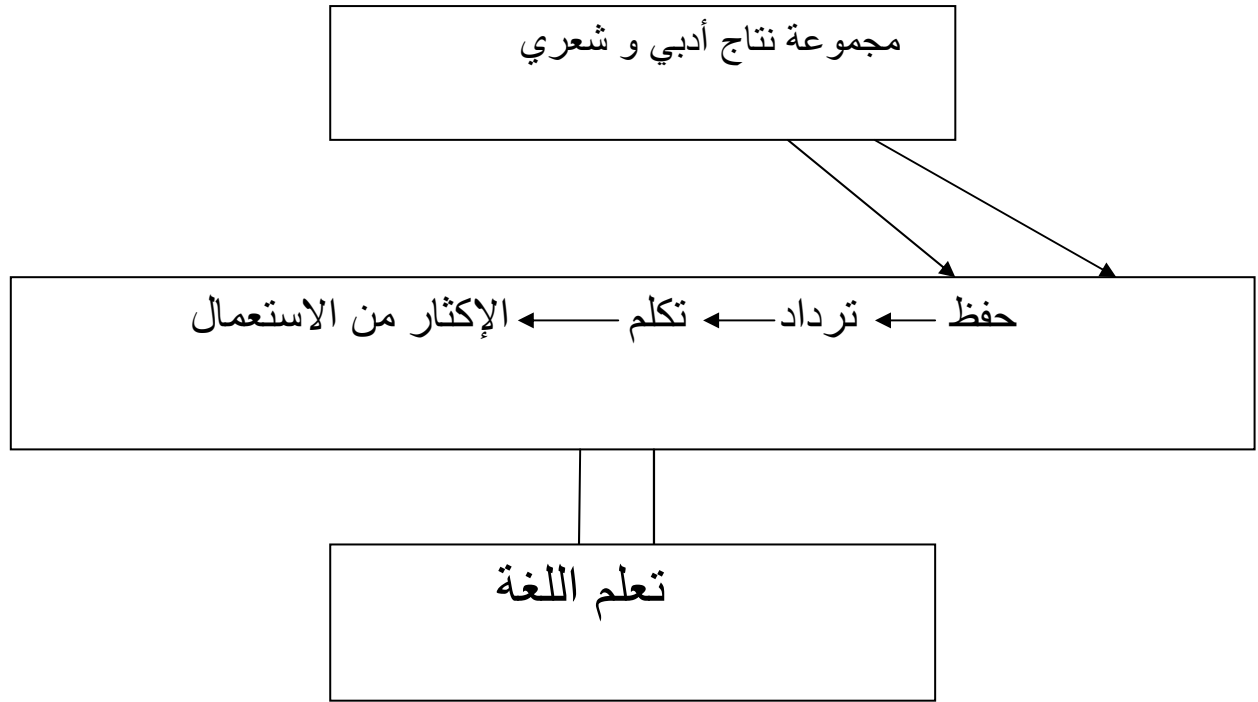
(1) ابن خلدون، المقدمة، ج 2 ، ص 383

(2) المرجع نفسه ، ص 386

(3) المرجع نفسه، ص 384

(4) ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون ، ص 69

ومن هنا يمكننا استقراء نظرية خلدونية حول اكتساب اللغة، تقوم على طريقتين ،  
الأول يتم تلقائياً عن طريق السماع و التعرض للبيئة اللغوية التي يعيش فيها الطفل، أمّا  
الثاني فيتم عن طريق حفظ التراث الإسلامي و العربي من قرآن و حديث و شعر و المران  
عليه باستمرار ، و يمكن التمثيل لذلك بالمخطط التالي (1):



(1) ينظر : المرجع السابق ، ص 70

## ب - عند المحدثين:

سنعرض في هذا المبحث جملة من آراء و دراسات نظرية و تطبيقية قام بها بعض الباحثين العرب حول اكتساب اللغة ، و إن كانت آراؤهم لا تخرج عن آراء الباحثين و علماء النفس الغربيين المتخصصين في مجال اكتساب اللغة الإنسانية.

### 1- إبراهيم أنيس:

أشار إبراهيم أنيس في كتابه " اللغة بين القومية و العالمية " إلى موضوع ارتباط اللغة بالإنسان ، حتى غدت عُرفاً أثار جدلاً كبيراً بين القدماء من المفكرين ، حتى جعلها بعضهم قرينة الوراثة و الجنس ، درجة أن يتصوّروا أنّ الأجناس غير العربية ليس بمقدورها إتقان العربية مهما فعلت. (1)

و لكنه لا يُسلّم بفكرة الوراثة هذه و يقول أن اللغة تتم عن طريق الاكتساب ، لا أثر للوراثة و الجنس فيها، فيقول : >> فالمرء قبل أن تتاح له فرصة لدراسة اللغة يتصور أنّه ورث لغته عن أبويه كما ورث عنهما بعض الملامح و الصفات البيولوجية. فالعربي مثلاً يتكلم العربية لأنه ولد لأبوين عربيين ، و الإنجليزي يتكلم الإنجليزية لأنه ولد لأبوين إنجليزيين و هكذا. فليس يدرك المرء العادي أنّ تعلم أي لغة ، بل و إتقانها ، عملية مكتسبة لا أثر للوراثة أو الجنس فيها ، فإذا رُبّي طفل مصري من أبوين مصريين في بيئة صينية مثلاً نشأ من حيث اللغة كأبناء الصين.

و مرجعية هذا التصور أو الوهم بين جمهور الناس هو أنّ عرقية اللغة تتطلب في إدراكها و الاقتناع بحقيقتها تفكيراً و بحثاً لا يأتي عادة إلا للدارسين المتخصصين. << (2)

و يؤكد إبراهيم أنيس أنّ اللغة تكتسب من خلال الاحتكاك المستمر بالمجتمع و خاصة أنّ الإنسان يولد وهو مزوّد باستعداد لاكتساب اللغة فهو يولد بجهاز نطقي يسمح له بإصدار

(1) إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية و العالمية ، دار المعارف ، مصر ، ص 18

(2) المرجع نفسه ، ص 18

الأصوات ، و لذلك يقول: << فالحبة تكمن فيها جرثومة الحياة و لكنها لا تنبت إلا في التربة. و كذلك اللغة في الإنسان إذ يولد المرء مستعداً للنطق و الكلام، لديه أجهزته و أعضاؤه. و لكنه وحده منعزلاً عن الناس لا ينطق و لا يتكلم و لا تنشأ له لغة. و نحن نلمس مظاهر هذا الاستعداد الفطري لدى الإنسان في صياح الوليد و مناغاته. فتلك جرثومة اللغة أو القدرة على الكلام، و لكنها لا تنمو إلا حين تتوفر للمرء الحياة في مجتمع. و لم يكن بعض الفلاسفة و المفكرين فيما مضى يفتنون إلى هذه الحقيقة ، فقد تصور صاحب قصة "حي بن يقظان" أنّ المرء حين يُعزل في جزيرة غير أهلة بالسكان و تتوفر له حاجات الحياة من مأكّل و مشرب و كساء، و بحيث يعيش في أمن من قيظ الطبيعة أو زمهريرها ، و من هوام الأرض و وحوشها ، يمكن أن يحيا و يفكر وحده ، و أن تنمو لديه تلك الموهبة العقلية التي يولد كلّ إنسان معداً بها و مستعداً لها. فإذا مرّ بمرحلة الطفولة و أصبح صبياً ثم فتى ثم رجلاً نمت معه تلك الموهبة العقلية و نما تفكيره ، و استطاع في نهاية الشوط أن يصل إلى ربّه. و أن يتعرف على عظمته و قدرته و أن يعبده في هذه الجزيرة المنعزلة. و لسنا نتصور أن يتم له كلّ هذا دون نطق أو دون كلام. >> (1)

## 2- نايف خرما:

يرى نايف خرما أنّ اللغات الإنسانية ليست شيئاً يحدث للإنسان بمعزل عن المجتمع ، وهي ليست سمة وراثية يرثها عن أبويه و أجداده و أنّ المجتمع مهمّ جداً لاكتسابها ، و أنّ الطفل يتعلم لغة أي مجتمع وُضع فيه ، ثم إنّ اكتساب الطفل للغة لا يقتصر على مجرد السماع، بل يتعدى إلى قدرات ذهنية مذهلة يتقن خلالها الطفل القواعد و هي أهم مقومات اللغة. (2)

لقد تساءل خرما في كتابه "أضواء على الدراسات اللسانية المعاصرة" إذا ما كان العلماء قد توصلوا إلى اكتشاف الطريقة التي يكتسب بها الطفل اللغة و ينميها، ثم ذكر أنّ الدراسات التي أجراها الخبراء و المختصون على الأطفال في جامعة هارفارد قد دحضت آراء تشومسكي في مجال اكتساب اللغة ، حيث >> ثبت مثلاً أنّ الأطفال يكتسبون المقدرة

(1) المرجع السابق، ص 29

(2) ينظر : نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 126 - 128

على صياغة أنواع من الجمل تقول نظرية تشومسكي أنها تحتاج إلى قواعد تحويلية معقدة للغاية و ذلك بسرعة و سهولة أكبر من إتقانها لجمل أبسط بكثير في نظره. كما أنه تبين بوضوح أن الطفل لا يفكر أثناء اكتسابه اللغة بما أطلق عليه تشومسكي البنية الداخلية أو العميقة للجملة بل هو يبحث عن أنماط تتبع نظاما متناسقا في البنيات الخارجية للجمل. فهو يتعلم مثلا استعمال الجملة المبني فعلها للمعلوم منفصلة عن تلك المبني فعلها للمجهول و لا يكشف العلاقة العميقة بينهما إلا بعد مدة طويلة ، مع أن المفروض أن أساس الجملتين واحد. و هذا أيضا ينطبق على أشكال أخرى من الجمل كالمثبت و المنفي و الاستفهام و بعض التراكيب اللغوية الأخرى .< (1)

و يبدو أن نايف خرما يقف في صف الدراسات الحديثة القائلة أن الطفل لا يولد و ذهنه صفحة بيضاء بل هو يولد بعقل نشيط ذي تركيب معقد، كما أنه لا يكتسب اللغة من خلال المحاكاة و السماع وحدهما(2).

### 3- علي عبد الواحد وافي:

تنقسم الأصوات التي يلفظها الطفل إلى " أصوات التعبير الطبيعي عن الانفعالات" و " الأصوات الوجدانية الإرادية " ، و يعد النوع الأول من الأصوات الفطرية التي تولد مع الإنسان ، و التي يصدرها في حالات الخوف و الألم و الجوع و الفرح و الغضب و السرور و الدهشة، كالبكاء و الضحك... إلخ أما النوع الثاني فهي فطرية أيضا لكن الطفل يستعملها إراديا لجعل من يحيط به يستجيب لرغباته. (3)

ثم تنشأ أصوات أخرى لدى الطفل عند الشهر الخامس ، إذ يعتمد على تمرين أعضاء نطقه فيقضي وقتا طويلا في ذلك . و بعض من هذه الأصوات هي تقليدية يحاول بها الطفل أن يحاكي الأصوات التي تصله و يستمر في ذلك إلى أن يصل إلى " الأصوات المركبة ذات المقاطع و الدلالات التي تتألف منها كلمات اللغة " ، و هنا يبدأ الطفل في الأخذ عن

(1) المرجع السابق ، ص 134

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 135

(3) ينظر : علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، نهضة مصر، ط9 ، 2004، مصر ، ص 119 - 121



محيطه الأسري ، و هي لا تعد أصواتا فطرية تصدر عن الطفل بشكل آلي بل هي إرادية وهو يستخدمها للتعبير عن المعاني التي يريدها . (1)

قام علي عبد الواحد بملاحظة النمو اللغوي عند أبنائه الستة و توصل إلى نتائج قيّمة، فالطفل خلال اكتسابه للغة يمر بعدة مراحل هي (2):

1. **المرحلة الأولى:** و تبدأ من الولادة إلى الشهر الخامس و في هذه المرحلة تظهر

الأصوات السابقة الوجدانية الفطرية و الإرادية... إلخ

2. **المرحلة الثانية :** و تبدأ من الشهر الخامس إلى أواخر السنة الأولى و تمتاز هذه

المرحلة بأصوات التمرينات النطقية و نطق حروف المدّ ، و محاولة محاكاة ما يسمعه الطفل من أصوات.

3. **المرحلة الثالثة:** و هي مرحلة التقليد اللغوي و تبدأ هذه المرحلة من أواخر السنة

الأولى و تنتهي في الخامسة أو السادسة ، و هنا يقوم الطفل بمحاكاة الكلمات التي يسمعا

محاكاة خاطئة ثم بتكراره المتواصل للكلمات يصلح ما أفسده في نطقها شيئا فشيئا ، كأن

ينطق الكتاب ( تتاب) و الشّعْر ( سعر ) و الكلب ( تلب) و هكذا... و شيئا فشيئا تنحل

عقدته و ذلك إلى أواخر الشهر الرابع من السنة الثانية ثم تزداد لديه قوة التقليد لدرجة مذهلة فلا يترك كلمة أو جملة إلا و قلدها.

4. **المرحلة الرابعة:** و هي مرحلة الاستقرار اللغوي و تبدأ عند أغلب الأطفال في السابعة

أو الثامنة . و هنا تبدأ لغة الطفل في الاستقرار و تتمكن الأساليب الصوتية من الرّسوخ

على لسانه و كذلك طائفة كبيرة من العادات الكلامية.

يرى وافي أنّ كل هذه المراحل لا تتم إلا من خلال التّقليد و المحاكاة المرتبطة

ارتباطا وثيقا بالسمع فيقول : >> فبالموازنة بين هذه المراحل و المراحل التي تسير فيها

لغة الطفل،...، يتبين أنّ ظاهرة التّقليد اللغوي تتبع في رقيها الإحساس السمعي.

أما السبب في ذلك فلا يحتاج إلى بيان. فالطفل في تقلّده يحاكي ما يصل إليه عن

طريق السمع. فمن البديهي أن تتوقف هذه المحاكاة على وجود قدرة السمع لديه و أن تتأثر

(1) ينظر : المرجع السابق ، ص 126 - 127

(2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 128 - 151

في ارتقائها بما ينال هذه الحاسة من دقة و تهذيب. << (1)  
>> و للذاكرة السمعية التي تحفظ الأصوات دور كبير في عملية الاكتساب حسب رأيه ،  
و لا تبدو هذه القدرة عند الطفل إلا بعد بضعة أسابيع بعد ولادته ، و تظل ضعيفة حتى  
أواخر الشهر الرابع ، ثم ترتقي ارتقاء بطيئاً حتى أوائل السنة الثانية و حينئذ تبدأ مرحلة  
نضجها. << (2)

و للحفظ دور لا يقل أهمية عن السماع ، بل إنه يكاد يكون مقرونا بالسماع ،  
>> ذلك أنّ الكلمة التي يحاكيها الطفل لا تصبح جزءاً من لغته إلا إذا استطاع حفظها و  
استعادتها عند الحاجة إلى التعبير عما تدل عليه. << (3)

و لكن هذا الحفظ ليس مجرد تقليد أجوف بل هو قرين الفهم ، ففهم الطفل لمعاني  
الكلمات يسبق قدرته على النطق بها و الفهم شرط ضروري للتقليد اللغوي و عامل  
أساسي من عوامل نموه . و كلما ارتقى محصول الطفل اللغوي ارتقى تفكيره أيضاً و  
اتسعت درجة فهمه، و إذا كان الطفل يعاني من خلل في دماغه يحول بينه و بين فهم معاني  
الكلمات فإنه ينشأ أبكماً حتى لو كانت أعضاء نطقه سليمة. (4)

#### 4 - حاتم الضامن : يرى الباحث حاتم الضامن أنّ اللغة الإنسانية شيء مكتسب و

لا شأن للوراثة في تحصيل الأطفال لها، حيث يقول: >> و لو فطر الإنسان على التّكلم لما  
تعددت اللغات و لما وجدت اليوم أكثر من ألف و خمسمائة لغة، و لكن لا بد أن يجيب علم  
اللغة على أسئلة مازالت تحتاج إلى الإجابة عليها مثل: كيف يتعلّم الطفل اللغة؟ و هل  
يتعلمها دفعة واحدة أو على دفعات؟ و هل هناك تفاوت لدى الأطفال في تعلّم اللغة؟ و هل  
يستطيع الطفل أن يدرك دلالة الألفاظ التي يتعلّمها و يكتسبها سواء من أهله، أي: من بيئته  
الضيقة، أو من البيئة الأوسع و الأشمل كبيئة المدرسة و الحارة... إلخ؟ و ما أثر ثقافة

(1) المرجع السابق ، ص 151

(2) المرجع نفسه ، ص 152

(3) المرجع نفسه ، ص 152

(4) ينظر : المرجع نفسه ، ص 152

الوالدين على سرعة تعلم الطفل للغة ؟ << (1)

لم يأت حاتم الضامن بكلام جديد حول مسألة اكتساب اللغة عند الطفل، بل اعتمد على تقسيم العالم الدانمراكي (جسبرسن) لمراحل الاكتساب ، و رأى بأنه الأصح و الأنسب للدراسة و هذا التقسيم هو (2):

1/ مرحلة الصباح.

2/ مرحلة البأبة.

3/ مرحلة الكلام أو التكلم.

و قد قام بدراسة هذه المرحل بالتفصيل لكنه لم يشر إلى كيفية اكتساب الطفل للغة، أهو قائم على المحاكاة البحتة؟ أم أنّ هناك دورا مميزا للحفظ و للعقل في ذلك.

## 5 - جمعة سيد يوسف:

لا شك أنّ حقل اكتساب اللغة حقل واسع خاض فيه علماء النفس و علماء اللغة و علماء الأعصاب محاولين جميعا تفسير هذا النشاط الإنساني الذي يتفرد به الإنسان عن سواه من المخلوقات، و كان لهذا الحقل نصيب جم من اهتمامات الباحثين العرب المحدثين الذين لم تخرج آراؤهم في هذا المجال عن آراء الدراسين الغربيين. إنّ اكتساب اللغة يرتكز على عملتين مختلفتين: الأولى هي الفهم و الثانية هي استخدام اللغة. (3)

و تسبق عملية الفهم عملية الاستخدام ، فلا بد للطفل أولا من فهم ما يدار حوله من حديث لكي يتمكن من الاستجابة له. لقد قسم جمعة اكتساب اللغة عند الإنسان إلى عدّة أقسام فهي عملية تمر بعدة مراحل و هذه المراحل هي على التوالي:

1 - اكتساب النظام الصوتي: تُشكّل الأصوات التي يصدرها الطفل عند شعوره بالجوع أو الألم نقطة البداية لرحلة النمو اللغوي عنده، ثمّ ترتقي إلى الهمهمة ببعض الحروف المقرونة بأصوات المد، و غالبا ما تستمر هذه المرحلة من ستة أشهر إلى اثني عشر شهرا،

(1) حاتم الضامن ، علم اللغة ، ص 106

(2) المرجع نفسه ، 107

(3) ينظر : جمعة سيد يوسف ، سيكولوجيا اللغة و المرض العقلي ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، دار المعارف ، 1990 ، الكويت ، ص 86

و يتعلم الطفل في هذه المرحلة فونيمات اللغة عن طريق السماع، الاستماع المتواصل  
الدؤوب للغة الكبار. فيقوم بتكرار مجموعة من الأصوات، و هنا يبدأ الطفل في تعلم  
مهارات عامة على إنتاج الأصوات و نطقها، فيحدث انسجاماً بين أعضاء النطق : اللسان،  
الشفيتين الحنجرة و الأوتار الصوتية. و يلعب التقليد دوراً مهماً في هذه المرحلة و الطفل  
هنا لا يكتسب الأصوات فقط بل فئات من الأصوات. (1)

2- اكتساب النحو ( أو التراكيب): يكتسب الأطفال الأسوياء الخالين من أي تخلف في  
الدماغ أو نقص في السمع أو الصمم النحو بعد مرحلة اكتساب المورفيمات حيث يكتسبون  
التراكيب من الشهر الثامن و الأربعين إلى الشهر الستين ، و يبدأ الأطفال بإنشاء جمل  
من كلمتين ، و من ثم يتعلمون إضفاء المعنى على جملهم البسيطة. فيكتسبون ما يشير إلى  
الجمع و الملكية كما يتعلمون كيفية طرح الأسئلة و استخدام النفي. (2)

3 - اكتساب المعنى: عندما يكتسب الأطفال الفونيمات و التراكيب فهم لا يكتسبونها  
مجردة من المعاني ، بل إن كل فونيم يصدر عنه وكل التراكيب التي ينتجونها تكون  
مقرونة بمعنى معين في أنفسهم، >> فكما ينبغي أن تكون منطوقاتهم صحيحة نحوياً يجب  
أن تكون ذات معنى كما يحتاج الأطفال إلى أن يتعلموا كيف يفهمون معاني الجمل .  
فالمعرفة بالمفردات ليست كافية. و يستخدم الأطفال أنواعاً متعددة من المعلومات لجعل  
الجمل ذات معنى. << (3)

كما يقوم الأطفال باستخدام كلمة واحدة للتعبير عن عدة أغراض أو معان >>  
فالأطفال جميعاً يمتدنون بمعنى الكلمة الواحدة للإشارة إلى عدة أشياء بينها تشابه ما.  
و بعد ذلك، وفي فترة متأخرة، عندما يتعلم الطفل كلمة أخرى لجانب من الإمدادات التي قام

(1) ينظر: المرجع السابق ، 87- 89

(2) ينظر: المرجع نفسه ، 90- 92

(3) المرجع نفسه ، ص 92

بها من قبل، و يلاحظ فيها خصائص محددة كثيرة فإن عملية عكسية تحدث، أي أن معنى الكلمة المستخدمة يميل للضييق. << (1)

بمراقبة لابن شقيقتي ذي السنين، لاحظت أنه يطلق كلمة ( بَكا paka ) على أي مشروب فهو يطلقها طلبا لشرب الماء و الحليب أو العصير، ومعنى ( العملية العكسية) التي تحدث في هذه المرحلة هو أنه بعد ذلك يعمد الطفل إلى تحديد معانيه بدقة أكثر و يجنح إلى تخصيصها. >> و عندما يبلغ الأطفال الثالثة من العمر يفقدون العديد من أشكال توسيع المعنى، ولكن تظل لديهم مشكلة في التعامل مع كلمات المطابقة ( Antonym ) أو النفاض ( كلمة يعكس معناها معنى كلمة أخرى مثل بارد - ساخن - حسن - سي ) فمعنى إحداهما قد يمتد ليشمل كليهما، كما لو كانت الكلمات مترادفة ( synonyms ) . و أحد التفسيرات المحتملة لذلك هو أن الأطفال يكتسبون مفاهيم عامة خاصة بالكمية ( كثير- قليل) الاتساع ( واسع- ضيق)، و الارتفاع ( طويل - قصير)، ثم يعرفون أن هاتين الصفتين متناقضتي المعنى . << (2)

إن اكتساب المعاني يكون مرتبطا بنضج المراكز العصبية في الدماغ، و إدراك المفاهيم الذهنية، >> و يرى بعض الباحثين أن معاني الكلمات لا تكتسب إلا بعد أن يكون الطفل قد استطاع أن يكون صورا ذهنية ثابتة، أو مفاهيم عن الأشياء و الأحداث التي تشير إليها هذه الكلمات و إلا لما استطاع أن يعبر عن الشيء في غيابه أو يعبر عن شيء " غير محدد". فالطفل الذي يقول : " دادي" و أبوه غير موجود، و غير ذلك من الأصوات المتشابهة، لا بد من أن تكون لديه صور ذهنية أو آثار حسية لهذه الأشياء. << (3)

تلكم هي آراء بعض الباحثين العرب المحدثين حول اكتساب اللغة، و سنتناول في المباحث اللاحقة الاكتساب في الفكر الغربي بإذن الله.

(1) المرجع السابق ، ص 92

(2) المرجع نفسه ، ص 93

(3) المرجع نفسه ، ص 93

## ثانيا : اكتساب اللغة في الفكر الغربي

### أ - عند سكينر Skinner (النظرية السلوكية )

يعرف هذا الاتجاه باتجاه التجريبيين Empiricists وهم يذهبون إلى أن المعرفة الإنسانية لا توتى إلا بالحواس. و >> في عام 1924 قدم " واطسون" (J- Watson) نظريته السلوكية التي جعلت علم النفس التجريبي دراسة للسلوك الملاحظ ، تقف الملاحظة في مواجهة الآراء العقلية من ناحية و الأساليب الاستبطانية من ناحية ثانية، و النظريات المعرفية من ناحية ثالثة. وقد نشر فصلا بعنوان " الكلام و التفكير" ينفي فيه وجود الجانب العقلي، ويعتبر التفكير بمثابة كلام الفرد إلى نفسه . << (1)

و قد تأثر سكينر ( Skinner ) بآراء واطسون ، و تعد نظريته التي جاء بها سنة 1957 واحدة من أقدم التفسيرات لعملية اكتساب اللغة، وكما هو معروف فسكينر واحد من رواد السلوكية إذ يرى أن ارتقاء اللغة عند الطفل تعتمد على التأثير البيئي أو تأثير المحيط. يزعم سكينر أن عملية اكتساب اللغة تقوم على أساس التعزيز السلوكي القائم على مبدأ المثبر و الاستجابة ، >> وهو يرى أن اللغة عبارة عن مهارة ينمو وجودها لدى الفرد عن طريق المحاولة و الخطأ، ويتم تدعيمها عن طريق المكافأة ، و تنطفى إذ لم تقدم المكافأة . << (2)

فمثلا عندما ينطق الطفل كلمة " حليب" فيجد الاستجابة عند والدته بتقديم الحليب له، فيدرك الطفل عندئذ هذه الاستجابة كمكافأة ، وهذا يدفعه إلى استخدام هذه اللفظة من جديد و يكررها وهكذا يكون الأمر مع بقية الألفاظ فيؤدي ذلك إلى اكتساب اللغة مع مرور الوقت.

(1) المرجع السابق ، ص 98

(2) المرجع نفسه ، ص 99

إن تفسير سكينر لاكتساب اللغة يجعله يماثل أي اكتساب لشيء آخر كركوب الدراجة مثلا، فمرده عملية التعلم و الطفل يتعلم القواعد بنفس الكيفية التي يتعلم بها ركوب الدراجة. و القواعد الصحيحة تأتي كنتيجة للاستجابة للمحفزات، وتعزيز هذه المحفزات يؤدي إلى تثبيت القواعد السليمة عن طريق استعمالها مستقبلا، بينما القواعد الخاطئة يتم تعزيزها بشكل سلبي ، و لذا لا يتم استخدامها مجددا. (1)

فاللغة إذن حسب النظريات السلوكية لا تعدو كونها سلوكا أو استجابات يصدرها الفرد كرد على حافز أو منبه ما. لا فرق عندهم بين الاستجابة اللفظية أو الاستجابة الفعلية كالركض و المشي ، وتعلم ركوب الدراجة مثلا.

كما بيّنا سابقا تعود جذور النظرية السلوكية في اكتساب اللغة الأولى إلى ج. ب. واطسون J. B Watson و بالتحديد إلى فرضيات العادة لديه التي تقول أن الترابط The association بين استجابة معينة لحافز معين يُكوّن لنا ما يسمى بالعادة ، لذلك فالعادة تتشكل عندما تصبح استجابة معينة مرتبطة بانتظام مع حافز معين. ثم جاء سكينر سنة 1957 مقتفيا أثر واطسون باحثا عن كيفية تشكل هذه العادات، ثم بعد ذلك طور آراءه عن اكتساب اللغة الأولى في كتابه " السلوك الفعلي " ( Verbal Behavior سنة 1957 ). (2)

لم يحاول سكينر تفسير تعلم اللغة مقتفيا أثر واطسون فحسب ، بل اتّبع بصفة عامة فرضيات تشكل العادات عند غيره من السلوكيين أمثال إيفان بافلوف Ivan Pavlov الذي أسس نظرية الإشراف الكلاسيكي ، فالسلوكيون الأواخر طوروا نظرياتهم من دراسة بافلوف لسلوك الحيوان من خلال تجارب مخبرية على الكلاب و تجارب ثورندايك Thorndike على القطط ضمن صناديق الأغاز. و يتمثل إبداع هؤلاء السلوكيين أن جميع الحيوانات ، بمن فيهم البشر ، و لدوا مزودين بمجموعة من الاستجابات الغريزية للمحفزات الخارجية ، لذلك فإن نظريات تشكل العادة هي نظريات

(1) Bollans Nicholas . Comsky Vs. Skinner on Language , Date : April 11, 1996. Users. From : [ecs.soton.ac.uk/harnad/Hyermail/Thinking.psychologically96/0097.htm](http://ecs.soton.ac.uk/harnad/Hyermail/Thinking.psychologically96/0097.htm).

(2) Mohammed Toukul Islam , First Language Acquisition Theories and Transition to SLA, Japan University , Sudia Arbia, The Asian Conference on Language Learning , 2013, Osaka, Japan , p. 500

التعلم بشكل عام، و حتى نهاية 1960 كانت تشتق الآراء حول تعلم اللغة بشكل عام من هذه النظريات و لهذا يمكن تطبيقها على الإنسان.<sup>(1)</sup>

و لكن آراء سكينر كانت أقل تطرفا من آراء واطسون، فسكينر يؤمن أننا نملك شيئا كالعقل ، لكنه ببساطة، من الأهمية و الجدارة أو من المثمر (Productive) دراسة السلوك العيني الذي يمكن ملاحظته بالحواس أكثر من العمليات العقلية الداخلية. لقد عمد سكينر من خلال تجاربه على الفئران لتبسيط السلوك البشري المعقد، فهو يؤمن أن أفضل طريقة لفهم السلوك هي النظر إلى الأسباب التي تجعل الناس ينحون إلى القيام بسلوك معين دون سواه ، وما هي نتائج هذا السلوك ويسمى الطريقة أو المنهج (Approach) الذي من خلاله يفسر ذلك بـ "الإشراط الاستثابي" Operant Conditioning و لنتتبع مصطلحات سكينر لفهمها جيدا :

#### 1- الإشراط الإستثابي Operant Conditioning :

يعد سكينر الأب الروحي لنظرية الإشراط الإستثابي، وعمله يتأسس على قانون التأثير Law Of Effect لثورندايك الذي درس تعليم الحيوانات عن طريق صناديق الألغاز Puzzle boxes. لكن سكينر قدّم تعبيراً جديداً لقانون التأثير وهو التعزيز Reinforcement، و هكذا فإن السلوك الذي تم تعزيره يميل المرء إلى تكراره و السلوك الذي لم يتم تعزيره يميل إلى إيقافه.

وقد قام عام 1948 بدراسة هذا الأمر عن طريق إجراء تجارب مستخدماً الحيوانات التي وضعها في صندوق يسمى بصندوق سكينر Skinner Box ، وهو يشبه صندوق الألغاز لصاحبه ثورن دايك Thorndike's puzzle box.

ومن هنا صاغ مصطلح الإشراط الإستثابي ويعني به تغيير السلوك بواسطة

استخدام التعزيز المعطى بعد الاستجابة المرغوبة .<sup>(2)</sup>

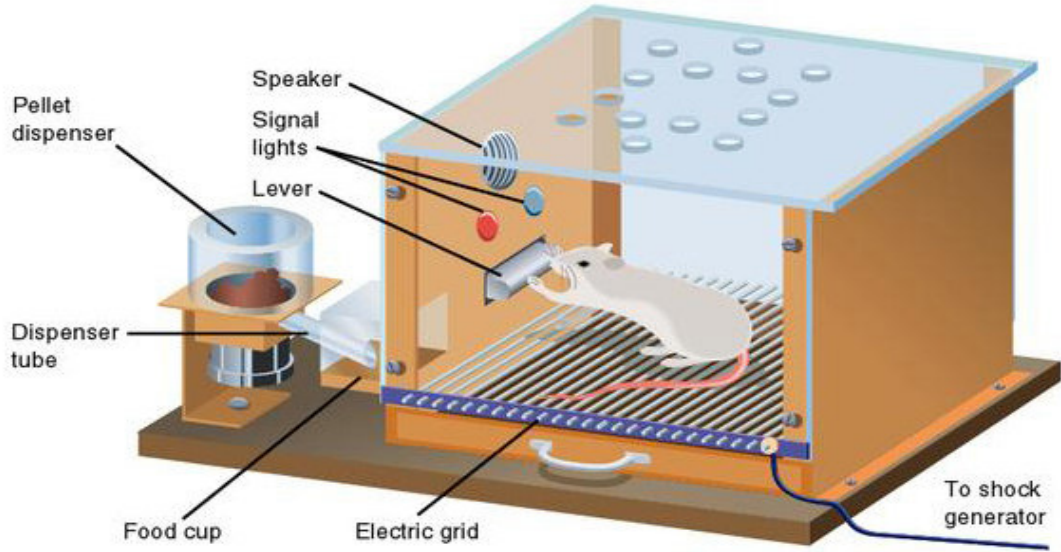
و قد قسم سكينر التعزيز إلى نوعين:

(1) Ibid, p. 500

(2) Mc leed, S .A . (2015). Skinner- Operant Condioning. Retrieved, from : [www.simplypsychology.org/operant-conditioning.htm](http://www.simplypsychology.org/operant-conditioning.htm).



1 – التعزيز الإيجابي **Positive Reinforcement**: لقد أظهر سكينر كيف يعمل التعزيز الإيجابي وذلك بوضع فأر جائع في صندوق سكينر كما يوضح الشكل التالي:



يحتوي الصندوق على مقبض Lever وكلما تحرك الفأر فإنه ينقر على المقبض، وهنا يندفع طبق الطعام مباشرة (a food pellet) للسقوط بجانب المقبض، وكلما كرر الفأر الضغط على المقبض فإن الطبق يزوده بالطعام. وهكذا تعلم الفأر بسرعة الذهاب مباشرة إلى المقبض بعد مدة قليلة من المكوث في الصندوق فكانت النتيجة هو تلقي الفأر للطعام لو ضغط على المقبض مما يدفعه لتكرار الضغط مرة بعد مرة.<sup>(1)</sup> إن التعزيز يدعم السلوك و ذلك من خلال المكافأة (reward) التي يتلقاها الإنسان و الحيوان مما يدفعه لتكراره كي ينال المكافأة مرة أخرى.

فمثلا إذا قام الأستاذ بتحفيز تلاميذه للقيام بواجباتهم عن طريق مكافآت أو كلام يرفع من معنوياتهم أو مجاملات فلا شك أن هذا يدفعهم لتكرار سلوكهم في المستقبل ، بل قد يدعوهم إلى التفاني في عملهم أيضا و هذا يشمل تربية الأبناء أيضا، بل لعله ينطبق على جوانب شتى من حياة الإنسان، و حتي في قضية الدين، فالله أعدّ مكافأة للمجتهد الذي يمتثل لتعاليمه و أعدّ النار كعقاب لمن يحد عنها و يفسد في الأرض.

<sup>(1)</sup> Mc leed, S .A . (2015). Skinner- Operant Conditioning. Retrieved, from : [www.simplypsychology.org/operant-conditioning.htm](http://www.simplypsychology.org/operant-conditioning.htm).

## 2- التعزيز السلبي Negative Reinforcement:

انتقاد سلوك معين يمكن أن يقوي التعزيز المضاد وهذا يعرف بالتعزيز السلبي ، لأنه يقوم بإزالة مجموعة من المحفزات التي يُكافأ بها الإنسان أو الحيوان. التعزيز السلبي هو عبارة عن تعزيز غير سار وهو يعزز السلوك لأنه يوقفه أو يزيل التجربة غير السارة، وهو بمثابة العقاب punishment مثلا ؛ فهو مضاد للتعزيز و هدفه إضعاف أو القضاء على الاستجابة أكثر من دعمها و زيادتها فهو حدث كرهه يردع السلوك و يُجَنَّب تتبعه. مثل التعزيز السلبي، يمكن للعقاب أيضا أن يعمل مباشرة مطبقا حوافزا غير سارة كالصدمة بعد الاستجابة أو بواسطة إزالة الحافز المجزى عليه (1).

لقد أوضح سكينر كيف يعمل التعزيز السلبي و ذلك بوضع جُرْدٍ في صندوق سكينر ثم إخضاعه لتيار كهربائي طفيف فأدى إلى تسبب بعض الإزعاج للجرذ وكلما تحرك الجرذ حول الصندوق فنقر على المقبض يتوقف التيار، تعلم الجرذ بسرعة الذهاب إلى المقبض مباشرة خلال وقت قصير من التواجد في الصندوق، وكانت النتيجة الهروب من التيار الكهربائي فأدى به ذلك إلى تكرار السلوك مرة بعد مرة .

يرى سكينر أن مبادئ الإشراف الاستثابي يمكن استخدامها لإنتاج سلوك معقد جدا لو تم تسليم المكافأة و العقاب بطريقة تشجيعية ، و ذلك لجعل الكائن الحي يقوم بأداء السلوك المطلوب منه ، ويرى أنه يمكن تفسير اللغة الإنسانية انطلاقا من مبادئ الإشراف الاستثابي أيضا وذلك من خلال التعلم بالعادة و التكرار و التقليد Imitation لتصبح سلوكا آليا . ومن هنا يمكن القول أن الكلام أو جزءا منه يكون كمثير للطفل ليستجيب. و عندما تكون الاستجابة ملائمة أو صحيحة تُعزز من طرف السامع أو الإنسان من خلال المدح و المكافأة و القبول و كنتيجة لذلك يزداد هذا السلوك. بينما إذا قام الطفل باستجابة خاطئة أو غير مناسبة فإن الأهل لا يشجعونه على ذلك ( و هذا هو التعزيز السلبي). (2)

ومن ثم فاحتمال حدوث السلوك ينخفض و كنتيجة لذلك لن يُكرر الطفل من اللغة الكلمات التي تلقى تعزيزا سلبيا بسببها، ولن يُقلدها بعد الآن في نفس الموضع، أي أنّ

(1) Mc leed, S .A . (2015). Skinner- Operant Conditioning.Retrieved, from : [www.simplypsychology.org/operant-conditioning.htm](http://www.simplypsychology.org/operant-conditioning.htm).

(2) Ibid.

الأطفال يقلدون قطعاً من اللغة التي يسمعونها فإذا تلقوا تعزيزاً إيجابياً فإنهم سيواصلون تقليد وممارسة تلك القطع التي تتحول فيما بعد إلى عادة أو سلوك آلي، بينما إذا تلقوا تعزيزاً سلبياً فإنهم ينقصون من تقليد تلك القطع ومن ثم يتوقفون نهائياً. (1)

إن أهم ما يوجه كتشكيك في جدوى نظرية الإشارات الإيجابية في اكتساب اللغة هو عنصر التقليد و المحاكاة الآلية، وهذه نماذج من لغة الأطفال تخالف مزاعم نظرية المحاكاة و العادة في اكتساب اللغة:

Child : My teacher **holded** the baby rabbits and we patted them .

Adult : Did you say your teacher **held** the baby rabbits ?

Child : yes

Adult : What did you say she did ?

Child : She **holded** the baby rabbits and we patted them

Adult : Did you say she **held** them tightly ?

Child : No, she **holded** them loosely (2) (\*)

الطفل: أستاذتنا **إمسكت** الأرانب الصغيرة و نحن قمنا بالربت عليها.

الراشد: هل قلت أن أستاذتكم أمسكت الأرانب الصغيرة؟

الطفل: نعم

الراشد: ماذا قلت أنها فعلت؟

الطفل: لقد **إمسكت** الأرانب الصغيرة و نحن قمنا بالربت عليها.

الراشد: هل قلت أنها أمسكت الأرانب بقوة؟

الطفل: كلا. لقد **إمسكتهم** بلطف

نلاحظ من خلال هذا الحوار أن الراشد قد صحح نطق الفعل ( hold - أمسك) بشكله

الصحيح في الماضي وهو (held) لكن الطفل استمر في نطق الفعل كما يحلو له بالخطأ،

(1) Ibid.

(2) ينظر : سوزن جاس ، لاري سلينكر، اكتساب اللغة الثانية ، تر: ماجد الحمد ، النشر العلمي و المطابع ، ج 1 ،

1430 هـ، الرياض ، ص 159

(\*) Loosely ، هي ظرف Adverb في الإنجليزية، و تعني القيام بشيء ما بطلاقة و بحرية ، لكن الطفل يقصد بها هنا بلطف ، وهو ظرف يستعمل غالباً للتعبير عن دمج شيئين .

و هذا ما يُوضّح أن التقليد ( تقليد الكبار ) لا يقدم شيئاً أمام إصرار الأطفال على الطريقة التي ينطقون بها لغتهم ، وهذا مثال آخر:

الطفل: Nobody don't like me

لا أحد لا يحبني

الأم: « nobody likes me » No say :

لا، قل: " لا أحد يحبني "

الطفل: Nobody don't like me

لا أحد لا يحبني

(وبعد ثماني مرات من إعادة هذا الحوار)

الأم: « nobody likes me » No, now listen carefully ; say

" لا، استمع إليّ جيداً، قل: لا أحد يحبني "

الطفل: Oh ! Nobody don't likes me

أواه ! لا أحد لا يحبني (1)

وفي هذا المثال أيضاً نلاحظ أنّ كل ما فعله الطفل بعد محاولات الأم المستمرة لتصويب كلامه أن أضاف اللاحقة (s) الدالة على أنّ الفعل متصرف في الزمن المضارع البسيط present simple، و لكنه فعل ذلك على ماضٍ. وهناك العديد من الأمثلة التي تؤكد ضعف تأثير المحاكاة الآلية على اكتساب اللغة عند الإنسان.

وقد وُجّهت عدة انتقادات لمنهج سكينر في اكتساب اللغة وهذه الانتقادات تطال مفهوم " التعزيز " أو " التدعيم " reinforcement و الذي لا يجدي دائماً في المرحلة المتقدمة لاكتساب اللغة أهمها:

(1) ينظر : سوزن جاس، لاري سلينكر ، اكتساب اللغة الثانية ، ص 159

>> 1- الكلام ليس دائما لطلب حاجات الطفل من ماء أو طعام ، فكيف يتم اكتساب الملفوظات التي لا تتلقى تدعيما؟

2 - هناك كلمات عديدة وجمل تشير إلى حالات خاصة في الذهن أكثر منها إلى أشياء أو أحداث في العالم الخارجي. فكيف يتم تدعيمها اجتماعيا عندما يكون الحكم بصوابها صعبا على الراشدين الذين لا يعرفون ما يدور في عقول الأطفال؟ << (1)

و ثمة حالات تؤكد أنّ الطفل لا يصح أبدا أخطاءه اللغوية، بل إنه يحافظ عليها حتى يشب و يكبر ، و ينقلها لذريته أيضا، يقول مارتنيه : >> و يمكننا أن نسمع ، لدى أفراد

آخرين معزولين ، ( J' es grand ) بدل ( Je suis grand ) ( أنا كبير ) ، و ( ils sontaient ) بدل ( ils étaient ) ( هم كانوا ) . و هذه " الأخطاء " هي أحيانا تلك التي لا يصحها بعض البالغين أبدا: و قد عرفت باريس بضعة أجيال من الأولاد الذين لم يتعلموا فن التمييز بين brun و brin ، و نقلوا لذريتهم الخاصة شكلا من الفرنسية لا تميز فيه in و un . و يتابع كثير من الفرنسيين ، من كل الأعمار، تصريف فعل aller ( ذهب ) Je vas ، Tu vas ، Il va كما كانوا يفعلون في سنهم الخامسة . << (2)

لم تنجح النظرية السلوكية في تفسير الجوانب الخلاقة و الإبداعية في اللغة إلا أنها >> تساعدنا على فهم كيفية التدريس و التلقين، فالمحفزات - الاستجابة - التعزيز - يمكن أن تساعد في التعمق و التخصص في الأنماط القواعدية و الصوتية. استخدام هذه المعرفة في الوقت المناسب في عميلة التدريس يعتمد على مهارة الأستاذ و قدرته على التمييز بين المواقف إذ يمكن استخدام الحافز - الاستجابة - فيها لفائدة التعلم، و من وجهة النظر هذه فإن المعرفة اللغوية تظهر كنتيجة لتفاعلات القدرات المعرفية الإدراكية و الفطرية مع القوى الاجتماعية و الظروف البيئية التي تؤثر على نمو الأطفال . << (3)

(1) جمعة سيد يوسف ، سيكولوجيا اللغة و المرض العقلي ، ص 101

(2) أندريه مارتنيه ، وظيفة الألسن و دينامييتها ، ص 182

(3) Mohammed Toufik Islam, First Language Acquisition Rheries and Transition to Sla, p. 502

## ب - عند جان بياجيه ( النظرية المعرفية cognitive theory )

جان بياجيه هو عالم نفس سويسري اشتهر بنظريته المعرفية التي تهتم بالنمو المعرفي لدى الأطفال. يعد بياجيه من رواد الاتجاه البنوي في تفسير اللغة ، >> ويندرج التفسير البنائي لطبيعة اللغة في إطار نظرية إبستمولوجية عامة تُعرف بالإستيمولوجيا التكوينية ( Epistémologie génétique) ... وضع أسسها... جان بياجيه ( Jean Piaget ) ، فاللغة من منظور البنائية نشاط مثل باقي الأنشطة الإدراكية و الفكرية و الحركية عند الإنسان، وهو نشاط يتم بناؤه مثل باقي الأنشطة المعرفية عند الطفل عبر مراحل متتابعة. ومن هنا جاءت تسمية هذه المدرسة بالبنائية (Constructivisme) و بالتالي ، فإن البنائية تهتم بالعمليات الإدراكية (Cognition) بمفهومها الشامل. << (1) اشتهر بياجيه بنظريته المعرفية التي تقوم على أربع مراحل للنمو المعرفي و التي تتضمن النمو اللغوي أيضا The development of language .

يرى بياجيه أن الأطفال لا يفكرون كالبالغين ومن ثمّ يمكنهم أن يبدأوا اكتساب اللغة من خلال بناء فهمهم الخاص للعالم عبر التفاعل مع بيئتهم. على الطفل أن يستوعب " المفهوم a concept " قبل أن يكتسب كلمة معينة تعبر عن ذلك المفهوم. فالطفل مثلا يبدأ بمعرفة مفهوم معين مثل " إدراك حجم معين" ثم بعد ذلك يكتسب الكلمات و الأنماط لوصف أو نقل أو التعبير عن ذلك المفهوم . ذلك أنه من المستحيل للطفل الصغير لفظ كلمات تعبر عن مفاهيم غير معروفة لديه ، لأجل ذلك فعندما يتعلم الطفل أمورا من محيطه فهو يصبح قادرا على تفصيل لغته على مقاس تجاربه السابقة ( his perior exprience )، فتجربة الطفل مع القط مثلا هي

(1) سعيد الفراع ، الطفل و اكتساب اللغة بين البنائية و التوليدية ، رؤى تربوية ، فصلية ثقافية تربوية ( مركز القطان للبحث و التطوير التربوي ) ، العدد الرابع و الأربعون و الخامس و الأربعون ، آذار 2014 ( عدد مزدوج ) ، رام الله ( فلسطين ) ، ص 164

أنه كائن يموء لديه فرو و يأكل من طبق موضوع في المطبخ، و بالتالي فهو يُطوّر مفهوما على ذلك الكائن .(1)

فعامل النضج العصبي يلعب دورا مهماً في عملية بناء المعرفة لدى الطفل، >> فلقد تبين أهمية نضج الخلايا العصبية في نواحٍ عديدة. لكننا لازلنا نجهل تفاصيل هذا النضج من النواحي البيولوجية كما أننا لا نعرف شروط نضجها لكننا نلاحظ، في بعض القطاعات فقط ، إن النضج يفتح إمكانيات تبدو كشرط ضروري لظهور بعض أنواع السلوك ، لكنها ليست شرطاً كافياً لذلك، ذلك لأنها تزداد بالتدريب و الممارسة . فإذا كان الدماغ يحتوي على أفكار مترابطة موروثة فإنه يحتوي حتما عدداً أكبر من الأفكار المكتسبة بالتدريب. << (2)

>> إن اللغة من منظور البنائية نشاط ذو صبغة إدراكية، يتم استخلاصه من مجرى تمثيلات لها عدد من الثوابت التي تشكل أساس بنية الذكاء ذاتها (\*). و تتميز هذه الثوابت بخاصيتين أساسيتين:

(1) en.wikiversity.org/wiki /Psycholinguistics/Theories-and-Models-of-Language-Acquisition.  
(2) موريس شربل، التطور المعرفي عند جان بياجيه، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، ط1، 1986 ، بيروت، ص

(\*) لقد صرّح تشومسكي أنّ اكتساب اللغة لا صلة له بالذكاء، لأن اللغة هبة فطرية خاصة بالجنس البشري و هي متاحة للجميع على اختلاف معدلات ذكائهم ، غير أنه ثمة بحوث عربية ترى أنّ اللغة تساهم في رفع معدل هذا الذكاء لدى الأطفال من الشهر الثامن إلى غاية السن الثانية عشرة، حيث شاهدتُ برنامجاً تلفزيونياً للباحثة اللغوية المصرية الأكاديمية " سهير السكري" التي تُدرّس اللسانيات في كبريات جامعات الولايات المتحدة الأمريكية، كجامعة نيويورك و جامعة " جورج تاون" أعلنت فيه أنّ الأجيال العربية القديمة حتى إلى عهد الدولة العثمانية أكثر ذكاء و قدرة على استيعاب العالم من الأجيال العربية في القرن الواحد و العشرين، لأن الأجيال الأولى كانت تحفظ القرآن الكريم في الكتاب و الزوايا في سنّ مبكرة حوالي من السن الثالثة إلى غاية السن السادسة ممّا يسمح لها باستيعاب أكثر من خمسين ألف كلمة، مع العلم أنّ عدد كلمات القرآن الكريم هي سبعة و سبعون ألف و أربعمئة و تسع و ثلاثون كلمة.

بعدها يحفظ ألفية بن مالك التي تحتوي كل قواعد اللغة العربية في السن السابعة ، بينما الأسر العربية المعاصرة فهي تُربي أطفالها على اللغة العامية و اللغة العامية لا تزيد على ثلاثة آلاف كلمة بمعنى قتل للإبداع و للخيال أيضاً.  
يمكن الاطلاع على البرنامج من خلال هذا الرابط: (https://www.youtube.com/watch?v=LdHEc679s-k)

- الفردانية، أي أن كل فرد يبني عالمه الخاص من خلال نشاط خاص به في تلاؤم مع العالم الخارجي.

- الكلية، باعتبار كل الأفراد العاديين يقومون ببناء هذه الثوابت ، إلا أن هذه الكلية ليست مرادفة للفطرية كما يقول تشومسكي. << (1)

تعد اللغة الإنسانية واحدة من النشاطات المعرفية و الذهنية لعقل الإنسان . و يرى العديد من العلماء المعرفيين أن اللغة تنشأ ( emerges ) ضمن أو مقرونة بقدرات ذهنية عامة أخرى مثل الذاكرة ، الانتباه وتنص نظرية بياجى المعرفية على أنّ لغة الأطفال تعكس نمو التفكير المنطقي لدى الأطفال وتنمية مهاراتهم عبر عدة مراحل، وكل مرحلة لديها اسم وعمر محددان . ثمة أربع مراحل لنظرية التطور المعرفي وكل مرحلة تتناول جانبا مختلفا عن اكتساب اللغة .

- المرحلة الحركية الحسية **Sensory – Motor Period** : و تبدأ من الولادة حتى العام الثاني، يرى بياجى أن الطفل يولد مع مخططات العمل ( action schemas ) لاستيعاب ( assimilate ) معلومات حول العالم .

يتميز الطفل في هذه المرحلة بذكاء يسميه بياجى بالذكاء الحركي – الحسي ، وهذا الذكاء يصفه بأنه دون تفكير أو تمثيل ، دون كلام و لا مفاهيم...ينقصه حتما الوظيفة الرمزية التي تتيح له تمثيل ذلك بصور ذهنية أو التعبير بصورة كلامية . من هنا نتناول الذكاء المحدد بوجود الشيء و المواقف و الأشخاص . و الوسيلة إلى ذلك هو الإدراك الحسي فقط . إلا أنّ هذا الذكاء السريع النمو في هذا المستوى ، خلافا لأي مرحلة أخرى ، يهيئ البنى المعرفية الأساسية للذكاء اللاحق ، من هنا تبدو أهميته القصوى في مجال النمو التكويني للفرد. (2)

>> إن الذكاء الحسي – الحركي هو عملي بشكل أساسي . فهو يتجه نحو النجاح أكثر منه نحو الحقيقة . فالوصول إلى حلّ المسائل ( حسب تجارب بياجييه ، الوصول إلى

(1) سعيد الفراع ، الطفل و اكتساب اللغة بين البنائية و التوليدية ، ص 164 - 165

(2) ينظر : موريس شربل ، التطور المعرفي عند بياجييه ص 109.



الأشياء البعيدة أو المخبأة مثلا ) يتحقق بفضل بناء نظام من الصور الذهنية المعقدة و تنظيم الواقع حسب مجموعة بنيات ذهنية – فراغية مرتبطة بالأسباب - وهكذا ندلي بنوع من المميزات التي تطلق على الحالة الشبه منتهية أو حالة التوازن... هناك مجموعة استيعابات أو عناصر ارتباط تتكون بين مظاهرها عند الولادة و مظاهرها في عمر 18 شهرا و ذلك بتكوين بنية شاملة علينا أن نتبع مراحلها المتتابعة كي نستطيع تصورها بأصح رؤية ممكنة . فالذكاء الحسي – الحركي هو إذن نوع من التعبير الذي يكشف عن سياق التكوين و عن حالة التوازن في النهاية. << (1)

خلال الفترة الحسية و الحركية تتميز لغة الأطفال بالأنانية egocentric و غالبا ما يتحدث الأطفال في هذه المرحلة إلى أنفسهم أو فقط لمجرد متعة أو ربما لشد انتباه أي شخص كان بجانبهم.

- **مرحلة ما قبل الاستخدام Pre- operational period** : وتبدأ من السنة الثانية إلى السنة السابعة ، وهنا تبدأ لغة الأطفال في التقدم بسرعة، ويسمح لهم نمو مخططاتهم العقلية mental schema لاستيعاب بسرعة فائقة كلمات ومواقف جديدة لتصبح لغة الأطفال رمزية ( symbolic ) تتيح لهم الحديث أبعد من " هنا و الآن " و بالتعبير عن أشياء وقعت في الماضي و أخرى ستقع في المستقبل و كذلك التعبير عن المشاعر.
- **مرحلة " الأنانية و الروحانية Egocentrism and animism "** في هذه المرحلة يميل الأطفال إلى النظر و الاهتمام بكل شيء بما في ذلك الجمادات فيعتقدون أنها حية ، وهنا تعتبر لغتهم أنانية لأنهم لا يرون الأشياء إلا من خلال منظارهم الخاص.
- **مرحلة التشغيل:** وتبدأ من سن 7 – 11 ومن 11 إلى غاية سن البلوغ ( adulthood ).

قسم بياجى هذه المرحلة إلى قسمين :

(1) المرجع السابق ، ص 109 - 110.

فترة العمليات الملموسة وفترة العمليات الشكلية، و لغة الأطفال في هذه الفترة تشي بنمو تفكيرهم من عدم النضوج إلى النضوج ، ومن عدم المنطقية إلى المنطقية وتصبح اللغة أكثر اجتماعية وتحتوي على أسئلة و إجابات، أوامر و انتقادات. (1)

يرى بياجى أن العديد من البالغين يتحدثون إلى أنفسهم عبر خطابات داخلية نفسية Monologue، و منهم من يجعل هذه المناجاة الداخلية مسموعة وكأنهم بذلك يقومون باستدعاء سامعين وهميين ، كما يفعل الأطفال في استدعاء رفاق اللعب Playfelows، و في هذه المناجاة الفردية فهم يهيئون أنفسهم للانخراط في المحادثات الاجتماعية و الطفل شبيه بالبالغين في هذا المقام، فهو في تكراره لمناجاته الفردية يقوم بنوع من السلوك الذي سيمهد له بالتكيف مع الآخرين. في هذه الحالة هو يتحدث إلى نفسه للتدرب و من ثم يكيف نفسه للانخراط في أحاديث أكثر اجتماعية. (2)

لقد أُجريت العديد من الدراسات التطبيقية لدراسة مراحل النمو المعرفي عند الطفل التي قدمها بياجى وعلاقتها بالنمو اللغوي وانتهت هذه الدراسات إلى وجود صلة بين عمر الطفل و لغته، و يمكن للمرء أن يلج إلى موقع " Youtube " ،على سبيل المثال ، ليدون عنوان " Cognitive Theory of Piaget " لتظهر له الكثير من الجلسات التجريبية السمعية البصرية على الأطفال ، وهذه نماذج من هذه الجلسات التي أوردها بياجى في كتابه (The language And Though Of The Child) :

قامت السيدة " لوزنجر شيلر Mme Lenzinger schuler " بملاحظة لغة ابنها ( هانس) و ذلك في منتصف ونهاية سنة الرابعة . وقد دونت العديد من الملاحظات حول لغة ابنها ، مميزة بعناية فائقة بين الكلام الذي يلفظه في حضور البالغين و الكلام الذي يلفظه في حضور أصدقائه الصغار وكانت النتيجة الرائعة التي تم التوصل إليها عبر مراقبة السيدة لوزنجر لابنها هي أن ( هانس) استعمل لغة أكثر اجتماعية في حضور

(1) للتعرف على خصائص هذه المراحل بدقة ، ينظر :

Kelvin Seifert and Rosemary Sutton, Educational Psychology, Second Edition, The Global Text. Zurich. Switzerland. Pp . 47 - 50

(2) Jean Piaget , The Language and Thought of The Child, Translated by : Marjorie and Ruth Gabian, Volume 5, Third Edition , London and New york, 1959, p. 1

أقرانه من الأطفال ( Socialized Language ) مقارنة بنسبة استعماله لها في حضور البالغين، وخاصة في حضور أمه.

وهذه النتائج جديرة بالدراسة، فهذا الطفل أظهر تمركزاً أنانياً أكثر مع الكبار و البالغين Ego- centrism مقارنة به مع الأطفال أقرانه في نفس سنه أو في سن قريبة . لكن هذا التمركز الأناني Ego- centerism بدأ يتراجع وينخفض مع نهاية سنته الرابعة و ذلك من 71 % إلى غاية 43 % .<sup>(1)</sup>

هذا نموذج من خطابه مع نفسه Monologues في حضور البالغين:

At 3, 1 ( while building ) : ( 124) 'm making a house for the Chinese, 'm making a house , a very big house. I' ve made a house for the Chinese . ( 125) Up high, the bedrooms. On the top I put the roof ,the ceiling. There that's right, the ceiling. ( 126) Now the beds, I put the beds, a bed like that for a Chinese ...

في سنته الثالثة و شهر واحد ( عندما كان بيني):

( 124 ) أنا أصنع بيتا للصيني، أنا أصنع بيتا، بيتا جد كبير، لقد صنعت بيتا لأجل الصيني. ( 125 ) هناك عالياً، غرف نوم، في الأعلى وضعت السقف، السقف هناك، هذا صحيح، السقف ( 126 ) الآن الأسيرة . أنا أضع الأسيرة . سرير كهذا للصيني... وهذا نموذج آخر:

(While drawing at 3, 1) ( 318) « want another paper. ( 319) I must finish the steeple . Here are the bells that go with the string . ( 320) I put it there ( the paper). ( 321) you've still got to make something else ( he speaks to himself) , make a chest. I make ... there... the legs. ( 322) It's only a table . ( 323) There, Im drawing on this sheet. ( 324) I'm making a funny man. ( 325) what am I doing ? ( speaks to

<sup>(1)</sup> Ibid,P p. 142 - 144

himself) It's a waterworks. Here I must draw the water. Now the water. ( 326) I'll make a boat too . A little boat and an Indian , a man and a woman, two men and a woman. Tow men and an Indian . ( 327) They've fallen in the water you see ( to himself) . ( 328) There's a waterworks. Here's the boat, the Indian and a man and a woman. Must put them inside. ( 329) Now 'm making an animal ) » <sup>(1)</sup>

(وهو يرسم) في عمر الثالثة و شهر واحد:

( 318 ) أريد ورقة أخرى، يجب عليّ أن أنهى برج الكنيسة. هناك توجد الأجراس المعلقة بالحبيل ( 319 ) أضعها هناك ( الورقة). ( 321 ) عليك أيضا أن تفعل شيئا آخر ( 322 ) ( يتحدث إلى نفسه) اصنع صدرا.. أنا أصنع.. هناك.. السيقان. إنها فقط مائدة. ( 323 )، هناك، أنا أرسم على هذه الورقة ( 324 ) أنا أصنع رجلا مضحكا ( 325 ). ما الذي أفعله؟ ( يتحدث إلى نفسه) إنها محطة مياه، هنا يجب أن أرسم الماء. الآن الماء. ( 326 ) سوف أصنع قاربا أيضا، قاربا صغيرا مع رجل هندي، رجل و امرأة، رجلا و امرأة. رجلا و رجل هندي. ( 327 ) إنهم قد وقعوا في الماء ، هل ترى؟؟ ( يتحدث إلى نفسه) . ( 328 ) هناك محطة مياه. هذا هو القارب. الهنديان و الرجل و المرأة يجب أن أضعهم داخل القارب . ( 329 ) الآن أنا أصنع حيوانا. "

نلاحظ في المثال الأول أن عدد المرات التي ورد فيها ضمير المتكلم ( ا ) أو

( I'm ) كانت بمعدل خمس مرات ضمن سبع جمل، أمّا في المثال الثاني فنرى أنه تكرر تسع مرات، وقد قام مرتين بمخاطبة نفسه بضمير المخاطب أنت ( YOU ) و ذلك في الجمل:

- You 've still got to make something

<sup>(1)</sup> Ibid, p .144

- You see.

وهذا يُظهر مقدار تجمع الأنا المركزية عند الأطفال في هذه السن ، في المقابل فإن هذه الأنا تتراجع بنضجهم الذهني، وتكاد تنعدم عندما يكونون مع أطفال في مثل سنهم فيصبح كلامهم أكثر اجتماعية .

لقد أظهرت تجربة (هانس) نتائج مذهلة حول كمية المعارف و المعلومات التي يتناقلها الأطفال فيما بينهم، لاحظ النتائج التالية (1) :

- Age 3,1 3, 6 4- 4,1 (\*)

- Dialogue with the adult 16% 17% 19 %

adult

- ( Information given ( 10%) ( 10.3%) ( 14.7%)

to the adult)

- Age 3,1 3,8 3 , 11- 4

- Dialogue with children 23.2% 32.8% 35%

children

- ( Information ( 13.8%) ( 22.7%) (26.4%)

given to children)

وهي تقريبا نفس النتائج التي تم التوصل إليها من خلال مرافقة عدة أطفال لمدة شهر

خلال دروس تعليمية كانوا يتلقونها في " Maison Des Petits De L'Institut "

" Rousseau (2)

يعد بياجيه من رواد البنائية النفسية Psychological Constructivism ، و التعلم في

نظره يحدث بفضل الاستيعاب و التكيف. حيث يقوم الاستيعاب – حسب بياجيه- بتعديل

(1) Ibid, p . 145

(\*) تشير الأرقام وراء الفاصلة إلى الشهر.

(2) ينظر : التجارب التي أجراها بياجيه مع فريقه على طفلين « Lev » « Pie » من عمر الرابعة إلى السابعة ،

Jean Piage, The Language and Thought of The Child, p. 3 - 45

تجارب جديدة لتتناسب مع المفاهيم السابقة، أي المفاهيم التي تعلمها الطفل سابقاً، كمفهوم القطة الذي شرحناه سابقاً ، أما التكيف فيقوم بتعديل المفاهيم لتتناسب مع تجارب جديدة.

وبالاعتماد على هذين المفهومين فإن عملية التعلم عند الطفل لا تحدث على المدى القصير فقط، بل أيضاً على المدى الطويل. و لذا التعلم على المدى الطويل هو الهدف الأساسي الذي تركز عليه نظرية النمو المعرفي لدى بياجيه.

بعد مراقبة الأطفال عن كثب، لاحظ بياجيه أن نمو الإدراك خلال مراحل متميزة تبدأ منذ الولادة إلى غاية نهاية مرحلة المراهقة<sup>(1)</sup> عبر أربع محطات سبق الحديث عنها، وهذه المراحل تحكمها عدة خصائص:

- 1- كلها تحدث بنفس الترتيب
- 2- لا يمكن حذف أي مرحلة
- 3- كل مرحلة هي تحول كبير للمرحلة التي سبقت
- 4- كل مرحلة لاحقة هي دمج المراحل السابقة .<sup>(2)</sup>

تعد نظرية بياجيه من أعظم النظريات المعرفية التي سعت لتفسير النمو المعرفي لدى الأطفال، ولكنها لم تسلم من الانتقاد ، ولعل أهم انتقاد وُجّه إليها هو تقليلها من قدرات الأطفال الذهنية في مرحلة ما قبل الدراسة.<sup>(3)</sup>

تخالف نظرية بياجيه المعرفية نظرية تشومسكي الفطرية ، وهذا الاختلاف راجع إلى مبادئ النظريتين ، فبياجيه لا يُسلم بوجود بنى معرفية سابقة لعملية الاكتساب و لا وجود لشيء يسمى معرفة وراثية يولد الأطفال مزودين بها.

>> إن بياجيه يرفض مبادئ النظرية الفطرية وكذلك يرفض نظرية التعلم و الاكتساب القائمة على التقليد. فاللغة بالأساس عند بياجيه هي عمل إبداعي ، أما التقليد فله دور هامشي في اكتسابها، كما أن هناك خلافاً جوهرياً بين السلوكيين و المعرفيين حول

(1) Kelvin Seifert and Rosemary Sutton, Educational Psychology, p. 47

(2) Ibid, p. 47

(3) ينظر : موسى رشيد حتاملة ، نظريات اكتساب اللغة الثانية و تطبيقاتها التربوية، القسم الثاني ، من :

[www.majma.org.jo/index.php](http://www.majma.org.jo/index.php)

دور العقل في اكتساب اللغة. فالمعرفيون يرفضون الرأي القائل بأن التعلم يحدث نتيجة لمؤثرات خارجية فقط ، ويرفضون كذلك فكرة أن عقل الطفل صفحة بيضاء تؤثر فيها البيئة . أما المعرفيون فيرون اكتساب اللغة يتم بمهارات عقلية معقدة مرتبطة بكل من المؤثرات الخارجية. << (1)

هذه المهارات العقلية تتطور و تنمو بنمو ما يسميه بياجى بـ " مخططات التشغيل" Action schemas فكلما تقدمت هذه المخططات تقدمت لغة الطفل و صار بوسعه الحديث و التعبير عن أمور أعمق و أكثر تعقيدا كالأفكار و المشاعر المختلفة.

---

(1) المرجع السابق، موسى رشيد حاملة ، نظريات اكتساب اللغة الثانية و تطبيقاتها التربوية، القسم الثاني ، من :

## ج - عند تشومسكي Chomsky ( النظرية الفطرية )

من ضمن الأسئلة التي يرى تشومسكي أنّ على الدرس اللساني أن يتطرق إليها، لأجل بناء نظرية شاملة للغة الإنسانية ، كي يضيفي على هذا الدرس صفة العلمية تساؤله: ما معنى أن يعرف الإنسان لغة معينة؟ و كيف تكتسب هذه اللغة؟ ثم كيف يستعملها؟ وما هو الأساس المادي لهذه اللغة في العقل / الدماغ Mind/ Brain ؟

لقد رفض تشومسكي مبادئ السلوكيين و التجريبيين في مسألة اكتساب اللغة أيضا، >> إذ إن تعلم الإنسان للغة لا يتم عن طريق الإشراف الذي يتطور من سلسلة الاستشارة و الاستجابة ( الفعل و رده) و التعزيز كما يقول بذلك السلوكيون من علماء النفس و كذلك من أخذ برأيهم من اللسانيين ومنهم البنيويون الأمريكيان عموما... و لعل عرض ( جومسكي ) (\*) لكتاب سكينر "skinner" السلوك الكلامي يقدم بشكل واضح وجلي تفاصيل المشكلات التي يثيرها الافتراض السلوكي لاكتساب اللغة ومعرفتها. << (1)

حسب نظرية النحو الكلي فإن ذهن الإنسان يشتمل على الملكة اللغوية The Language Faculty وهي وحدة من وحدات العقل، و هذه الملكة اللغوية تتكون من: النظام الحوسبي Computational system مع المبادئ ( الثوابت) principles و المتغيرات paramaters ومعجم خاص لكل لغة معينة.

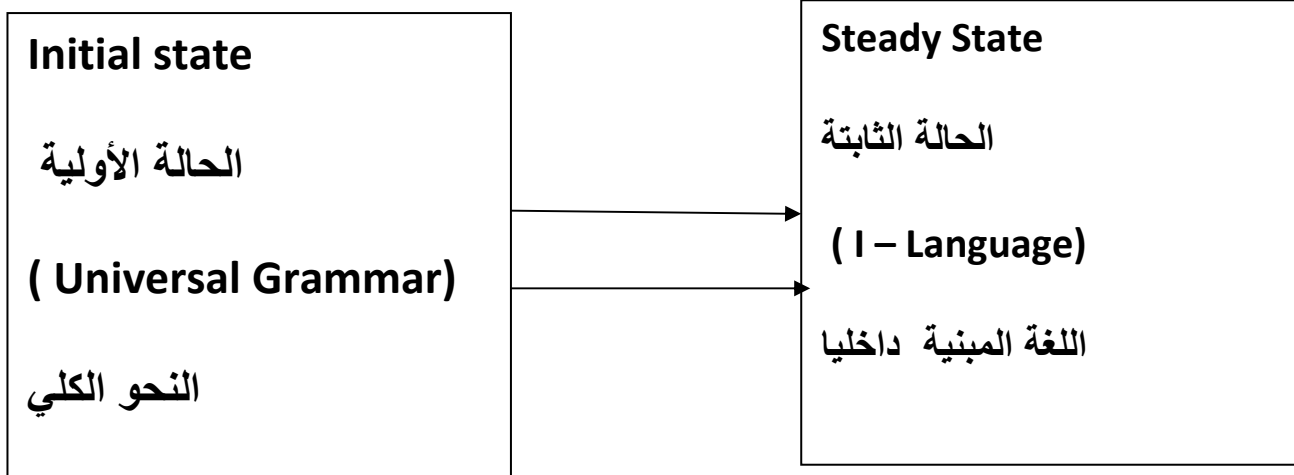
لكن الأطفال لا يولدون مزودين بكل مكونات الملكة اللغوية ، فملكتهم لا تحتوي بعد على القاموس المعجمي ، ولذا تكون ملكتهم اللغوية في الحالة المبدئية التي لا تشتمل سوى على النحو الكلي أي على المبادئ فقط. كما أن المتغيرات Paramaters لم تكن قد وضعت بعد داخل ملكاتهم ، ولفهم ذلك انظر الشكل الذي أورده كوك في كتابه Chomsky 's Universal Grammar (2) :

(\*) جومسكي ، هكذا ورد اسم تشومسكي في جل الكتاب، و الأصح أن تترجم تشومسكي مثلما يلفظ باللغة الإنجليزية.

(1) مرتضي جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ، دار الشروق ، 2002 ، عمان ، ص 32

(2) Cook, Comsky's Universal Grammar, p. 49





فيكون حينئذ اكتساب اللغة هو نقل الحالة الأولية المبدئية إلى الحالة المستقرة الثابتة، ولكن ذلك لا يتم إلا عبر عدة مراحل . الطفل حسب نظرية النحو الكلي لا يولد إلا بالثوابت أو المبادئ وهي كما أكد عليها تشومسكي عبارة عن هبات جينية متوارثة أبا عن جد وهي نفسها النحو الكلي أو بالأحرى مبادئ النحو الكلي التي تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية.

يقترح تشومسكي نموذجا لاكتساب اللغة من خلال شرحه لمفهوم اللغة المجسدة External language و اللغة المبنية داخليا Internal Language ، فيقول أن الحالة الأولية للغة  $S_0$  إذا ما توافرت لها التجربة الحسية التي >> تفحص ملكة اللغة التي تتضمنها الحالة طائفة اللغات الممكنة، مختارة اللغة المتسقة مع المادة اللغوية المحددة لها القيمة العليا ومتحولة إلى الحالة  $S_1$  التي تتضمن قواعد هذه اللغة ، فإذا ما توافرت مواد لغوية جديدة تحول النظام إلى الحالة  $S_2$  ، وهكذا إلى أن يدخل إلى الحالة  $S_5$  ، أو بسبب أن النظام قد بلغ مرحلة من النضج لا تسمح له أن يتقدم أبعد من ذلك . ويختار عقل

المتعلم في كل خطوة اللغة التي حُددت لها القيمة العليا ( أي اللغة الأبسط) المتسقة مع ما يعرض من أدلة جديدة وحالة العقل الراهنة. << (1)

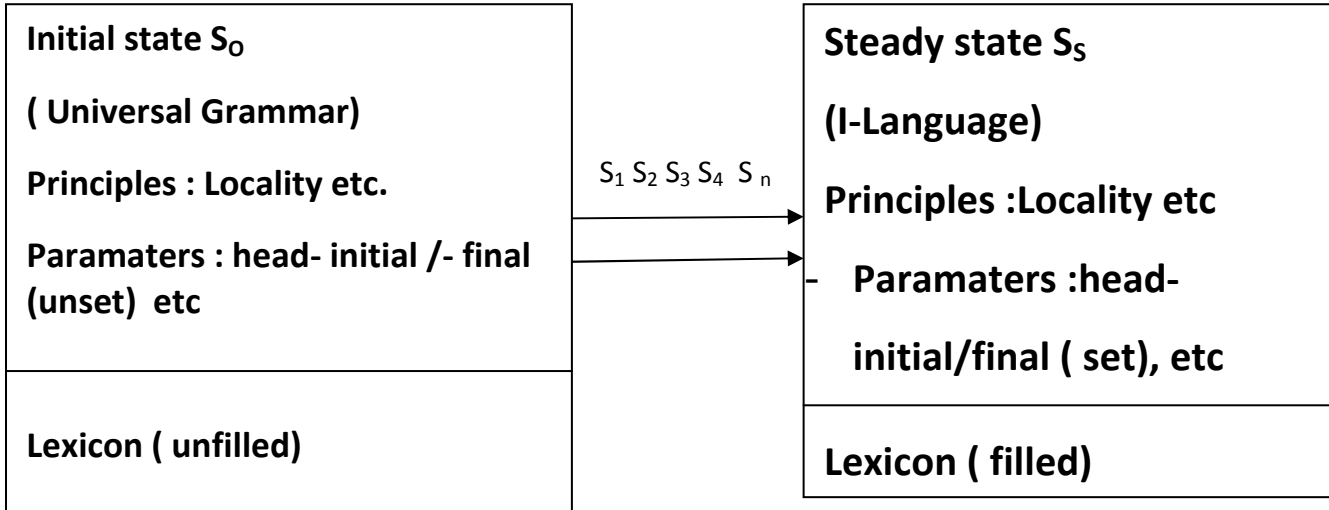
إن العقل الذي يحتوي على مبادئ النحو الكلي يحتوي بالضرورة على جميع اللغات الإنسانية الممكنة وهنا يكون في حالة يسميها تشومسكي بالحالة الأولية  $S_0$  ، ثم عندما يقدم المحيط الاجتماعي و البيئة المحيطة لهذا العقل مدخلات حسية فتنسجم هذه الحالة الأولية مع المادة اللغوية المتاحة لها، فتتحول بذلك إلى الحالة  $S_1$  ، فإذا ما تلقى العقل موادا جديدة ينسجم معها فتتحول بذلك إلى الحالة  $S_2$  إلى أن يصل إلى الحالة المستقرة التي يُرمز لها بـ  $S_S$  وهكذا يحدث اكتساب اللغة مع الطفل حسب تشومسكي.

عندما تتلقى الملكة اللغوية المعرفة اللغوية الناضجة تكون قد اكتملت بإرساء المتغيرات و المعجم اللغوي للغة المعينة، متحصلة على معلومات حول التراكيب ( الهياكل ) the structures و الوحدات المعجمية ، ويصبح حينها النحو الكلي مثيلا للغة المعينة.

تنتقل الملكة اللغوية أثناء نموها و نضجها عبر عدة وضعيات positions كما يوضح الرسم التالي (2) :

(1) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية ، طبيعتها أصلها و استخدامها ، ص 120

(2) Cook, Chomsky's Universal Grammar , P. 50



و يمضي تشومسكي مع فرضيته هذه، فيقول: << قد نقترح ما هو أبعد من ذلك ، كفرضية تجريبية : أن نظام عرض المادة اللغوية لا صلة له بموضوعنا بحيث يكون التعلم كما لو كان فورياً. أي بحيث يكون الأمر كما لو كانت الحالة  $S_0$  تنقل المادة اللغوية مباشرة إلى الحالة  $S_S$  و لنتأمل بصورة أكثر وضوحا الفرضية التجريبية التالية:

لنفرض أننا ننظر إلى الحالة  $S_0$  كوظيفة تنقل مجموع المادة E إلى حالة متحققة. فإذا ما كانت الـ E هي مجموع المادة المتاحة لمتعلم اللغة، فإن الحالة الثابتة  $S_S$  المحصلة هي حينئذ الـ  $(E) S_0$  ، أي هي نتيجة تطبيق مبادئ الحالة  $S_0$  على الـ E وسوف يكون لدينا حينئذ نموذج معين لاكتساب اللغة، ونموذج أيضا للتفسير. << (1)

نلاحظ هنا أن تشومسكي لا يقدم هذه الفرضية الرياضية كنموذج لاكتساب اللغة وحسب ، بل هي فرضية تفسيرية كيفية حصول اللغة في العقل.

انظر إلى قوله أيضا: << و يمكننا أن نقول – إذا ما استمررنا في تصور النحو على أنه نظرية للغة - إن النحو " كاف و صفيًا " بالنسبة للغة ما بمقدار ما يصف هذه اللغة بطريقة صحيحة.

(1) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية ، طبيعتها أصلها و استخدامها ، ص 121

وتفي نظرية النحو الكلي بشرط " الكفاية التفسيرية explanatory adequacy إلى حد أنها تزودنا بالأنحاء الكافية وصفيا تحت شروط الحدود الفاصلة Boundary conditions التي تضمها التجربة ، وحينئذ سوف تسمح نظرية النحو الكلي التي تفي بهذا الشرط بأن تُشتق الحقائق الملائمة الخاصة بالتعبيرات اللغوية من الأنحاء التي تختارها – أي هذه النظرية- و من ثم تزودنا بتفسير لهذه الحقائق.

وهذا هو في الحقيقة نموذج التفسير المستخدم عامة في علم اللغة بقدر ما يهتم مدخل أو آخر بالتفسير. << (1)

إن هدف تشومسكي منذ البداية هو بناء نظرية تفسيرية لكيفية تمكن الأطفال >> من القواعد و المبادئ التي تضبط النظام الناضج لمعرفة اللغة. << (2)

و إذا كانت البيئة مسؤولة عن تقديم المادة اللغوية E للحالة الأولية  $S_0$  فإن الجزء الأكبر في عملية اكتساب اللغة يعود إلى الدماغ /العقل البشري، يقول تشومسكي : >> فربما يكمن مصدر هذه المعرفة من حيث المبدأ، في بيئة الطفل، أو قد تكون متأصلة في روافد العقل /الدماغ المحددة أحيائيا ، وبصورة أدق، في أحد مكونات العقل / الدماغ الذي يمكن أن نسميه بالملكة اللغوية Language Faculty و يتفاعل هذه العوامل ، ينتج نظام المعرفة الذي يستخدم في إنتاج الكلام وفهمه. و إذا عددنا العوامل البيئية مؤثرا في اكتساب هذه المعرفة، فلا مناص من القول بأن العقل / الدماغ هو الذي يحدد الطريقة التي تعين بها المعلومات الضرورية التي تُستنتج بواسطة نوع معين من العمليات التي هي جزء من روافد العقل /الدماغ المحددة أحيائيا . << (3)

يُسلم تشومسكي بوجود ثلاثة عوامل مسؤولة عن عملية الاكتساب، ويكمن العامل الأول في الملكة اللغوية الفطرية التي يولد الأطفال مزودين بها. أما العامل الثاني فيتمثل في عمليات التعلم. بينما يكمن العامل الثالث في التجربة اللغوية التي يقدمها المجتمع لهذه

(1) المصدر السابق ، ص 121

(2) نعوم تشومسكي ، اللغة و مشكلات المعرفة ، ص 29

(3) المصدر نفسه، ص 29

الملكة، و يرى أن المشكلة تكمن في فرز هذه العوامل وتعيينها ، فإذا كان هو على يقين من وجود العامل الثالث وهو التجربة اللغوية التي تبدو جلية من خلال وجود اللغات الإنسانية المختلفة ، ومن وجود الملكة اللغوية المحددة جينيا فإن كيفية حدوث عمليات التعلم لا تزال غامضة.

يرى تشومسكي أن البيئة اللغوية تساعد الأطفال على تعلم القواعد البسيطة و يقدم أمثلة على ذلك من اللغة الإسبانية ، فعلى سبيل المثال الجملة التالية:

### 1- Juan afeitado a Pedro

يحلّق خوان لبيدور

في اللغة الإسبانية ، إذا كان المفعول به ينتمي إلى عالم الأحياء فيجب أن يضاف إليه حرف الجر (a) . أما إذا كان المفعول به من الجماد فلا يشترط ذلك مثل الجملة التالية:

### 2- Juan arreglar el carro

يصلح خوان السيارة

و في ذلك يقول : >> فالقاعدة البسيطة... تزيد حرف الجر a قبل المفعولات الحية، خاصة من خصائص اللغة الأسبانية، ويجب على الطفل الذي يكتسب الأسبانية أن يتعلمها، فتقوم البيئة اللغوية إذن بدور معين في هذا الشأن، متفاعلة إما مع مبادئ الملكة اللغوية . أو مع بعض العمليات العامة للتعلم ( إن كان لهذه العمليات وجود أصلا ) << (1)

ويرى تشومسكي أن الجمل أمثال:

### 3- Juan hizo [afeitar a Pedro a Maria ]

خوان جعل ماريّا تحلق لبيدور

وهي جملة ليست مقبولة في اللغة الإسبانية . ليس ملزما على الأطفال تعلمها لأنها ليست مقبولة .

(1) المصدر السابق ، ص 30

كما أن الجملة المدمجة التالية:

#### 4- Juan hizo [ arreglar el carro a Maria]

جعل خوان ماريا تصلح السيارة

بعض صفاتها محددة بالبيئة اللغوية بسبب اختلاف اللغات، ويرجع تشومسكي ذلك إلى

ما يسميه بـ " المتغير الوسيط" paramater (1).

>> ومن أهم الحقائق التي تلفت النظر في اكتساب اللغة عند الطفل الدقة الفائقة التي

يقلد بها كلام من حوله ( أي أعضاء أسرته و الأطفال الآخرين ، وسواهم). فنتجاوز دقة

التفاصيل الصوتية هذه ما يستطيع البالغون إدراكه إن لم يملوا بتمرين خاص، لذلك لا

يمكن أن تكون هذه الدقة لدى الطفل نتيجة لأي نوع من التمرين ( وبغض النظر عن هذا

المثال، يتخذ اكتساب اللغة مساره من غير أدنى اهتمام من الذين يحيطون بالطفل، ومن

المحتمل أن يكون ذلك باستقلال عن هذا الاهتمام إن تحقق. ولو أن هناك بعض

الاستثناءات الجانبية ). فمن من الواضح أن الطفل يسمع ، من غير وعي بالطبع، التفاصيل

الصوتية الدقيقة التي ستصبح جزءا من معرفته اللغوية، وهي التفاصيل التي لن يكون

باستطاعته الإحساس بها عندما يكبر. << (2)

إن الطفل عندما يكتسب اللغة فهو يكتسب القواعد أيضا، فالكسب اللغة حسب

تشومسكي >> هو مسألة إضافة مخزون القواعد عند المرء، أو تعديل هذا النظام، حين

تعالج مادة لغوية معينة . << (3)

فالطفل في رأيه >> لديه أيضا قدرة فطرية على أوجه الوصف الاختيارية للبنية،

ويعرف – حين يمتلك لغة ما- الكثير مما تعلم، فمعرفته باللغة التي يحددها النحو المستكن

فيه تتجاوز المواد اللغوية الأولية، ولا تقدم أي تعميم استقرائي مجرد من هذه المواد،

وتتطابق عملية تعلم اللغة اللغوي الذي يبني نحوا على أساس مواد لغوية مقدمة له. فعملية

تعلم اللغة هي عملية تشييد نظرية تعطي كل أبنية اللغة... وبهذا المفهوم يعني التعلم بالنسبة

لتشومسكي آخر الأمر " إعادة توليد" على النقيض تماما من التصور الإمبريقي –

(1) المصدر السابق ، ص 30

(2) المصدر نفسه ، ص 44

(3) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها ، ص 84

التصنيفي- السلوكي، القائل بأن اللغة تتعلم بالتدريب و الخبرة. دون قدرات و كليات فطرية . << (1)

## - جهاز اكتساب اللغة:

لقد طرح تشومسكي مصطلحا جديدا في مجال اكتساب اللغة أطلق عليه اسم " جهاز اكتساب اللغة ( LAD ) Language Acquisition Device " ، وذلك في كتابه :  
(2). Accept Of The Theory Of Syntax

كما طرح مسألة قدرة الذهن على الوصول إلى قواعد اللغة من خلال المعلومات المتاحة له في الوقت المتاح .

يستعير تشومسكي لهذه المسألة مصطلح الصندوق الأسود ( Black box ) ، وهذا الصندوق الأسود يستقبل معلومات Data يسميها بالمدخل The input ويُخرج أخرى يسميها بالمخارج The output.

جهاز اكتساب اللغة ( The LAD ) هو أداة افتراضية ماثلة في الدماغ تساعد الأطفال على تعلم اللغة بسرعة وفهمها. استخدم تشومسكي هذا المصطلح ليعبر عن القدرة المذهلة للأطفال على اكتساب المهارات اللغوية رابطين إياها بالفهم الفطري للقواعد و النحو اللذين يمتلكهما سابقا.

يجب أن نضع في اعتبارنا أن جهاز اكتساب اللغة (The LAD) هو مفهوم نظري، إذ ليس هناك قسم في الدماغ اسمه " جهاز اكتساب اللغة " يشتغل و يتوقف لتعليم لغة جديدة، بدلا من ذلك يستخدم فكرة " The LAD " لشرح مئات أو آلاف العمليات الضمنية processes Underlying التي يقوم بها الدماغ و التي تجعلنا استثنائيين في مسألة تعلم اللغة وفهمها. لقد طور تشومسكي (The LAD) عام 1950، ومنذ ذلك الحين، انتقل هذا المصطلح إلى أعظم نظرياته وهي نظرية النحو الكلي ( UG ) .

(1) جر هارد هبلش ، تاريخ علم اللغة الحديث ، ص 526 - 527

(2) Chomsky, Aspects of The Theory of Syntax, p . 58

يدعي تشومسكي أن كل طفل قد ولد مزودا بهذا الجهاز الذي يحمل القواعد الأساسية لجميع اللغات الإنسانية، هذه القواعد هي نفسها ما اصطلح عليه لاحقا بمبادئ النحو الكلي أو The Principles التي تميز الحالة الأولية للملكة اللغوية.

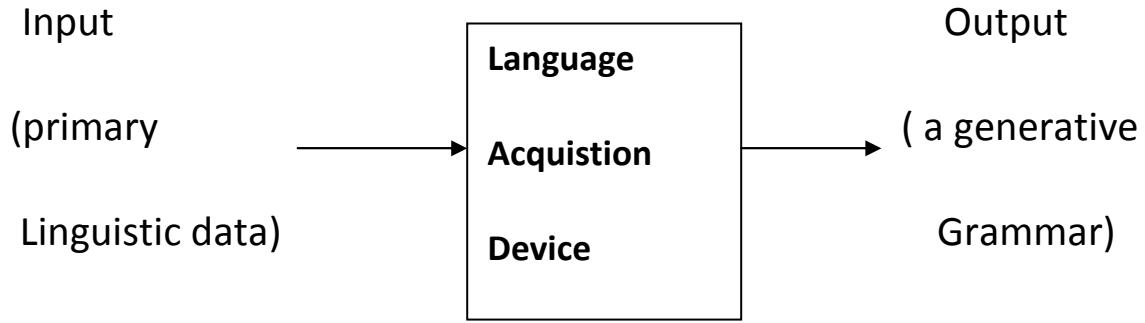
غير أنّ جونز ليونز يرفض فكرة جهاز اكتساب اللغة و يقدم تفسيراً مغايراً لعملية الاكتساب ، فيقول: << إلا أننا نجد تفسيرات أخرى لعملية الاكتساب ... إحداهما عدم وجود جهاز device خاص لاكتساب اللغة بالمعنى الدقيق لكلمة جهاز ، أي لا يوجد جهاز بيولوجي خاص لعملية اكتساب اللغة بحيث يطرّد وجوده في الجنس البشري و ينفرد به ، و إنّما يولد الطفل مزودا بنظام محدد من الإجراءات لحلّ بعض المشكلات و هذا النظام يختص به الجنس البشري مع تصور بيولوجي في نضج هذا النظام و نموه، و لكن مع تطور بعض الأدوات النفسية psychological equipments كالذاكرة memory مثلا. يبدأ هذا النظام في نشاطه في اكتساب اللغة، و برغم وجهة هذا التصور إلا أنّه ما زال يجري في حلبة نظرية الفطرة التي نادى بها تشومسكي و إن لم يتطابق معها. >> (1)

يستمتع الأطفال لعدد من الجمل المقولة من طرف أهلهم أو من الأشخاص الذين يعتنون بهم ، فيقدمون لهم المعلومات اللغوية الأولى The primary linguistic data فيخزنون هذه المعلومات Data في صناديقهم السوداء أي في جهاز اكتساب اللغة LAD، ثم يقومون باكتساب الكفاءة اللغوية للغة معينة ( النحو التوليدي) في أذهانهم. ويمكن لنا أن نستدل على العمليات التي تحدث داخل جهاز اكتساب اللغة من خلال إجراء مقارنة دقيقة بين اللغة التي تدخل - المادة التي تنشأ منها المعرفة اللغوية- وبين المعرفة اللغوية التي تستخدم أثناء الكلام- النحو التوليدي- ويمكن تمثيل ذلك بهذه الترسيمة (2):

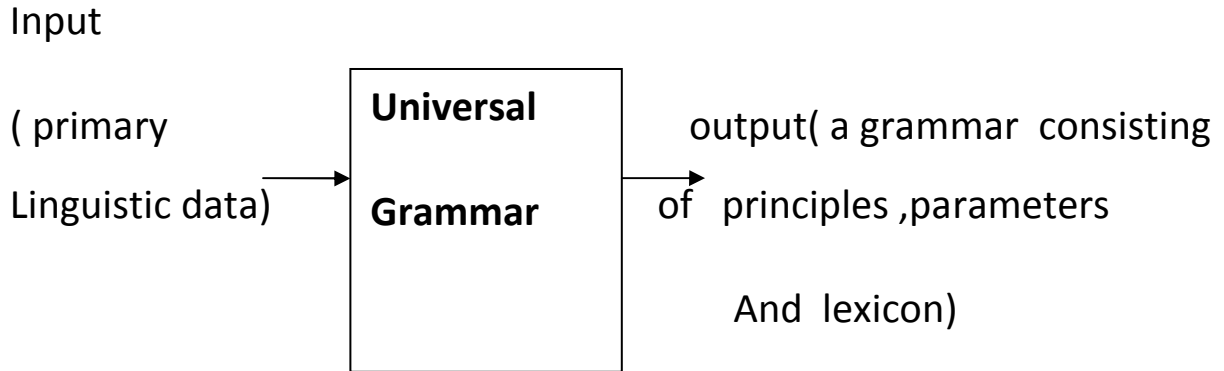
(1) جونز ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 230

(2) Cook, Ckomsky's Universal Grammar , p. 53





إن الكفاءة اللغوية الناتجة و التي تنشأ من جهاز اكتساب اللغة LAD تتألف من قواعد صيغت في هيئة المبادئ principles و المتغيرات Parameters ، ولذلك فإن المعرفة التي يحتاج الطفل لاكتسابها تتألف من تموضع المتغير الرئيس أو متغير الرأس head parameter. إن القواعد تحتوي على المتغير المناسب و آلاف المداخل المعجمية التي تحدد كيف تنصرف الكلمة داخل الجملة. وهذا ما يشرحه الرسم التالي<sup>(1)</sup> :



إذا أردنا تبسيط هذا الرسم فإننا نقول أن المعلومات الأولية التي يتلقاها الطفل تدخل إلى الصندوق الأسود ( جهاز اكتساب اللغة ) ، و الذي يحتوي على النحو الكلي فيتفاعل

<sup>(1)</sup> Ibid, p. 54

معها فيؤدي ذلك إلى إنتاج مخارج ( اللغة المحكية) تتألف من المبادئ و المتغيرات و القاموس المعجمي.

لا يهتم تشومسكي في الواقع بـ " كيف " يتصرف الأطفال ، أو ماذا يقولون بقدر اهتمامه بماذا يعرفون، فهذه النقطة بالتحديد كانت هدفه الأسمى في كل نظرياته السابقة وصولاً إلى نظرية النحو الكلي، ماذا يوجد في عقول المتكلمين وكيف يتكلمون و ليس جهاز اكتساب اللغة سوى واحداً من اجتهاداته في تفسير هذه السمة المعقدة التي يتسم بها البشر و يتفردون بها دون سواهم من المخلوقات.

ختاماً، إن اكتساب اللغة الأم حسب تشومسكي يعتمد على النقاط التالية:

- إن الأطفال أثناء نموهم اللغوي يمرون بمراحل تطويرية.
- هذه المراحل متشابهة بين الأطفال و إنما الاختلاف يكمن في الدرجات.
- القاعدة محكمة و ممنهجة
- الأطفال يقاومون التصحيح
- قدرة المعالجة عند الطفل يحددها عدد القواعد التي تمكن من تطبيقها في أي وقت وهو سوف يعيد الفرضيات الأولى عندما تتنافس قاعدتان أو أكثر.
- اكتساب اللغة لا علاقة له بالذكاء. (1)

و من هنا ندرك أن تصور تشومسكي لكيفية اكتساب الطفل للغة يخالف تماماً تصور كل من سكينر و بياجيه ، و قد احتدم الجدل بين أصحاب هذه النظريات سنة 1975 م حيث التقى كل من جان بياجيه و تشومسكي في دير بفرنسا ، وكان بياجيه آنذاك في عمر التاسعة و السبعين وهو يعد من أبرز شخصيات علم النفس لثقافته الموسوعية بينما كان تشومسكي في عمر السابعة و الأربعين، بعد أن أحدثت نظريته اللغوية ( التوليدية

---

(1) Buket Demirbuken, The Universal Grammar Approach : UG, Marara University of ELT Ma programme, 2013, istanbul, from : <http://fr.slideshare.net/buckey/the-universal-grammar-approach>.

التحويلية) ضجة عارمة في الأوساط اللغوية آنذاك، وحضر تلك المناقشة زمرة من علماء اللغة ، علماء النفس، الفلاسفة و أطباء الأعصاب.  
كان موضوع هذه المناظرة " فطرية اللغة " كما يرى تشومسكي و " بنائيتها " كما يقول بياجيه.

رفض بياجيه مزاعم تشومسكي وقال أنه يخالفه في رأيه هذا ، كما يخالف السلوكيين الذين يقحمون المنهج التجريبي في دراسة اللغة إقحاما لا يُسَلَّم إلا بما تقدمه الحواس من خبرات.  
يرى بياجيه أنّ الطفل يحتاج لأطر عقلية لاكتساب أي معرفة ومن ضمنها اللغة، و لكن هذا لا يعني أن تكون هذه الأطر فطرية، و بناء المعرفة داخل ذهن الإنسان يمر بأربع مراحل هي المراحل الأربع التي عرضناها سابقا، و التي تعد المرحلة الأولى القائمة على الحواس و الحركة هي قاعدتها الأساسية التي تؤدي فيما بعد إلى مرحلة التصورات الذهنية.

و ارتأيت عرض هذه المناظرة كاملة كما وردت في مقال محمد الدنيا لأهميتها (1)

:

في عام 1975، قارن عالم النفس جان بياجيه وعالم اللغة نعوم تشومسكي نظريتهما حول اكتساب اللغة عند الطفل.

كان ذلك في تشرين الأول 1975م ، في دُير على نهر «السين» يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثالث عشر، تحول فيما بعد إلى مركز ثقافي «مركز رويومون لعلم الإنسان»، حيث كان على رأس الحاضرين كل من «جان بياجيه Jean Piaget (1896- 1980)»  
79سنة آنذاك ، أحد أبرز شخصيات علم النفس، ذو شعر أبيض طويل، و ابتسامة لطيفة، و ذهن حاد، وثقافة موسوعية، ومعارضه «نعوم تشومسكي Noam Chomsky»  
47 سنة، عالم لغة أمريكي قادم وقتذاك من «كامبردج» وكانت نظريته حول قواعد النحو التوليدي ( Grammaire Générative ) ، قد أحدثت تغييرا عميقًا في الألسنية.

(1) ينظر : محمد الدنيا ، بين " بياجيه " و "تشومسكي" مقارنة حول كيفية اكتساب اللغة ، من :

Ebn-khaldoun.com /article \_details.php ?artile635

شاركت في المناقشة كوكبة من الباحثين: علماء نفس، علماء لغة، فلاسفة و أطباء أعصاب.

كان اللقاء مقابلة بين تصورين متعارضين حول تكوّن التفكير و اللغة، فطرية Innéisme تشومسكي ، وبنائية Constructivisme بياجيه.

حسب «تشومسكي»، هناك كفاءات عقلية فطرية، مسجلة في دماغ الإنسان، تفسر بشكل خاص مقدراته اللغوية الشمولية، بينما أكد «بياجيه» أن مقدرات الكائن البشري المعرفية ليست فطرية كلياً، و لا مكتسبة كلياً. إنها نتاج بناء تدريجي تتحد فيه الخبرة والنضج الداخلي.

### تبادلات أولى مهذبة :

سبقت المناقشة تبادلات مكتوبة. افتتح «بياجيه» الحوار بنص من ست نقاط، تلخص نظريته: لا يعمل التفكير عند الطفل عبر تسجيل بسيط لمعطيات «مثلما يفترض التجريبيون». من أجل فهم الواقع، الطفل تلزمه أطر عقلية ، لكن هذه الأطر العقلية ليست فطرية. يبتني التفكير على مراحل: من الذكاء الحسي – الحركي، حيث يؤدي الفعل دوراً هاماً، إلى مرحلة العمليات العقلية الصورية، التي تنبثق خلال المراهقة. قبل «تشومسكي» إطار المناقشة فوراً. كانت هناك إذن ثلاث تصورات حول المعرفة: التجريبية، الفطرية، والبنائية. عرّف «بياجيه» نفسه بأنه بنائي، بينما وضع «تشومسكي» نفسه بوضوح في الفئة الثانية، الفطرية. قال:

«يصف جان بياجيه تصوراتي بشكل صحيح جداً على أنها (...) شكل من الفطرية». و يضيف حالياً: «دفعنتي دراسة اللغة البشرية، تحديداً، إلى أن أعتبر أن المقدرة اللغوية المحددة وراثياً هي أحد مكونات الذهن البشري» .

عرض «تشومسكي» تصوراتهِ ، شرح أن الطفل يطور كفاءة خاصة من أجل أن يتمكن من قواعد اللغة (النحو) grammaire بشكل دقيق (صينية كانت هذه القواعد أم إنجليزية)، يكتشف العلاقات بين الكلمات، فيشكل جملاً صحيحة نحويًا. يفهم أطفال العالم كلهم، بشكل سريع، ما هي العلاقات التي تربط بين المسند إليه (الكلب) والمسند (ينبح) أو

الروابط التي تربط ما بين الوظائف الكبرى للجملة ( تركيب تعبيرى فعلى و تركيب تعبيرى اسمى. )

هدفُ النحو التوليدي هو الكشف عن تلك القواعد العميقة التي تحكم اللغة، هذه النواة الثابتة، المرتكزة على خاصيات منطقية، التي ينبغي على الطفل أن يتمكن منها كي يستطيع فهم الجمل وإنتاجها. توحى السرعة التي يكتسب بها هذه الخاصيات، بين عمر الثانية و الخامسة، وشمولية هذا الاكتشاف (يكتسب الأطفال كلهم اللغة)، بأن الأمر يتعلق هنا بمقدرة فطرية، الكائن البشري مؤهل لها. كان موقف المؤلفين متعارضين بشكل واضح. ولزم أن يفتح «بياجيه» النقاش الشفوي:

"أنا موافق على مساهمة تشومسكي الرئيسية هذه في علم النفس، اللغة هي نتاج الذكاء أو العقل و ليست نتاج تعلم بالمعنى الذي ساقته المدرسة السلوكية للعبارة. كما أنني متفق معه حول أن هذا المنشأ العقلي للغة يفترض وجود نواة ثابتة لازمة لتكوّن اللغات كلها (...). أعتقد أننا متفقان حول ما هو جوهرى، ولا أجد أي تعارض هام بين ألسنية تشومسكي وعلم النفس الذي يخصني".

أبدى «بياجيه»، منذ البداية، تساهلاً نظرياً كبيراً. أقرّ بأن اللغة ترتكز إلى مقدرة منطقية في تشكيل جمل صحيحة نحويًا. كان على المناقشة إذن أن تتناول فطرية أو عدم فطرية هذه النواة الثابتة، هذه المقدرة المنطقية في إنتاج اللغة. وبرهان بأنه: " لا ينتقل سلوكٌ ما بشكل وراثي لمجرد أنه شموليٌ ومتأصلٌ. يمكن أن تثبت بعضُ البنى الدماغية والوظائف النفسية المرتبطة بها بطريقة التنظيم الذاتي *autorégulation* ، الذي يتولد من التأثير بين الإرث الجيني للنوع والخبرة."

كان «فرانسوا جاكوب François Jacob» ، الحائز على جائزة نوبل في علم الأحياء، من بين الحضور. تركته فرضية «بياجيه» هذه في ريب من أمره. رفض «تشومسكي» الخوض في مثل هذا الميدان. ليست معرفة إن كانت النواة الثابتة فطريةً أو غير فطريةً، تنتج أو لا تنتج عن تنظيم ذاتي غامض، سوى مسألة ثانوية، حسب رأيه. المسألة هي معرفة ما إذا كانت هذه النواة الثابتة موجودة، وهل هي نوعية، وما إذا كانت تسبق كل تعلم. لكن هذا الأمر كان محسوماً، ذلك أن «بياجيه» كان قد قبل بذلك قبل

قليل.. . فطري أم مبني.

استمرت التبادلات ودارت حول مسائل عدة: هل يمكن إثبات أن بنية عقلية ما هي فطرية؟ أو أن لياقةً ذهنية موجودة ولكن مكبوتة، بحالة كمون في المراحل الأولى؟ هل توجد آليات عامة للنمو الذهني؟ يقول «تشومسكي» في رده على سؤال «هل يمكن فعلاً إثبات أن بنية عقلية ما هي فطرية؟»: لا أزعم أنني أريد إثبات فطرية اللغة. لا يمكننا «أن نثبت» أن العنكبوت ينسج خيوطه بالغريزة. ولكن من الممكن تقديم حجج مقنعة «تجعل هذه الفرضية ممكنة. »

يرى «تشومسكي» أن تطور اللغة شبيه بتطور الرؤية. هنالك في الدماغ مراكز متخصصة تعنى برؤية الألوان، والأشكال، والحركة. تتطور لياقات التمييز هذه بالنضج المتدرج خلال الأسابيع الأولى من الحياة. إن كنا نصبح قادرين بالفعل على تعيين هذا الشيء أو ذاك، فإن الأجهزة العقلية التي تتيح الرؤية هي فطرية وعالية التخصص. يرجع «تشومسكي» عندئذ إلى أعمال «ديفيد هوبل David Hubel» و«تورستن ويزل» - Torsten Wiesel عالمي أحياء كانت أبحاثهما قد بدأت تترك تأثيرات هامة في الوسط العلمي. يمكن أن ينسحب الشيء نفسه على اللغة.

نتعلم، طبعاً، وفقاً للثقافات، قواعد نحوية و مفردات و كلمات خاصة. ولكن يحدث ذلك كله على أساس مقدرة فطرية في تنظيم هذه العناصر فيما بينها. عارض «بياجيه» عندئذ هذه الفرضية بنموذج آخر مختلف. إن كانت اللغة تظهر في السن الثانية، فليس ذلك من خلال نوع من النضج الداخلي فقط. يكون ظهورها قد تهيأ عبر عدة مراحل من نمو الطفل الذهني. الوصول إلى اللغة مشروط بالذكاء الحسي – الحركي. يحدث ذلك خلال السنتين الأوليين من الحياة. يتيح التلمس البدني التجريبي للطفل أن يكتشف الأشياء ثم علاقاتها، حتى يبلغ أخيراً قدرةً تجريدية، اللغة أحد تعبيراتها. التمكن من اللغة هو إذن تعبير عن نكاء عام، يتطور على مراحل. لا يمكن إذن بلوغ الفئات التجريدية إذا لم يكن الحسي موجوداً قبل ذلك. يتكون المنطق الذي يشكل أساس المقدرات التنظيمية للغة على شكل جمل، من البسيط إلى العام، من الحسي إلى التجريدي. تدخل حينئذ عالم الأحياء «جاك مونو Jacques Monod» وعلى الرغم من أنه

ليس اختصاصياً في الموضوع، فإن هذا العالم الحاصل على جائزة نوبل و مدير «مركز رويومون» كان مهتماً عن كثب بهذا اللقاء. أشار إلى اختبار قد يتيح حسم الجدل: «إذا كان نمو اللغة عند الطفل وثيق الارتباط بالخبرة الحسية – الحركية، يمكننا الافتراض بأن طفلاً وُلد مصاباً بشلل الأطراف الأربعة سيجد أشد الصعوبات في أن ينمي لغته»، و سأل: هل تمت دراسة حالات مشابهة؟ أجابت «باربل إنهلدر Barbel Inhelder» «معاونة بياجيه»، وعالمة النفس في جامعة «جنيف»، بالنفي. أوضحت مع ذلك أن الذكاء الحسي – الحركي يمكن أن يحصل على كل حال من خلال خبرات سمعية و بصرية فقط. هنا، كان لـ «جيري فودور Jerry Fodor» ، فيلسوف أمريكي من المدافعين عن فرضيات «تشومسكي»، مداخلة لم تخل من خشونة: «إن كان يكفي أن توجد في أقصى الأحوال حركة من العينين كي يكون للذكاء الحسي – الحركي دور، فذاك يجعل مذهب الذكاء الحسي – الحركي مبتذلاً» (\*).

### مقدرة تخص البشر وحدهم؟

تابع «ج. فودور» المشاركة. كان هذا الفيلسوف الشاب، زميل «تشومسكي» في «معهد ماساشوستس MIT في «كمبردج»، قد نشر قبل وقت قصير كتابه المعنون *Le Langage de la pensée* (اللغة و الفكر)، وهو عمل يدافع فيه عن تصور حوسبي للذهن البشري. حسب رأيه، يرتكز الفكر /التفكير على مجموعة قواعد منطقية، نوع من الجبر العقلي الذي يحكم معظم وظائفنا العقلية: الذكاء، الإدراك واللغة. في الواقع، كان هذا الفيلسوف يطور عبر هذا الطرح الخاص فرضية وصفها البعض بأنها «مستفزة» لأنها تخالف الفكر الذي ساد خلال الثلاثمائة سنة الأخيرة. يؤكد ببساطة أن تعلم الفئات *catégories* لا وجود له. من المؤكد أننا نتعلم الرياضيات، لكن المنطق الذي يشكل أساسها سابق لها. و بالطريقة نفسها، المقدرة اللغوية في بناء جملٍ سابق لتعلم هذه

(\*) لا شك أن للحواس دوراً فعالاً لحصول أية معرفة في الذهن، فمن فقد حاسة من الحواس فاته الكثير من المعرفة، و بالاستناد إلى نظرية بياجيه من دور للذكاء الحسي - الحركي فإن العديد من الأمهات يلاحظن أن أطفالهن في سن مبكرة يستعملون أطرافهم و يحاولون اكتشاف محيطهم عن طريق تحسس طبيعة الأشياء بألسنتهم، و بأيديهم، أما إذا فقد الطفل القدرة على الحركة فهذا سيؤدي لديه الذكاء الحركي فقط، لكن الذكاء الحسي سيبقى و سيعتمد الطفل هنا على سمعه و بصره للتعرف على العالم، بل يمكنه أيضاً اكتساب اللغة استناداً إلى حاسة السمع حتى لو فقد حاسة البصر ، أما إذا كان أصماً أبكما فإنه يكتسب نوعاً من اللغة عن طريق وسائل تعليم الصم و البكم. لكن هذه اللغة سوف تكون محض إشارات محدودة لأن اكتساب اللغة يعتمد بالدرجة الأولى على حاسة السمع، و بقية الحواس تكون خادمة لها لا غير.

اللغة أو تلك.

ردّ «بياجيه»: ربما كان علينا إذن في هذه الحال أن نقرّ بأن الرياضيات ليست نتاج تعلم. ربما تكون معاني اللامتناهي، والأعداد تحت الصفر (المضاف إليها علامة -) إلخ... موجودة عند الطفل منذ السن الخامسة، بل وحتى لدى الحيوان، لم لا؟ ولكن من الواضح أن هذه ابتكارات حديثة للبشرية، مرتبطة بتاريخ الرياضيات. هدف النحو التوليدي هو الكشف عن تلك القواعد العميقة التي تحكم اللغة، هذه النواة الثابتة، المرتكزة إلى خاصيات منطقية، التي ينبغي على الطفل أن يتمكن منها كي يستطيع فهم الجمل وإنتاجها. توحى السرعة التي يكتسب بها هذه الخاصيات، بين عمر 2 و5 سنوات.

ابتكارات بشرية حديثة، نعم، ردّ «ج. فودور»، لكنها لا تتطلب مقدرات منطقية جديدة. المنطق البشري موجود قبل أن يصيغ «أرسطو» مبادئه العامة. لم يفعل سوى أنه نظّر قواعد تتاح لجميع البشر. كان «ديكارت» محقاً عندما أكد أن العقل هو «الشيء الأفضل تقاسماً في العالم». لا يتعلم الطفل التفكير، لا يفعل سوى أنه يستنفر مقدرةً تخص النوع.

اتخذت المناقشة إذن منحى جديداً: هل الذكاء، والعقل، واللغة، هي مقدرات خاصة بالبشر؟ التفتوا عندئذ ليسمعوا رأي «ديفيد بريماك David Premack»، الذي يدرس اللغة والتفكير عند الحيوان في جامعة «بنسلفانيا»، حيث أنجز منذ سنوات عديدة تجارب على «ساره Sarah»، أنثى شمبانزي كان يعلمها لغة الإشارات. أجاب «د. بريماك» في نقاط عدة. قبل كل شيء، عارض أولئك الذين يؤكدون أن اللغة هي نتاج المجتمع والتواصل الاجتماعي. تعيش أنواع حيوانية كثيرة في مجتمع. أما اللغة، فهي خاصية بشرية. هل هي مرتبطة عندئذ بالذكاء العام؟ أكد، مستندا إلى تجربته، أن القردة الكبيرة ذكية: قادرة على التجريد، وحل مشكلات. لكن مقدرتها على استخدام لغة محدودة جداً. قد تكون اللغة إذن مقدرة نوعية، غير مرتبطة مباشرة بالذكاء العام. عدا ذلك، ظهر «د. بريماك» متشككاً جداً حيال وجود وظيفة رمزية. يرى أنه توجد وظائف متميزة: مقدرات التمثيل *représentation*، والاستدلال *raisonnement*،



والتبويب *catégorisation* ، التي ينبغي دراستها واحدة فواحدة، بدلاً من التعميم عبر وظيفة عامة. اللغة إذن وحدة جزئية (من عمل الدماغ)، غير مرتبطة بالذكاء العام، ولا بالمجتمع بصورة عامة. سارت الحجج إذن في الاتجاه الذي نحتة فرضيات «تشومسكي»، ولو أن «د. بريماك» رفض الاصطفا في معسكر القائلين بالفطرية.

### برنامجان بحثيان مختلفان

في هذه المرحلة، توزع المتقابلون على عدة معسكرات. كان هنالك أولئك المتحفظون بحذر، مثل «ج. مونو» و«ف. جاكوب». وودّ البعض، مثل «سيمور بابرت» «Seymour Papert أو «د. بريماك» الخوض في المناقشات على مسارات أخرى. تمسك أنصار «تشومسكي» بمواقفهم. رفض المعني نفسه الخوض في نقاشات نظرية وعامة أكثر مما ينبغي إذ رآها عقيمة. وودّ أن يقتصر النقاش على فرضيات محددة حول مسائل محدودة و يمكن دحضها، وعلى نظريته النحوية في المقام الأول. حول هذه النقطة، كان منازعاً بعنف، لأن قلة قليلة من الاختصاصيين الحاضرين كانوا متمكنين فعلاً من النظرية اللغوية ويمكنهم خوض نقاش فيها.

سيتدخل هيلاري بوتنام Hilary Putnam وحده، وهو فيلسوف أمريكي، معترضاً بشكل مباشر وبدقة على فرضياته. حجتة الرئيسية: لا يستطيع الطفل تنظيم الجمل دون الدلالة. *sémantique*. إن كان يمكنه أن يكتشف القواعد النحوية، فلأنه قادر على بلوغ معنى الكلمات (بينما يؤكد «تشومسكي» أن الدلالة والنحو مستقلان كل منهما عن الآخر). و من هنا فإن بناء «تشومسكي» خاطئ كله حسب رأيه، من جذوره.

سعى مشاركون آخرون في النقاش إلى التوليف. تلك كانت حال «ستيفان

تولمن Stephan Toulmin» ، و«غي سيرلييه Guy Cérellier» و«جاك مهلر Jacques Mehler... " الذين سيقدمون كل بدوره محاولات تسوية. عرض عالم

الجهاز العصبي الفرنسي «جان – بيير شانجو Jean – Pierre Changeux» مثلاً نظريةً عصبية تقتبس في الوقت نفسه من المذهب الفطري ومن المذهب البنائي. شكر «بياجيه» بحرارة «ج. – ب. شانجو» على محاولة التسوية هذه، وقال «من جهتي، حاولت في هذه الندوة أن أجد مثل هذه التسوية بالإقرار بقابلية وراثية عمل البنى نفسها.»

يرى «تشومسكي» أن تطور اللغة شبيه بتطور الرؤية. هنالك في الدماغ مراكز متخصصة تعنى برؤية الألوان، والأشكال، والحركة. تتطور لياقات التمييز هذه بالنضج المتدرج خلال الأسابيع الأولى من الحياة. إن كنا نصبح قادرين بالفعل على تعيين هذا الشيء أو ذاك، فإن الأجهزة العقلية التي تتيح الرؤية هي فطرية وعالية التخصص. عندما حان وقت إقفال باب النقاش، كان كل واحد قد بقي على مواقفه إجمالاً، ولو أن «بياجيه» وأنصاره سعوا دون توقف إلى تسوية رفضها «تشومسكي»، كان الاتفاق صعباً، لأن النقاش كان تخصصاً بين «برنامجين بحثيين متباينين». ومع انقضاء الزمن، بدت هذه المواجهة مع ذلك على أنها لحظة مفصلية. انقلبت التصورات المتعلقة باللغة والتفكير فيما بعد.

في عام 1975م، كانت الرؤية السائدة هي أن الإنسان كائن ثقافي يشكّله، بالكامل، المجتمع، والخبرة، والتعلم. ولكن، لم تكن هذه رؤية «بياجيه»، ولا رؤية «تشومسكي» أيضاً.

في السنوات التالية، فرضت وجهة النظر المعرفية نفسها، التي تنظر إلى الذهن البشري على أنه نوع من برنامج معالجة داخلي للمعلومات موجّه بمنطق داخلي. ستفضي الاكتشافات حول المقدرات الباكورة عند الطفل الرضيع فضلاً عن ذلك إلى تراجع فرضيات «بياجيه».

و اليوم، لم يحسم النقاش بعد فعلياً. لا يمكن نكران أن «رويومون» كانت بالنسبة للأطراف المتنازعة كلها تاريخاً مفتاحياً في تطور تصوراتها. كانت أيضاً نموذجاً للحوار العلمي، المخلص والدقيق، مثلما توجد أخرى مثله على نحو نادر كثيراً في تاريخ العلوم الإنسانية.

## الفصل الرابع

- من الوصف إلى التفسير

أولا : اللغة المجسدة Externalized Language

أ - اللسانيات البنيوية الوصفية

ب - النحو العربي

ثانيا : اللغة المبنية داخليا Internalized Language

أ - البنية الذهنية الداخلية للغة

ب - الربط بين الصوت و المعنى

## - تمهيد -

لعل أقرب تعريف للغة المجسدة E-Language هو الكلام بمفهوم دو سوسير، و مفهوم تشومسكي للأداء الكلامي، وهي بمثابة >> لغة مستقلة عن خصائص الدماغ/العقل، على نقيض اللغة المبنية داخليا I-Langauge التي تُعد خاصية متفردة للدماغ/العقل Mind/Brain << <sup>(1)</sup>، إنها ما يلفظه المتكلم أثناء الحدث الكلامي وهي مرتبطة باللغة المبنية داخليا بشكل وثيق؛ حيث إليها يعود الفضل في تحصيل الأطفال للغة المبنية داخليا و تثبيتها في أذهانهم، كما أنه بفضلها يمكن دراسة و تحليل اللغة الداخلية رغم أنها لا تقدم سوى جزءا بسيطا للغاية من الإمكانيات اللغوية المخزنة في الذهن. و قد أولت البنيوية الوصفية الأمريكية اهتماما كبيرا باللغة المجسدة على حساب اللغة المبنية داخليا، و هذا ما يعيبه تشومسكي عليها. في الواقع، هو لا يعيب مناهج البنيوية الوصفية في دراسة اللغة بنسختها الأمريكية و حسب، بل يتعداها إلى مناهج الدراسة في البنيوية بنسختها الأوروبية أيضا.

---

<sup>(1)</sup> Patrick Colm Hogan, Combridge encyclopedia of the language sciences, Combridge university press, The first published, 2011, The united States of America, New York, P. 376

## أولاً: اللغة المجسدة ( Externalized language )

### أ - اللسانيات الوصفية البنيوية

قبل أن نشرع في الحديث عن البنيوية الأمريكية التي صبت اهتمامها على دراسة اللغة المجسدة، فلنقف قليلاً عند اللسانيات الوصفية البنيوية بمدارسها الكبرى.

ظهرت اللسانيات الوصفية البنيوية على يد العالم السويسري فرديناند دو سوسير، الذي نادى بالدراسة العلمية للغة دراسة موضوعية.

و رغم أن سوسير لم يهتم بدراسة اللغة المجسدة بل باللغة الصورية ، إلا أن تشومسكي يرى خلافاً لذلك، إذ يقول : >> اتجهت اللغويات البنيوية و اللغويات الوصفية، كما اتجه علم النفس السلوكي و غير ذلك من المداخل المعاصرة إلى تصور اللغة كمجموع من الأحداث أو المنطوقات أو الأشكال اللغوية ( كالكلمات و الجمل) يزواج بينها و بين المعاني، أو كنظام من الأشكال أو الأحداث اللغوية. ففي اللسانيات البنيوية السويسرية أخذت اللغة (Langue) على أنها نظام من الأصوات يرتبط به نظام من الأفكار. و ترك مفهوم الجملة في مكان أشبه بزوايا النسيان، ربما ليحدد لها مكاناً في إطار استخدام اللغة.<< (1)

و إذا كانت هناك علوم شتى تدرس اللغة كفقهاء اللغة، علم النفس، علم الاجتماع... إلخ، فإن دو سوسير قد حدد مجال اشتغال اللسانيات، حيث قال باحثاً عن هدف لعلم اللغة : >> الرأي عندي أنّ لجميع هذه الصعوبات حلاً واحداً فقط: وهو أن نضع كلياً قدمنا ، منذ البداية، على أرض اللغة، و يستخدم اللغة مقياساً لجميع مظاهر اللسان، فاللغة، وحدها -

(1) نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها ، ص 77 - 88

بين كثير من المظاهر الثنائية - يمكن أن تخضع - على يبدو - لتعريف مستقل قائم بذاته و تقدم في الوقت نفسه الركيزة التي ترضي العقل. << (1)

تقوم اللسانيات العامة على اتجاهين : الاتجاه النقلي و الاتجاه العقلي. >> نمثل للاتجاه الأول بالمدارس البنيوية التصنيفية الكلاسيكية التي اشتقت عن توجهات دي سوسير و نذكر منها المدرسة الوظيفية التي مثلت و لا تزال اتجاها قويا بأوروبا و المدرسة البنيوية الأمريكية التي ظهرت بالولايات المتحدة الأمريكية. << (2)

أمّا الاتجاه الثاني فيتزعمه تشومسكي منذ جاء إلى حقل اللسانيات الحديثة بنظريته التوليدية التحويلية.

ينبغي التذكير هنا أنّ دو سوسير هو الأب الروحي لللسانيات الحديثة، فباعتماد تلاميذه شارل بالي Bally، و سيشهاي على أطروحاته ظهر علم اللغة كعلم حديث قائم بذاته أطلق عليه اسم " علم اللغة " أو " اللسانيات "Linguistique، بعيدا عن الدراسات اللسانية المقارنة، و عن فقه اللغة.

و قد أرسى دو سوسير مفهوم البنية عندما قال بأن اللغة نظام علائقي داخلي، فالعلامة اللغوية >> لا تستند مباشرة إلى شيء في الواقع الموضوعي فهي في الأساس قيمة في نظام علائقي للغة. << (3) فاللغة عنده >> نظام له ترتيب خاص به. يمكن توضيح ذلك بتشبيه النظام اللغوي بالشطرنج فما هو خارجي في الشطرنج يمكن فصله بسهولة عمّا هو داخلي. فإذا استخدمنا أجزاء من الشطرنج مصنوعة من العاج بدلا من الخشب فإن هذا التغيير لا أثر له في نظام الشطرنج. أما إذا قللنا من أجزاء الشطرنج أو أضفنا إليها فإن هذا التغيير له أثر كبير في اللعبة . إذن ينبغي للمرء أن يميز بين ما هو

(1) دو سوسير، علم اللغة العام، ص 27.

(2) خولة طالبي الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 10

(3) جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ص 74

خارجي و ما هو داخلي . و يستطيع المرء في كل حالة أن يحدد طبيعة الظاهرة باستخدام هذه القاعدة، فكل شيء يُحدث تغييرا في النظام بأي أسلوب كان إنما هو داخلي. << (1)

و يقول في موضع آخر: >> و اللغة حسب تعريفنا تبدو على أنها نظام حر يمكن ترتيبه حسب إرادة المرء لأنه يعتمد كليا على مبدأ منطقي . << (2)

لقد خُلف سوسير تأثيرا عميقا في المدارس اللسانية التي جاءت بعده، و التي اعتمدت مفهومه هذا للبنية الداخلية للغة حتى عُرفت هذه المدارس بالبنوية الكلاسيكية، وهي : مدرسة براغ ( علم اللغة الوظيفي ) ، المدرسة الجلوسيمائية ( كوبنهاجن ) ، و الوصفيون الأمريكيون.

و ما >> يجمع الاتجاهات المختلفة لعلم اللغة البنيوي فهو فهم اللغة على أنها نظام علائقي و على أنها بنية داخلية، و فهم كيف أُتخذت نموذجا لدى دي سوسير من خلال أفكاره وهي أن موضوع علم اللغة ليس إلا اللغة في ذاتها من أجل ذاتها، و أنّ اللغة شبكة من العلاقات التزامنية و أنّ اللغة ليست مادة بل هي شكل <<. (3)

يقول سوسير: >> إن الدور المميز للغة بالنسبة للفكر ليس وسيلة صوتية مادية للتعبير عن الأفكار، بل القيام بوظيفة حلقة الوصل بين الفكر و الصوت، في ظروف تؤدي بالضرورة إلى التمييز المتبادل لوحدة الفكر و الصوت . فالفكر الذي هو بطبيعته غير منتظم، يتخذ نظاما معينا في أثناء عملية تحليله . و لا تتخذ الأفكار شكلا ماديا، كما أن الأصوات لا تتحول إلى كيانات عقلية : و الحقيقة الغامضة هي أن " الفكر – الصوت " ينطوي على التقسيم، و إن اللغة تصوغ وحداتها أثناء اتخاذها شكلا معينا بين كتلتين لا شكل لهما [...] كما يمكن تشبيه اللغة بورقة: وجهها الفكرة و ظهرها الصوت : لا يستطيع المرء أن يقطع الوجه دون أن يقطع الظهر في الوقت ذاته . و كذلك في اللغة لا يستطيع المرء فصل الصوت عن الفكر كما لا يستطيع فصل الفكر عن الصوت. و لا يمكن تحقيق

(1) دو سوسير ، علم اللغة العام، ص 41

(2) المرجع نفسه ، ص 96

(3) جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث ، ص 91

هذا الفصل إلا عن طريق التجريد، فتكون النتيجة لا شيء سوى علم النفس أو النظام الصوتي. فميدان علم اللغة، إذن، منطقة حدود ترتبط فيها عناصر الصوت و الفكر : و ينتج عن ارتباطهما شكل، و ليس مادة <. (1)

و تنطلق المدارس الكبرى الثلاث من عدّ اللغة بنية مستقلة بوصفها نظاما من العلاقات، و من فكرة سوسير في دراسة اللغة داخليا (\*)، ذلك أنّ البنية ليست كومة من الحقائق المنعزلة، بل هي كل متماسك. (2)

وهذه وقفة موجزة عند المدارس اللسانية البنيوية الكبرى:

**1- مدرسة براغ:** تشكلت حلقة براغ سنة 1926م على يد ماتسيوس Mathesius، و هافرانك Havranek، ترنكا Trenke، و سكاليتشكا Skalicka، ثم انضم إليهم علماء الروس الثلاثة الأمير نيكولاي تروبتزكوي Nicolai Trubtzkoy، رومان جاكبسون R. Jakobson، و سيرج كرسفسكي Serge Karsevski، ثم انضم إليهم عام 1930م الفرنسي أندريه مارتينييه A. Martinet.

و قد ظهرت حلقة براغ في المؤتمر العالمي الأول للغويين في هاج Haag سنة 1928م، و قد أسس ممثلوها مجلة لسانية تحت اسم " أعمال حلقة براغ اللغوية " أو " Travaux de Cercle Liguistique " .

و قد اعتنقت حلقة براغ مفهوم البنية في أعمالها، فحدد ( ترنكا ) أنّ اللغة نظام لوسائل التعبير لهدف ما. و ينتج عن ذلك أنه لا يمكن أن يُنظر لعنصر ما خارج الكل، أي خارج النظام، و ينتج عن ذلك وجهة النظر الوظيفية، و لذا سُميت حلقة

(1) دو سوسير، علم اللغة العام، ص 132

(\*) إن دراسة اللغة داخليا عند سوسير يختلف عن دراسة اللغة داخليا عند تشومسكي، فسوسير يقصد بذلك دراسة اللغة باعتبارها نسقا سوريا، يُبحث فيها عن علاقة الأجزاء بالكل وعلاقة كل عنصر بغيره من العناصر داخل النظام اللغوي بينما تشومسكي يقصد به دراسة البنية الذهنية.

(2) جر هارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ص 92



براغ فيما بعد بعلم اللغة الوظيفي (1) أو النحو الوظيفي تمييزا لها عن النحو الكلي و  
عن << الميول البنيوية الأخرى. >> (2)

لقد حذت حلقة براغ حذو دو سوسير في ترجيح الدراسة الآنية التزامنية للغة لأن  
ذلك أفضل لمعرفة الطبيعة الجوهرية للغة، غير أنّ ممثلي براغ يرفضون <>  
التناقض بين التزامن و التعاقب، و كذلك مقابلته (\*) غير الجدلية بين " اللغة المعينة "  
و " الكلام "، و إطلاق مفهوم النظام. لقد نتج عن هذا تحديدهم الجوهرية للغة على أنها  
" نظام وظيفي ". <> (3)

عموما، كان منهج الدراسة عند لسانيّ براغ وظيفي باعتبار اللغة نظاما وظيفيا  
الهدف منه التعبير و التواصل. فتفهم <> اللغة الإنسانية ، من وجهة النظر  
الوظيفية ، كأنها تسعى إلى نقل التجربة بواسطة تجلّ مُدرك عن طريق الحواس و  
قابل للتحليل إلى وحدات يوافق كل منها عنصرا من التجربة موضوع النقل. <> (4)  
و قد اهتم ( الأمير نيكولاي تروبتسكوي ) بدراسة الأصوات، و له كتاب شهير  
بعنوان : " مبادئ الفونولوجيا " و قد اهتم بتطوير مفهوم " الفونيم "، و قال عنه بأنه  
مفهوم وظيفي، و <> منذ أن ظهرت سنة 1929 مجلة نشر مدرسة براغ، تتبع  
الفونولوجيا الجزء الراسخ في علم اللغة. إنّ بدايات علم اللغة البنيوي هي بدايات  
الفونولوجيا. و اجتهد تروبتسكوي لفصل سارٍ بين علم الأصوات و علم الفونولوجيا: فعلم  
الأصوات هو علم الجانب المادي من الكلام اللساني، أما الفونولوجيا فعلى العكس من  
ذلك لم تهتم في الصوت إلا بذلك الذي يؤدي وظيفة محددة في البنية اللغوية. <> (5)

(1) ينظر: المرجع السابق ، ص 94

(2) أندريه مارتنيه ، وظيفة الألسن و ديناميتها ، ص 143

(\*) أي مقابلة دوسوسير بين اللغة و الكلام.

(3) جر هارد هلبش ، تطور علم اللغة منذ 1970، ص 108

(4) أندريه مارتنيه ، وظيفة الألسن و ديناميتها ، ص 145

(5) جر هارد هلبش ، تاريخ علم اللغة الحديث ، ص 98

>> إن الصوت هو موضوع علم الأصوات ( الذي يعمل بمناهج العلوم الطبيعية بوجه خاص )، أمّا الفونيم فهو موضوع علم الفونولوجيا ( بوصفه فرعاً لغوياً محضاً ). و لا تتطابق الفونيمات بأية حال مع الأصوات و الحروف. و يمكن أن نوضح ( أي الفونيمات ) بشكل مجمل على النحو التالي:

Fallen – Fällén- Füllen

Band – Sand – Wand

( المعنى : سقط – قطع- ملأ )

( جزء – رمل – حائط )

تتفق كلتا السلسلتين في المثال صوتياً إلى حد بعيد ، و لكنها تختلف أساساً في المعنى : فهذا الفارق في المعنى ينبعث في كل مرة من صوت يختلف في كل كلمة من كلمات السلسلة . و تبعاً لذلك تقع الأصوات المختلفة في تقابل فونولوجي ، لذلك فهي فونيمات. << (1)

## 2- المدرسة القلوسماتية ( Glossématique ) :

اشتق العالم الدانماركي لويس هلمسيف مفهوم القلوسماتيك Glossématique من الكلمة الإغريقية غلوسة ( Glôssa ) التي تعني اللغة ، و تنطلق مدرسة هلمسيف من آراء سوسير حول اللغة في جعلها غاية في حد ذاتها.

و تُعرف أيضاً مدرسة هلمسيف " بالمدرسة النسقية " التي تصدر عن اللغة و داخل اللغة و لا تخرج عن دائرة اللغة . >> و تتجلى أيضاً تبعية الجلوسماتية للتجريبية المنطقية المتعلقة بنظرية المعرفة في التفريق بين " الشكل " و " المادة " ، و كذلك في الجدل حول

(1) المرجع السابق، ص 99

هذا التعريف الذي يتجاوز دي سوسير أيضا على نحو معين . فمادة اللغة تبدو فقط كتلة غير محددة لا تصير موجودة إلا من خلال " الشكل " اللغوي بذات المعرفة. << (1)

إن القلوسماتيك تنطلق من اللغة الملفوظة المعبر عنها و هدف اللسانيات هو وصف هذه اللغة ، و وصف علاقاتها و تحديدها. و يهدف هلمسليف إلى وضع نظرية تتصف بالشمولية و خالية من التناقض ، و بسيطة سهلة الإدراك.

و قد << تطلعت نظرية هيلمسلف Hjelmslev اللغوية ... إلى جبر باطني Immanent Agebra إلى لغة صيغت بشكل واضح من ملامح بديهية للمنطق الصوري. و يتجلى ذلك في افتراض معايير للنظرية اللغوية ، وهي وجهات نظر شكلية فقط للبساطة ( أي طلب أدنى حد من المصطلحات الأولية ) ، و اللاتناقض ، و الصحة ، و في التخلي عن إمكانية الاختبار التجريبي و تبرير البديهيات و الفروض الأساسية. و بهذه الطريقة وضع معيار مناسبة نظرية ما ( توافق النظرية مع خواص موضوعية للموضوع الموصوف و المفسر ) على الأقل تحت معيار البساطة و اللاتناقض إن لم تستبعد كلية. << (2)

>> و لا تتبع علم اللغة الخاص في مدرسة كوبنهاجن إلا أبنية الفونولوجيا و النحو و علاقتها بعضها ببعض، ... و على النقيض من علم اللغة العادي فإن الجلوسماتية تعد علم اللغة علما للتعبير ، و ليس علما للأصوات، و علما للمضمون ، و ليس علما للدلالة. << (3)

و مدرسة هلمسليف سارت على نهج سوسير ، فانتقد الدراسات اللسانية التي تهتم بالإجراءات غير اللسانية أمثال الدراسات التاريخية و الاجتماعية و الفلسفية حول اللغة. كما أنه اعتمد على مفاهيم دو سوسير ، و في مقدمة هذه المفاهيم نجد عرضه لثنائية

(1) جرهارد هلبش ، تطور علم اللغة منذ 1970 ، ص 113

(2) المرجع نفسه ، ص 113

(3) جرهارد هلبش ، تاريخ علم اللغة الحديث ، ص 108

>> الصورة و المادة (forme et substance)، و ثنائية اللغة و الكلام ، و مفهوم  
التزامن و غيرها. << (1)

بل إن نظرية هلمسليف >> ما هي إلا امتداد طبيعي لنظرية دو سوسير ، و بلورتها  
في قالب علمي ، و قد عد نفسه المتمم الحقيقي لأفكار هذا العلامة الذي أصبح يعرف  
بأب اللسانيات ، و بالفعل فقد نادى هلمسليف بما نادى به دو سوسير من قبل: وهو أن  
اللغة شكل و ليست مادة. << (2)

لكن هلمسليف لم يقف عند حدود إعادة أفكار دو سوسير ، أو حتى >> شرحها على  
الصورة التي وردت بها في ( C. L. G ) ، بل أضاف إليها ما ساهم في إثرائها و فصل  
في بسط مفاهيمها و دقق في عرضها و بيان وجاهتها بما كان يراه ضروريا لصياغة  
نظرية بنوية صارمة في اللسانيات. << (3)

و قد قادته اجتهادته هذه للتمييز بين **مستوى المحتوى و مستوى التعبير** ، أي أنه  
يفرق بين الأفكار و بين التعبير، و هو في تفريقه هذا إنما >> استبدل ... ثنائية الدال و  
المدلول بثنائية مستوى التعبير (Experssion Plane) و مستوى المحتوى (Content  
plane) و أكد أن اللغة تتكون من هذين المستويين اللذين تجمعهما علاقة تدعى العلامة  
اللغوية (Linguistic sign). << (4)

فالعلامة اللغوية عنده إذن هي توّحد بين مستوى التعبير و مستوى المحتوى، و قد  
جعل هلمسليف كلا من المستويين السابقين يخضعان إلى ثنائية تقابلية هي **الشكل و  
المادة**.

فمستوى التعبير ينقسم إلى :

- 
- (1) الطيب دبه ، مبادئ اللسانيات البنوية ( دراسة تحليلية إستمولوجية )، ص 117  
(2) أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور ، ص 161  
(3) الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية ( دراسة تحليلية إستمولوجية )، ص 117  
(4) أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ص 161

- مادة التعبير و شكل التعبير : و يقصد بمادة التعبير أو جوهر التعبير الأصوات اللغوية أو المادة الخام، أما شكل التعبير فهو عبارة عن قوالب تركيبية تصب فيها مادة التعبير، أي أن جوهر التعبير >> الجانب المادي الخالص ، و يمكن تشبيهه بنقطة الحبر أثناء الكتابة ، أمّا في النطق فيعني الموجات الصوتية الفيزيائية أي أنه يمثل الجانب المادي في عملية النطق ، أمّا شكل التعبير فهو الجانب التنظيمي للمادة الصوتية الخام أو هو الإمكانيات المتاحة التي تتحقق من تنظيم جوهر التعبير أو المادة الصوتية. << (1)

إن مادة التعبير شراكة بين اللغات الإنسانية جمعاء، فكل لغات العالم عبارة عن أصوات ، قبل كل شيء، >> إلا أن الطرق التي تتوافق فيها هذه الأصوات ، ضمن تنظيم اللغة ( أي شكل مستوى التعبير ) هي خاصة كل لغة، بتعبير آخر يحتوي مستوى التعبير على مادة تعبيرية صوتية يمكنها أن تكون مشتركة بين اللغات الطبيعية ، و على هذه المادة بالذات يظهر شكل التعبير و طرق استعماله في لغة معينة. << (2)

لكل لغة خواصها في تنظيم وحداتها اللسانية، أمّا مستوى المحتوى فينقسم بدوره إلى : شكل المحتوى و مادة المحتوى ( الجوهر )، >> يمثل شكل المحتوى المعنى أو المضمون، ... ويعني جوهر المحتوى الأفكار قبل أن تتحقق ، أي قبل أن توضع في نظام اللغة ، فمثلا فكرة عدم المعرفة تمثل جوهر المحتوى أمّا تنظيمها فإنه يختلف من لغة لأخرى ، فتمثل الفكرة بقولك " لا أعرف " مثلا إنما هو تنظيم للفكرة في هذه اللغة، ومن ثم فهذا هو الشكل الذي جاءت فيه الفكرة .<< (3)

و جوهر المحتوى بهذا المعنى أي ( الأفكار قبل أن تتحقق ) يبدو مفهوما مبهما، لأن الأفكار قبل أن تتحقق هي ( عَدَمٌ ) أي لا وجود لها، و في ذلك يقول سوسير: >> فلولاً اللغة

(1) محمود جاد الربّ ، علم اللغة نشأته و تطوره، دار المعارف، ط1، 1985، ص 118

(2) ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ و الأعلام ، ص 248

(3) محمود جاد الربّ، علم اللغة نشأته و تطوره ، ص 118

لأصبحت الفكرة شيئاً مبهماً، غير واضح المعالم. إذ لا توجد أفكار يسبق اللغة وجودها، و لا تتميز هذه الأفكار قبل ظهور اللغة. << (1)، فالإنسان يفكر باللغة.

### 3- البنيوية الوصفية الأمريكية :

سرعان ما اجتاحت التيار البنيوي الولايات المتحدة الأمريكية ، و << قد ساد هذا التيار في المدة الواقعة بين عامي 1930م و 1950. و يتسم المنهج البنيوي الذي ساد في ذلك الوقت بالنزعة التوزيعية distributionalism، و هي نزعة تعمل على توزيع الوحدات التركيبية إلى أجزائها و مكوناتها الصغرى.

و الحق أن هناك ثلاثة باحثين بارزين قاموا بإرساء دعائم اللسانيات الأمريكية و توجيهها الوجهة التي نعرفها اليوم وهم على التوالي : فرانز بوعز (Franz Boas) و إدوارد سابير (Edward Sapir) و ليونارد بلومفيلد (Leonard Bloomfield) ، و كان بوعز أول من وضع أسس اللسانيات الوصفية في الولايات المتحدة و ذلك في كتابه الذي أصدر سنة 1911 م تحت عنوان "دليل اللغات الهندية الأمريكية " (Handbook of American Indian Languages) ، و كان يرى أن المجتمع لا يمكن فهمه إلا من خلال ثقافته الخاصة التي تعكسها لغته، أما سابير فقد تأثر بمنهج بوعز الأنثروبولوجي في دراسة اللغة فانكب على دراسة اللغات الهندية الأمريكية على طول ساحل المحيط الهادي للولايات المتحدة الأمريكية، كما دعا إلى دراسة اللغة دراسة تحليلية تصنيفية دون إقحام أنماط من لغات أخرى. << (2)

هذا يعني أن سابير لم يكن مهتماً بما يسمى بـ " وجوه التشابه بين اللغات "، بل يرى أن لكل لغة خاصية تتفرد بها وتميزها عن غيرها . و لهذا تجب في دراسة لغة ما عدم إقحام "سمات " من لغات أخرى على أنها "كليات لغوية " .

(1) دو سوسير، علم اللغة العام، ص 131

(2) أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور ، ص 187

أما بلومفيلد فقد كان زعيم التيار الوصفي في الولايات المتحدة، ذلك التيار الذي أخذ مبادئه أول الأمر من اللسانيات البنيوية الأوروبية، و >> على النقيض من مدرسة كوبنهاجن لا ينطلق البنيويون الأمريكيون بشكل استدلالي من نظريات مجردة بل إنهم يعملون على الأقل في مرحلتهم الأولى، الوصفية - بشكل استقرائي واصف، و يصدرن عن اللغة المحسوسة ( الكلام ) . << (1)

لقد رَوَّج كتاب بلومفيلد "اللغة " للمنهج الوصفي الشكلي Descriptive Structural Approach في الولايات المتحدة، و قد لاقى هذا الاتجاه قبولا واسعا وقد تم إنجاز الكثير من الدراسات >> في وصف النظام الصوتي لعدد من اللغات الحديثة واستعملت لذلك الأجهزة الحديثة التي أصبحت متوافرة في هذا القرن. كما وُصِف النظام الصرفي ( أي التركيب الداخلي للمفردات) والنحوي (أي التركيب الداخلي للجمل) للعديد من اللغات وصفا تفصيليا في عدد من المؤلفات. << (2)

و الملاحظ في هذه الدراسات أنها لم تكن تنطلق من نفس مبدأ دو سوسير وهو أن موضوع الدراسة العلمية للسانيات هو اللغة Langue، بل جعلت الكلام المنطوق موضوع الدراسة العلمية لذلك استقرأت قواعد لتلك اللغات التي درستها وهي قواعد وصفية بحتة لا معيارية. فكل لغة يتكلم بها مجتمع معين تعد لغة صحيحة بغض النظر عن اللغة الأدبية. (3)

لقد جاء تشومسكي بمدرسة جديدة في علم اللغة تهدف إلى أبعد من وصف وتصنيف اللغة، تخالف الطريقة التقليدية للغوي عصره في المدارس البنيوية الثلاث الكبرى، وتسعى للكشف عن حقيقة تركيب الجمل.

و انطلق من تعريفه للنحو على أنه نظرية حول اللغة أو وصف لها، يجب أن يهدف إلى كشف بناها العميقة.

(1) جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ص 118

(2) نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 89

(3) المرجع نفسه، ص 89

خلافًا للسانيات الوصفية أو البنيوية الوصفية ، وعلم النفس السلوكي وغيرهما من التصورات اللغوية التي نظرت إلى اللغة على أنها مجموعة << من الأحداث أو المنطوقات >> (1) كما يقول تشومسكي ، نظر تشومسكي إلى اللغة الإنسانية على أنها جبل جيلدي ضخم يظهر جزء ضئيل منها أثناء الحدث الكلامي، في حين يظل الجزء الأعمق و الأضخم الذي يمثل الركيزة الأساسية التي يستند إليها الجزء الظاهر، يظل متواريا في الأعماق داخل الذهن /العقل البشري.

لقد عدّ بلومفيلد اللغة الإنسانية مجموعة من المنطوقات التي تتجسد في مواقف معينة، وهذه النظرة أثرت في اللغويين من عصره، و لذا فإن أفكار بلومفيلد و مقترحات زيلغ هاريس هي نماذج من اللغة المجسدة (E- language)، ذلك أنهما بحثا اللغة في بنيتها السطحية الملفوظة و حسب، و عداها صورة لسلوك يتجسد في موقف معين ، و من ثمة فالنحو عندهم بمثابة << مجموع صور العرض الوصفية الخاصة باللغة المجسدة، الخاصة بأحداث الكلام الفعلية أو الممكنة ( و لربما يكون جنبا إلى جنب مع وصف لسياق استخدام هذه الصور أو وصف لمضمونها الدلالي ). و قد يعد النحو – في لغة التعبير التقنوي – وظيفة سرد لعناصر اللغة المجسدة. و قد ينظر إلى النحو أحيانا بوصفه خاصية اللغة المجسدة... و تفهم اللغة المجسدة حينئذ على أنها مادة البحث الحقيقية. و أمّا النحو فهو فكرة اشتقاقية ، و اللغوي حر أن يختاره بطريقة أو أخرى لطالما أنه – أي النحو – يحدد هوية اللغة المجسدة. >> (2)

ما يعيبه تشومسكي على الوصفيين أنهم لو يولوا عنايتهم لما يقف خلف انتظام عناصر اللغة ضمن مواقف معينة، ولا أولوا عناية لمعرفة المتكلم بلغته، ولهذا جعلوا الكلام المنطوق مادة للبحث الجاد بغية الوصول إلى العلمية في دراساتهم.

(1) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية، طبيعتها و أصولها و استخدامها، ص 77- 78

(2) المصدر نفسه ، ص 78 - 79



أما النحو وهو تلك الشبكة العميقة المعقدة التي إليها يعود الفضل في تحديد هوية اللغة فقد أُهمل بشكل تعسفي . ولذا جاءت نظرية النحو الكلي و قبلها النظرية التوليدية التحويلية لسد الفجوة التي خلفها الوصفيون البنيويون.

و بالنسبة للنحو الكلي و بمقدار إن اعترف بجدوى هذا اللون من الدراسة، قد تتكون هذه النظرية من قضايا تتسم بالصدق بالنظر إلى كثير من اللغات الإنسانية جميعها، و هذه القضايا قد تكون قائمة على شروط تتطابق معها اللغات المجسدة التي يُنظر إليها على أنها لغات إنسانية. إنّما يبدو أنّ هناك من ينكر الجدوى من هذا المشروع أمثال مارتن جوز Martin Joos - على سبيل المثال- الذي قدم ما سماه بـ " وجهة النظر البوسية " Boasian View وهي أنّ اللغات تختلف عن بعض دونما حدود وبطرق شتى لا يمكن التنبؤ بها ، مردداً بذلك ما أشار إليه ويتي William Dwight Whitney " من التنوع اللانهائي للكلام الإنساني " ، و فكرة سابير عن أن " اللغة نشاط إنساني يتنوع بلا حدود يمكن تعيينها ". ورغم أن هذه القضايا لا تكاد أن تكون قد قُصدت حرفياً، إلا أنها تعبر عن اندفاع نسبي شوّه سمعة دراسة النحو الكلي. (1)

إن آراء اللسانيين الثلاثة لم ترقّ تشومسكي، فهو لا يسلم بالتنوع اللانهائي و اللامحدود بين اللغات الإنسانية ، فهي رغم تباينها و تمايزها إلا أنّها تحمل الكثير من وجوه التشابه التي تجعلها تلتقي في أكثر من موضع.

>> و كان ممّا يُفترض بصورة عامة أنّ أفكارا كالموضوع topic و المحمول comment أو الفاعل subject و المسند predicate هي خصائص عالمية للغة. تعكس حقيقة أن الجملة الخبرية تدور حول شيء ما تسند إليه شيئاً آخر. و قام جرينبرج Joseph Greenberg و آخرون - فيما بعد - ببحوث هامة في العمليات اللغوية أدت إلى تعميمات كثيرة تتطلب تفسيراً. ومنها على سبيل المثال حقيقة أنّ اللغة إذا كان نظامها:

(1) يُنظر: المصدر السابق ، ص 79

الفاعل ثم المفعول به ثم الفعل فإنها تميل إلى تملك حروف الجر اللاحقة  
Postpositions بدلا من حروف الجر Prepositions و هكذا. << (1)

كان علم اللغة قبل تشومسكي يهتم بالجانب المنطوق الظاهري من اللغة، بينما  
اهتم هو بالجانب الضمني الباطني، و يُسمى ذلك الجانب الضمني **باللغة المبنية داخليا**  
**Internalized Language** في حين يطلق على الجانب الظاهري من اللغة **باللغة**  
**المجسدة Externalized Language** .

>> و اللغة المجسدة التي كانت مادة الدراسة في معظم النحو التقليدي أو البنيوي أو  
علم النفس السلوكي تعد الآن في أحسن الأحوال ظاهرة ثانوية. << (2) ، و هي تنتج عن  
و من تدفق اللغة المبنية داخليا. إن اللغة المجسدة غير مستقلة بذاتها عن اللغة الداخلية. و  
لذا فاللسانيات التشومسكية تهدف لدراسة اللغة الداخلية بعدها الظاهرة الأولى. في حين إنه  
من الملائم لبعض التخصصات دراسة اللغة المجسدة، و هو أمر لا يتناسب و الأهداف التي  
يقترحها تشومسكي .

و رغم ذلك فإن الطريقة الوحيدة التي تمكننا من دراسة اللغة المبنية داخليا هي اللغة  
المجسدة، لأنها لغة مرئية Visible.

(1) المصدر السابق ، ص 80

(2) المصدر نفسه، ص 85

## ب - النحو العربي

لم يكن البنيويون وحدهم من صبّ اهتمامهم على اللغة المجسدة، فالنحاة العرب القدامى كانوا وصفيين أيضاً وقد نشأ النحو العربي وظيفياً، يصف المنطوق ويسن قواعد لضبط ألسنة الناس من اللحن و التصحيف و التحريف.

غير أن عبد الجليل مرتاض يحتز من عبارة ( نشوء النحو العربي) هذه، لأن النحو العربي بمعناه العملي و التطبيقي قد نشأ مع اللغة العربية منذ بداياتها الغائرة في عمق التاريخ ؛ التي يصعب على الدارسين النفاذ إليها، و قد ظل هذا النحو يلازم العربية يتطور بتطورها و يركد بركودها<sup>(1)</sup>، و لذا فالباحث اللغوي عندما يتحدث عن بدايات للنحو فهو إنما يتحدث عن بدايات نشوء درس النحو و ليس النحو ذاته. أي بداياته كعلم قائم بذاته له موضوعه و إجراءاته و رواده.

لم يعنَ النحو العربي بالشبكة المعقدة التي تقف خلف نتاج ذلك المنطوق اللهم ما نجده عند عبد القاهر الجرجاني من اهتمام بتلك الشبكة في تحليلاته لنظرية النظم، فهو كما أسلفنا الذكر وقف كثيراً عند مفهوم البنية العميقة دلالة ومعنى في مواقف عديدة في كتابه " دلائل الإعجاز " ، إلا أنه لم يوظف مصطلح البنية العميقة عنده بهذا اللفظ، وهذا لا يعد قصوراً منه فلكل نظرية مصطلحاتها الخاصة التي يبتدعها صاحبها.

كان درس النحوي العربي بصري المنشأ، كوفي النمو و النضج ، ثم امتد للشام و المغرب العربي ليبحر عبر مضيق جبل طارق إلى الأندلس .

كانت >> انطلاقة الأولى على يد الإمام علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه، حينما عهد إلى أبي الأسود الدؤلي أن ينحو نحوه، فوضع أبو الأسود منه الأصول الأولى ، و تابع تلامذته النبهاء عمله ، مثل عنيسة الفيل، وميمون الأقون ، و نصر بن عاصم ، ثم جاء ابن أبي إسحاق الحضرمي . ففتق أزهاره ، وشرح عله . و مد قياسه.

(1) ينظر : عبد الجليل مرتاض ، بواذر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، مؤسسة الأشرف للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 1988، بيروت ( لبنان) ، ص99

و يأتي دور أبي عمرو بن العلاء ليوضح الأواصر بين اللغة و النحو ، و يوثق الصلات بين أوجه القراءات القرآنية ، و سماع العرب و بين القواعد النحوية. << (1)

يخبرنا ابن خلدون في كتابه " العبر " المعروف بالمقدمة كيف نشأ النحو العربي، فيقول أن العرب <<... استنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة المطردة شبه الكليات و القواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام. ويلحقون الأشباه منها بالأشباه ، مثل أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب و المبتدأ مرفوع. ثم رأوا تغيير الدلالة بتغيير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعرابا ، و تسمية الموجب لذلك التغيير عاملا، و أمثال ذلك.

وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدها بالكتاب، و جعلوها صناعة لهم مخصوصة، و اصطلحوا على تسميتها بعلم النحو.>> (2)

>> فالنحو العربي هو المستنبط من كلام العرب الذي تتبعه النحويون بالاستقراء ثم قاسوا عليه كلامهم .>> (3)

إن المنهج الاستقرائي كان السبيل الأنجح في توصلهم لوضع تلك القواعد و الأحكام و ذلك بدءا مع أبي الأسود الدؤلي نفسه، يقول ابن خلدون: << و أول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، و يقال: بإشارة علي رضي الله عنه، لأنه رأى تغيير الملكة فأشار عليه بحفظها، ففرع إلى ضبطها بالقوانين الحاصرة المستقرأة. >> (4)

و كان الأوائل يسمون " النحو " بـ " العربية "، حيث روت كتب الأدب و التراجم في التراث العربي أنّ القدماء أمثال ابن سلام الجمحي في طبقاته، و المبرد في كامله، و ابن

(1) محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق و المغرب، دار الكتب العلمية، ط 1 ( 1996 ) ، ط 2 ( 2008 ) ، بيروت ، لبنان، ص 19

(2) ابن خلدون ، المقدمة ، ج 2 ، ص 368 - 369

(3) جنان التميمي ، النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة ، دار الفارابي ، ط 1 ، 2013 ، بيروت ( لبنان ) ، ص

13 - 14

(4) ابن خلدون ، المقدمة ، ج 2 ، ص 369

قتيبة في معارفه كانوا يطلقون على علم النحو بـ " العربية " في عصر أبي الأسود  
الدؤلي . (1)

و قد نشأ الدرس النحوي العربي في بداية الأمر بسيطاً يسيراً لحماية اللغة العربية  
من وباء اللحن الذي رُزئت به باعتناق الأعاجم للإسلام (2) ، و دخولهم لبلاد العرب التي  
كانت قبل الإسلام منزوية في ركنها في شبه الجزيرة العربية ، بعيدة عن الحضارات  
الكبرى في ذلك الزمان، كالحضارة الفارسية و الرومانية. >> فوضع أبو الأسود منه ما  
أدركه عقله ، و نفذ إليه تفكيره، ثم أقرّه الإمام على وضعه ، و أشار عليه أن يقتفيه ، فقام  
بما عُهد إليه خير قيام ، ولم يهتد ببحث العلماء إلى يقين فيما وضعه أبو الأسود أولاً على  
سلف تفصيلاً ، وكانت هذه النهضة الميمونة بالبصرة التي كان بأهلها ميلاً بالطبيعة إلى  
الاستفادة من هذا الفن اتقاء لوباء اللحن الزاري بصاحبها ، و بخاصة الموالى الذين كانوا  
أحوج الناس حينذاك إلى تلقي هذا العلم رغبة منهم في تقويم لسانهم و تخليصه من رطانة  
العجمة ، وحباً في معرفة لغة الدين الذي اعتنقوه ، وطمعاً في رفع قدرهم بين  
العرب <<. (3)

و يوضح العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي لمّا سُئل عن العلل التي يعتل بها في  
النحو إن كان أخذها عن العرب أم اخترعها من عنده ، يوضح أنّ العرب نطقت على  
سجيتها وطباعها و إنّما توّصل إليها هو من خلال استقرائه لها فيقول أنه اعتلّ بما عنده  
على أنه علّة لها. (4)

اعتمد النحاة العرب القدامى شأن الوصفيين الأمريكيين على السماع ، أو على  
الاستماع إلى الكلام المنطوق ذلك أن الدراسات اللغوية تنشأ >> من تأملات يسيرة في اللغة

(1) ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ط2 ، القاهرة ، ص 32.  
(2) للتوسع في موضوع بوادير ظهور اللحن عند العرب ينظر : عبد الجليل مرتاض ، بوادير الحركة اللسانية الأولى عند  
العرب، من 68 – 96.

(3) محمد الطنطاوي ، نشأة النحو العربي و تاريخ أشهر النحاة، ص 34

(4) ينظر : جنان التميمي ، النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة ، ص 14

المحكية، ثم تتسع مداها على الأيام فتنتقل من التأمّلات إلى الملاحظات ، فالاستقراء ،  
فوضع القاعدات و الأصول.>> (1)

ومثلما يرى محمد خير الحلواني فهذا العمل ليس بهيّن إذ يحتاج إلى زمن غير  
قصير ينكبّ فيه اللغوي على جمع المادة اللغوية، ثم تصنيفها وتقسيم الرقعة المكانية التي  
يدرسها إلى مناطق فصيحة و أخرى دونها (2)، وفي كل ما يجمعه يعتمد على اللغة  
المنطوقة بالدرجة الأولى.

>> لا شك أن النحاة وصلوا إلى القواعد العامة من ملاحظاتهم اليسيرة لتراكيب اللغة،  
فقد اهتموا إلى قوانين المرفوعات ، كالفاعل ، و المبتدأ ، و الخبر، و قوانين المنصوبات  
كالمفعولات، و الحال ، و التمييز، و قوانين الاسم المجرور بالحرف، أو بالإضافة ، اهتموا  
إليها من الملاحظات الأولى في مرحلة النشأة . >> (3)

إلا أن هذه الملاحظات يجب أن لا تغرق في التأويلات الظنية و إلا فهي تعد نوعاً من  
الفسطحة كما يقول محمد عيد الذي وصف بعض تعليقات ابن يعيش بالكاذبة. (4)

و قد مرّ النحو العربي بأربعة أطوار >> طور الوضع و التكوين ( بصري ) ، طور  
النشوء و النمو ( بصري كوفي ) ، طور النضج و الكمال ( بصري كوفي ) ، طور  
الترجيح و البسط في التصنيف ( بغدادي و أندلسي و مصري و شامي).

على أنه ليس في الاستطاعة وضع حد توقيتي ينفصل به كل طور عما يسبقه أو  
يعقبه ، فإن الأطوار لا بد من تداخلها و سريان بعض أحكام سابقها على لاحقها ، كما أنه  
لا مناص من تسرب شيء مما في تاليها على بادئها. >> (5)

(1) محمد خير الحلواني ، أصول النحو العربي ، الناشر الأطلسي ، ط 2 ، 1981 ، الرباط ، ص 15 ، و ينظر : أحمد  
نحلة، أصول النحو العربي ، دار العلوم العربية ، ط 1 ، بيروت ( لبنان ) ، 1987 ، ص 31 – 32

(2) محمد خير الحلواني ، أصول النحو العربي ، ص 15

(3) المرجع نفسه ، ص 16

(4) ينظر : عيد محمد ، أصول النحو العربي في نظر النحاة و رأي ابن مضاء و ضوء علم اللغة الحديث ، عالم الكتب ،  
ط 4 ، 1989 ، ص 114

(5) محمد الطنطاوي، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة ، ص 36

الملاحظ لجهود العرب اللغوية يجدها لا تختلف كثيرا عن جهود البنيويين الأمريكيين

في دراسة لغات الهنود الحمر، إذ اعتمدوا على المنهج نفسه القائم على السماع و وصف اللغة المنطوقة المجسدة وسن قواعد نحوية وصفية لها ، لكن هذا المنهج الوصفي سرعان ما صار معياريا، أي أنّ النحو العربي نشأ وصفيا ثم استحال معياريا تقعيديا يُلزم الاحتكام إلى القاعدة احتكاما مجحفا في كثيرا من الأحيان.

و المنهج المعياري منهج تقيدي خائق، ذلك أنه >> بخلاف المنهج الوصفي قائم على فرض القاعدة أي يبدأ بالكليات و ينتهي إلى الجزئيات. و لما كان المنهج الوصفي منهجا استقرائيا يعتمد المادة اللغوية أساسا لاحظنا أن المنهج المعياري يعتمد القاعدة أساسا و ينأى عن الوصف و يتأول لما خرج عن القواعد التي يصوغها بإحكام شتى التأويلات، أو يحكم عليها بالشذوذ و القلة إن لم يجد فيها تأويلا مناسباً و لو كان بعيداً أو مستغرباً. << (1)

و من مظاهر المنهج المعياري في النحو العربي القديم ، ما يلي :

- 1- الأخذ من بعض القبائل و اللهجات و ترك قبائل و لهجات أخرى، و خاصة ما يتعلق بالمفردات و التصريف و التركيب. و أكثر القبائل التي أخذ عنها : قيس، تميم و أسد ثم هذيل و بعض كنانة ، و بعض الطائيين أيضا.
- 2- إدخال بعض المناهج التي عرفت التقسيم و التحديد على البحث اللغوي، و منها منهج علوم الحديث في بعض اصطلاحاته كالضعيف و المنكر و المتروك. فالضعيف عندهم هو الذي لم يرقَ لمدارج الفصحح، و المنكر هو الأقل استعمالاً أما المتروك فهو القديم الذي هُجر و لم يعد مستعملاً إطلاقاً.
- 3- تقسيمهم الكلام إلى مطرد و شاذ.
- 4- التقدير و الافتراض ، و نعني بها تقدير جمل و افتراضها على أساس توجيه الكلمات المتضمنة فيها توجيهها إعرابيا تفقد بموجبه الجملة أو الجمل تكافأها

(1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث " دراسات "، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة و الإعلام ، آفاق عربية ، ط1 ، 1986 م ، بغداد، ص 23

الدلالي. و تخرج من حيز المعقول و المفهوم إلى حيز اللا معقول و اللا مفهوم فتستحيل بذلك أنماطاً من الكلمات رتبت ترتيباً معتمداً لفرض الإعراب فتختلط على أذهان السامعين.

5- استعمال بعض القضايا في الشعر مخالفة للقواعد التي قررها النحاة، كالضرورات الشعرية المعروفة من جر الساكن و تسهيل الهمز أو همز كلمة و نحوها. (1)

من أمثلة التقدير على سبيل المثال لا الحصر ، تقديرهم الخبر للاسم المرفوع أو

الضمير الذي يأتي بعد " لولا" الشرطية (2)، نحو قوله تعالى: >> **لَوْلَا أَنَّهُ لَكُنَّا**

**مُؤْمِنِينَ**<< (3)، فأنتم – حسب النحاة – ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل

رفع مبتدأ، و اللام في ( لَكُنَّا) رابطة لجواب الشرط لا محل لها من الإعراب، " كُنَّا"

فعل ماض ناقص مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك " نا"، و " نا"

التي تمثل ضمير جماعة المتكلمين، ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع اسم

كان، و " مؤمنين " خبر كان منصوب و علامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم. و

لكنّ جملة " لَكُنَّا مؤمنين " جملة جواب شرط غير جازم لا محل لها من الإعراب،

بقي للنحاة الآن تحديد خبر الضمير " أنتم"، فيقدرونه بـ " موجودون " على أنه خبر

محذوف .

لقد طغى المنهج المعياري في الدراسات النحوية المتأخرة خاصة تلك التي كانت

في أغلبها جمع و شرح و تصنيف لما جاء عند النحاة المتقدمين، فبعد سيبويه و كتابه لم

يضيف المتأخرون شيئاً عظيم الشأن ، >> سوى تفريعات جزئية ، لا تمس هيكل الصرح

الشامخ، الذي وضع الخليل تصميماته الهندسية، و قام سيبويه بتشبيده ، و كل من جاء بعده،

(1) ينظر: المرجع السابق ، ص 30

(2) ينظر: ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى و بل الصدى، تح: محمد خير طعمة حلي، دار المعرفة للطباعة و

النشر، ط1، 2001، بيروت، ص 211- 213

(3) سورة سبأ، الآية 31



لم يستطع سوى وضع لمسات تكميلية، كإضافات فرعية، أو اعتراضات على بعض التراكيب الثانوية، أو تبديل المصطلحات الاسمية أو الاختيارات التعليلية. << (1)

و الحقيقية أنّ أزمة النحو العربي ليست حديثة الميلاد، بل اقترنت بظهور النحو ، فكثيرا ما تدمر الشعراء من مسائل النحو المعقدة و من قيود النحاة الصارمة التي كبلت جموح إبداعهم ، و حكاية دِمَاذ أبو غسان صاحب أبي عبيدة معروفة في كتب التراث، فدماذ هذا أرهق نفسه في دراسة مسائل النحو إلى أن وقف عند باب " الواو - و الفاء " (2) اللتين يجيء بعدهما فعل مضارع منصوب ، فقَدَّر النحاة أن هناك " أن مضمرة " بعد ( الفاء السببية) و (واو المعية) ، هي التي قامت بنصب الفعلين ، نحو:

- لا تكذبُ فتندم

- لم أمرك بالمعروف و أعرض عنه .

وهذه القضايا كلها في رأي تشومسكي " نحو تقليدي معياري " على باحث اللسانيات تجاوزه.

وقد تجاوز - فعلا - اللسانيون في الغرب هذا النوع من الدراسات و قدموا إسهامات و أعمال تصب في مجال النحو الكلي، تهتم بما يجمع بين اللغات الإنسانية من نقاط تشابه كنظرية الملامح المميزة في الفونولوجيا التي وضعها اللغوي الروسي رومان جاكبسون، و التي تتكون من اثنتي عشرة سمة فونولوجية يمكن لكل اللغات الإنسانية أن تستقي منها ما يناسبها .

كما ظهر من الدارسين العرب من نادى بضرورة تجديد النحو العربي و تخليصه من القيود الفلسفية العميقة، >> و بحكم اتصال العالم العربي بالثقافة الغربية، تأثرت الدراسات العلمية و المناهج الجامعية بمذاهب نحوية جديدة ، كان من أشهرها نظريات همبولت و دي سوسير و إدوارد سابير و بلومفيلد و تشومسكي و قد دفعت هذه النظريات بعض النحويين

(1) محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو في المشرق و المغرب ، ص 19

(2) ينظر: أخبار النحويين و البصريين للسيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان، ت: طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم خفاجي ، دار النشر، مصطفى البابي الحلبي، 1966م، ص 60

العرب المعاصرين إلى تقبل بعض هذه الآراء. و محاولة تطبيقها على النحو العربي. فجاءت أعمال عبده الراجحي، و تمام حسان و إبراهيم أنيس، متأثرة بهذه النظريات في حدود متفاوتة، و من أهم ما أبانه هذا النهج الجديد ، اكتشاف الباحثين أن علماء النحو العربي الأوائل قاموا ببحوث و استنباطات مثيرة في علوم اللغة ، فملاحظات الخليل ، و أمثلة سيبويه و نظريات ابن جني و الجرجاني و الفخر الرازي يمكن اعتبارها آراء رائدة في مجال ما يسمى اليوم بعلم اللسانيات الحديث . << (1)

و لا ننسى جهود جنان التميمي في كتابها " النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة " .

كما سعت جهود الباحث المغربي محمد الأرواغي و غيره من اللغويين المغاربة إلى إنشاء مدرسة لغوية حديثة تستقي مبادئها من التراث اللغوي العربي معتمدة في الوقت ذاته على إجراءات اللسانيات الحديثة.

---

(1) محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق و المغرب ، ص 21

## ثانيا : اللغة المبنية داخليا Internalized Language

### أ- البنية الذهنية الداخلية للغة

من اللغويين الذين آمنوا بوجود بنية ما في ذهن المتكلم توجهه في صياغة جملة اللغوي "يسبرسن Otto Jespersen"، و يطلق تشومسكي على هذه البنية اللغة المبنية داخليا Internalized language، و يُعدها عنصرا مهما من عناصر عقل المتكلم المستمع الذي يعرف اللغة، و إذا كان للغة جانب داخلي، فإن النحو حينئذ هو نظرية عن اللغة المبنية داخليا، وهذا هو الموضوع الذي يجب إثارته حسب رأيه.<sup>(1)</sup>

إن معرفة المتكلم للغة [L] مثلما يرمز لها تشومسكي، يقتضي بالضرورة أن هذا المتكلم أو الشخص [H] لديه بنية ما في عقله، وهذه البنية هي ملكة اللغة و هي جزء لا يتجزأ من النظام المعقد للذهن البشري يُرمز لها بـ (S<sub>L</sub>).

يفترض تشومسكي وجود علاقة يرمز لها بـ [R] تربط بين الشخص [H] و اللغة [L] وتنتمي كل من العلاقة [R] و اللغة [L] إلى ما يسميه تشومسكي بنظرية العقل و التي سوف تكون أحد أهداف علوم الذكاء.<sup>(2)</sup>

يقول تشومسكي : >> و من الطبيعي أن نأخذ الـ "L" على أنها اللغة المبنية داخليا، على أنها فكرة البنية عند يسبرسن، ناظرين إلى هذه اللغة على أنها كينونة تم تجريدها عن ملكة اللغة التي هي مكون واحد من العقل، و لهذا فمعنى أن يعرف الشخص H اللغة L أن يكون لديه لغة معينة مبنية داخليا.

وقضايا النحو هي قضايا نظرية العقل حول اللغة المبنية داخليا ومن ثم هي قضايا حول بنى الدماغ/الذكاء Brain . <<<sup>(1)</sup>

(1) ينظر : نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها ، ص 80

(2) ينظر : المصدر نفسه ، ص 81

معنى هذا أن النحو يجب أن يهتم بذلك الجانب الداخلي من النظام اللغوي، ويرمز تشومسكي لقضايا النحو بالرمز  $R(H, L)$  وهذا يعني أن النظرية النحوية ينبغي عليها أن تهتم بالعلاقة التجريدية التي تربط بين المتكلم و اللغة، و من هنا >> يُفهم النحو الكلي حينئذ على أنه نظرية اللغات الإنسانية المبنية داخليا، على أنه نظام من القيود مستقى من الموهبة البيولوجية الإنسانية التي تحدد هوية اللغات المبنية داخليا التي يمكن الوصول إليها إنسانيا تحت الظروف العادية. و هذه هي اللغات المبنية داخليا  $L$  ، بحيث يمكن أن تكون العلاقة  $R(H, L)$  حقيقة ( بالنسبة للشخص العادي  $H$  في الظروف الطبيعية ) <<. (2)

بنشره لكتابه " البنى التركيبية " وضع تشومسكي الانطلاقة الأولى لتغيير موضوع الدراسة اللغوية من اللغة المجسدة إلى اللغة المبنية داخليا حيث أحدث انقلابا واسعا في أواخر الخمسينات في مجال اللسانيات.

إذا كانت البنيوية قد اعتمدت على تحليل الكلام دون أن تلتفت إلى كيفية حدوثه و إدراكه من قبل المتكلمين فإن تشومسكي قد تجاوز هذا التحليل . ذلك أن اللغة ليست مجرد ظواهر لغوية محضة، بل هي أيضا ظواهر ذهنية نفسية في الآن ذاته، ولذا يجب على الدراسة اللسانية أن تمنح كل جانب قسطه من العناية و البحث. (3)

وقد أفرزت نظرية العامل و الربط العائلي العديد من المبادئ و القوالب لتحليل الظواهر اللغوية، وهذه النظرية تعد من أهم النماذج التي توصلت إليها اللسانيات التوليدية ، وبهذا انتقل الاهتمام من دراسة اللغة كمعطى واقعي إلى مبادئ عامة يقدمها النحو. (4)

إن تغير طبيعة موضوع الدراسة اللسانية - من السلوك اللفظي الذي تحدده المواقف المتنوعة إلى النظام الذهني الكامن وراء الإنجاز الفعلي للغة - مهّد الطريق لظهور العديد من المفاهيم و المصطلحات و الإجراءات الجديدة في مجال اللسانيات كمصطلحات :

(1) المصدر السابق، ص 81

(2) المصدر نفسه ، ص 82

(3) ينظر : خولة طالبي الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، ص 104

(4) ينظر : مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأندوني، ص 297

الكفاءة اللغوية، الأداء الكلامي، البنية العميقة و البنية السطحية، المعرفة اللغوية و الملكة اللغوية و العديد من النظريات الفرعية التي كانت ذات جهاز مفاهيمي ضخم كنظرية ( X-bar ) ونظرية النحو الكلي.

لقد استبعد تشومسكي المتن (Data) الذي يقدمه المتكلم و استبدله بحدس المتكلمين الذين يصدرن أحكاما على ما يسمعونه من خلال معرفتهم باللغة، >> إن هذه الأحكام تعكس معرفة ضمنية بما يتوافر عليه كل واحد منهم من دراية نسبية باللغة التي يتكلمها. و الرجوع إلى حدس المتكلم يُمكن من تجاوز محدودية المتون المعتمدة في التحليل اللساني البنيوي ، كما يساعد على كشف الغموض الوارد في التراكيب و أوجه التشابه و الاختلاف بين البنيات التركيبية . << (1)

فالتركيب التالي:

- حضر المعلم اليوم متأخرا .

يتشابه مع التركيب:

- حضر العامل اليوم متأخرا.

لكن عنصر التوليد قام بدوره في استبدال كلمة ( المعلم ) بـ ( العامل)، بينما يسهم عنصر التحويل في تحويل هذه الجمل من جمل مثبتة إلى جمل منفية:

- لم يحضر المعلم اليوم متأخرا .

- لم يحضر العامل متأخرا

أو تحويلها إلى جمل استفهامية على النحو التالي:

- هل حضر المعلم اليوم متأخرا؟

- هل حضر العامل اليوم متأخرا؟

(1) المرجع السابق ، ص 298

وهذه الجمل تمر في ذهن المتكلم على عدة مراحل، تنتقل عبرها من مكون إلى مكون آخر حتى تنتقل بعدها إلى المكون التركيبي المسؤول عن إخراج الجمل سليمة دون أخطاء نحوية.

و >> المفروض في النحو / النظرية أن يدرس كل الجمل النحوية الغائبة و الحاضرة على حد سواء، و بالأهمية نفسها. إن الشمولية التي يجب السعي إلى تحقيقها لا تتأتى باعتماد المتن اللغوي أيا كانت درجة ومستوى اتساعه و شموليته كما و كيفا، بل بواسطة حدس المتكلم – المستمع الذي يتيح الوصول إلى معرفة دقيقة و شاملة بالملكة اللغوية عند الأفراد ، وهي مجموع القواعد التي يتوافقون عليها ضمنيا بطريقة واعية أو غير واعية. إن هدف النحو بمعناه العام و الخاص تصوير حدس المتكلم بشكل دقيق و صادق لهذه المعرفة التي تجعل كل فرد متكلم – مستمع قادرا على إنتاج الجمل و تأويلها من جهة، و على التمييز بين ما ينتمي للغة المدروسة من جمل وما لا ينتمي إليها. << (1)

إن الحدس هو الذي يمكننا من معرفة أنّ جملة ما مقبولة نحويا و دلاليا ويمكننا أيضا من تمييزها عن غيرها من الجمل غير المقبولة، فالعربي الذي نطق على السليقة في القديم يدرك بحدسه أنّ الجمل ( 1 ) و ( 2 ) و ( 3 ) صحيحة بينما ( 4 ) غير صحيحة.

1- يتألق البدر في كبد السماء منيرا

2- في كبد السماء يتألق البدر منيرا.

3- البدر يتألق في كبد السماء منيرا

4- منيرا كبد البدر في يتألق السماء.

و الحدس هو القدرة Capacity على >> الفهم غير المستمدة من التفكير الواعي و لا من التصور الواضح الدقيق، كمفهوم الكفاءة اللغوية مثلا الذي يسمح لمكلمي لغة معينة بالاستخدام الصحيح لقواعد لغتهم ضمنيا، أو تكلم لغتهم دون الوقوع في الأخطاء، إلا أنهم

(1) المرجع السابق ، ص 32.

غالبا ما يكونون غير قادرين على تفسير ذلك أو تحديد هوية القواعد التي يتضمنها كلامهم، أو تحديد لمّ جملهم صحيحة قواعديا؟ و كيف وصلوا إلى تلك الصورة المعينة من الأشكال اللغوية؟ أو هو القدرة على الفهم بطريقة عامة بتجاوز الوعي و الخصائص الإدراكية الواضحة. << (1)

كما يسمح الحدس أيضا لمتكلمي اللغة بفهم الجمل الضمنية في بعض المواقف حتى و إن لم يلفظها صاحبها، كأن يصل طالب متأخرٌ عن محاضرة ما، فيستأذن وهو واقف عند الباب للدخول، فيرد عليه الأستاذ قائلا: " أغلق الباب"، فالأستاذ إذن اختصر كلامه الضمني المتمثل في: " لا ، لن تدخل. أغلق الباب و انصرف " بقوله: " أغلق الباب". و حدس المستمع سيمكنه من استيعاب هذا الرّد الضمني.

و بالعودة إلى أهمية النحو يرى تشومسكي أنه >> لا ينبغي أن يكتفي النحو / النظرية بتحليل الجوانب المتعلقة بنحوية الجمل Grammaticalité و لا نحويتها Agrammaticalité فقط، و لكن عليه أيضا أن يقدم التفسير الكامل و الواضح للنشاط اللغوي الذي يبذله الفرد المتكلم. << (2)

و من ثم فإن دور النحو إضافة على معرفة كيفية إنتاج الجمل و تأويلها، عليه أن يقدم تفسيرات و شروحات لازمة لوجود الجمل غير النحوية، فضلا عن تبيان طبيعة الانحرافات الواقعة و الخرق الحاصل.

تأمل النماذج التالية (3) :

---

(1) David Mastsumoto, The Cambridge Dictionary Psychology, Cambridge university press, The united state of America, New York, First Edition, 2009 , p.266

و ينظر: خليل أحمد عمارة ، في نحو اللغة و تراكييها ، دراسات و آراء في ضوء علم اللغة المعاصر ( منهج و تطبيق)، دار المعرفة للنشر و التوزيع، ط1، 1984م، جدة، ص 60. و ينظر: شفيقة العلوي ، محاضرات في المدراس اللسانية المعاصرة، ص 51

(2) مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي ، ص 32

(3) المرجع نفسه ، ص 33

الجملة	طبيعة الخرق
1- يهطل الشرطي	عدم التلاؤم الدلالي بين الفعل و فاعله
2- موت الصياد الأرنب	عدم التلاؤم الصرفي و الدلالي بين الفعل و الفاعل
3- الناس الورد يجمعون	عدم احترام الرتبة

لقد لامس هذا التحول في طبيعة موضوع الدراسة اللسانية في النحو التوليدي و الكلي العديد من الزوايا التي أهملتها أنحاء المدارس السابقة ، و في ذلك يرى تشومسكي :

>> أنّ دراسة النحو التحويلي حولت مركز الاهتمام من السلوك الفعلي أو الممكن من نتائج السلوك إلى دراسة نظام المعرفة التي تكمن وراء استخدام وفهم اللغة. وبصورة أكثر عمقا حولت هذه الدراسة مركز الاهتمام إلى الموهبة الفطرية التي تجعل من الممكن للبشر أن يُحصّلوا مثل هذه المعرفة. و كان التحول في الاهتمام تحولا من دراسة اللغة المجسدة إلى دراسة اللغة المبنية داخليا، من دراسة اللغة التي تعد موضوعا مجسدا إلى دراسة نظام معرفة اللغة المُحصّلة و الممثلة في العقل / الدماغ .

و النحو التحويلي ليس قائمة من القضايا خاصة بموضوعات مجسدة مؤلفة بصورة ما. بل يدعي بالأحرى أن يصور بالضبط ما يعرفه المرء عندما يعرف اللغة، أي ما قد عُرف كشيء كملته المبادئ الفطرية. و النحو الكلي هو تحديد لهذه المبادئ الفطرية المحددة بيولوجيا. << (1)

(1) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها ، ص 83 - 84



ومن هنا فإن المعرفة اللغوية تنشأ من المبادئ الفطرية أو حالة أولية يشترك فيها جميع البشر An initial state ، يرمز لها تشومسكي بـ  $S_0$  وهذه الحالة الأولية هي ما يطلق عليه بالنحو الكلي.

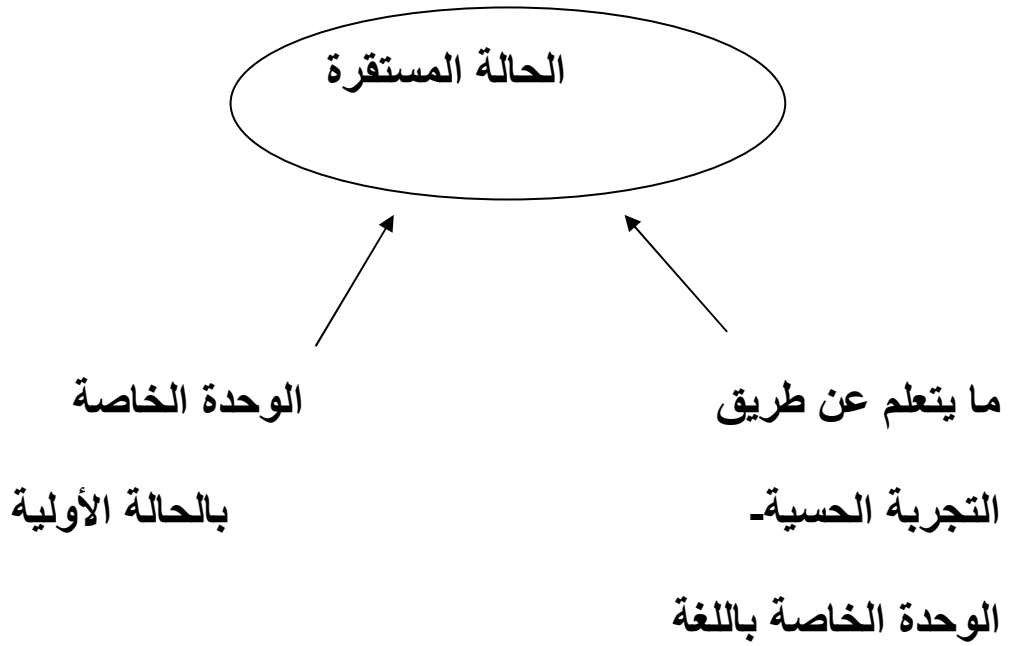
حينما تتعرض الحالة الأولية للتجربة الحسية تتحول بذلك إلى حالة مستقرة a steady state يرمز لها بـ  $S_s$  وهذه الحالة المستقرة تتضمن لغة مبنية داخليا. و في ذلك يقول تشومسكي: >> فإذا لخصنا ما قلناه فإنه يتوفر لدينا حينئذ الصورة العامة التالية: ملكة اللغة نظام متميز للعقل / الدماغ له حالة أولية هي  $S_0$  يشترك فيها البشر جميعا ( إلى درجة من درجات التقريب قريبة جدا، ... ) و يختصون بها فيما يبدو بالنظر إلى الوجوه الأساسية، إذا ما توفر لهذه الملكة التجربة الملائمة انتقلت من الحالة الأولية  $S_0$  إلى الحالة المستقرة  $S_s$  ثابتة نسبيا، يتعرض بعدئذ لتعديل هامشي فقط ( كإكتساب مواد معجمية جديدة، مثلا) و تتضمن الحالة المحصلة لغة مبنية داخليا، ( فهي حالة امتلاك أو معرفة لغة خاصة مبنية داخليا). و أما النحو الكلي فهو نظرية عن الحالة الأولية  $S_0$ ، و الأنحاء الخاصة نظريات عن اللغات المتنوعة المبنية داخليا، و اللغات المبنية داخليا التي يمكن تحصيلها من تُحدد استقرار الحالة  $S_0$  و عن طريق تجربة متنوعة – هي اللغات الإنسانية التي يمكن تحققها ، حيث يقصد الآن بمصطلح " اللغة " Language اللغة المبنية داخليا <<. (1)

ويرى تشومسكي أن للحالة المستقرة وحدتين، الوحدة الأولى خاصة بما يُتعلم من اللغة، و الوحدة الثانية هي المتعلقة بالحالة الأولية.

تدخل ضمن الوحدة الأولى ما يُتعلم من مفردات و تراكيب معجمية و التي تنتقل ملكة اللغة من حالتها الأولية إلى حالتها الناضجة، فتؤدي بذلك إلى نشوء ما يسميه باللغات الخاصة مثل: العربية و الإنجليزية و الفرنسية... الخ.

ويمكن لنا أن نمثل لها بالشكل التالي:

(1) المصدر السابق ، ص 85 - 86



عندما تعرضت الوحدة الخاصة باللغة للتجربة الحسية انتقلت من حالتها الأولية إلى الحالة المستقرة.

ومن خلال ما سبق نفهم أن النحو المعياري التقليدي و اللسانيات البنوية الأمريكية قد اهتمتا بوصف الجمل التي ينتجها الناطقون في لغة ما أي بدراسة اللغة المجسدة ، بينما جاء تشومسكي بلسانيات جديدة هدفها دراسة اللغة المبنية داخليا و التي تهتم بالدرجة الأولى بما يعرفه الناطقون حول لغتهم ومن أين تأتي هذه المعرفة ، >> إنها تعالج اللغة كخاصية داخلية للذهن البشري أكثر منها خاصة أو شيئا خارجيا .<< (1)

إن اللسانيات الدارسة للغة المبنية داخليا هي عبارة عن نحو يصف المعرفة اللغوية للمتكلم، بمعنى كيف يبدع العقل اللغة.

ومن هنا نشأ في الدراسة اللسانية الحديثة ما يعرف بالنحو الذهني، أو الأنحاء الذهنية التي تهتم >> بدراسة اللغة من منطلق وظيفي عام وزواياه نفسية اجتماعية، بالارتكاز على مختلف الملكات النفسية نحو الإدراك و الانتباه وزاوية النظر ومقام المخاطب . فهذه الأنحاء تسعى إلى إقامة الوصف النحوي على أسس معرفية ونفسية وعصبية، فالثوابت اللغوية معرفة ذهنية في أسسها، وليست شكلية محضة.

(1) Cook, Chomsky's Universal Grammar, p. 13

إن مفهوم النحو الذهني هو توليد مناخ اللسانيات الإدراكية المنبثقة في سبعينات القرن الماضي التي تضافرت فيها الاختصاصات بمختلفها من لسانيات ، وعلم النفس ، وعلم الأعصاب، و( البويولوجيا)، و أبحاث الذكاء الاصطناعي في الكشف عن خطاطات ذهنية ينتهجها المرء في توليد جملة وفهمها. << (1)

لقد أدى الاهتمام بالجانب الداخلي للغة إلى تبني نموذج معين لتفسير آلية الكلام، فالبنية العميقة تولدها القواعد المقولية التي تضبطها مبادئ البنية السطحية ثم تسقط الوحدات المعجمية إلى البنية السطحية محملة بخصائصها الدلالية المحورية، والتفريعية ، مع وجود قواعد تتحكم في أشكال الربط بين ما يسقط من المعجم وما يولده التركيب... و أما البنية السطحية، فهي ناتجة عن البنية العميقة بعد استخدام القاعدة التحويلية العامة " أنقل أ Move a" مما يؤدي هذا التحويل إلى إبراز وسائط تختلف اللغات الإنسانية في تثبيتها. (2) يقول تشومسكي: <> ويمكننا أن نقول- إذا ما استمررنا في تصور النحو على أنه نظرية للغة- إنَّ النحو "كاف و صفيًا" بالنسبة للغة ما بمقدار ما يصف هذه اللغة بطريقة صحيحة. وتفي نظرية النحو الكلي بشرط " الكفاية التفسيرية Explanatory adequacy إلى حد أنها تزودنا بالأنحاء الكافية و صفيًا تحت شروط الحدود الفاصلة Boundary conditions التي تضعها التجربة ، و حينئذ سوف تسمح نظرية النحو الكلي التي تفي بهذا الشرط بأن تشتق الحقائق الملائمة الخاصة بالتعبيرات اللغوية من الأنحاء التي تختارها - أي هذه النظرية - ومن ثم تزودنا بتفسير لهذه الحقائق. << (3)

و لذلك فإنَّ الأهداف اللغوية التي يسعى للوصول إليها هي أهداف تتوزع على ثلاثة كفاءات:

(1) كريم عبيد علوي ، كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات ، دار الأمان ، منشورات الاختلاف ، منشورات ضفاف ، ط1 ، الرباط ، الجزائر ، الرياض ، 2013 ، ص 133  
(2) ينظر : عبد القادر الفاسي الفهري ، البناء الموازي نظرية في بناء الكلمة و بناء الجملة ، دار توبقال للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1990 ، الدار البيضاء ( المغرب). ص 22  
(3) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية ، طبيعتها و أصولها و استخدامها ، ص 121

- 1- كفاءة المراقبة Observational adequacy: وهي المستوى الأول للنظرية اللغوية ، النظرية التي تسعى إلى مراقبة كافية للعينات النحوية من اللغة التي تمثل المعلومات الأولى Data ، التي يقدمها الكبار للطفل و التي تسمى مداخل جهاز اكتساب اللغة.
- 2- الكفاءة الوصفية: وهي المستوى الثاني، وبذلك تحصل النظرية على الكفاءة الوصفية عندما تتعامل مع الكفاءة اللغوية للناطقين الأصليين بلغة معينة، أي النحو التوليدي الناتج عن جهاز اكتساب اللغة.
- 3- الكفاءة التفسيرية: وهي المستوى الثالث، و النظرية هنا بمثابة الكفاءة التفسيرية وذلك عندما يمكن للنظرية اللسانية أن تزودنا بالسبب الرئيسي لكيفية اتخاذ الكفاءة اللغوية لذلك الشكل الذي تملك، ولماذا؟ أن تزودنا بالصلات بين الكفاءة اللغوية ( القدرة اللغوية ) و المعلومات اللغوية الأولية Data التي يقدمها المجتمع للطفل و التي اختفت داخل جهاز اكتساب اللغة نفسه. (1)

لقد دعا تشومسكي إلى النظر إلى اللغة على أنها ظاهرة من الظواهر الطبيعية التي يزخر بها العالم ، ولذلك سعى إلى دراستها مثلما تدرس العلوم الطبيعية أعضاء من الجسد كالعين و الأذن والكبد وكما تدرس علوم الفيزياء الذرات و الإلكترونات و البروتونات.. إلخ.

إذ يقول: >> أريد أن أناقش هنا مقاربة للذهن تأخذ اللغة و الظواهر المماثلة لها على أنها عناصر للعالم الطبيعي، و ينبغي أن تُدرس بمناهج البحث الاختباري المعهودة، و سأستخدم مصطلح " ذهن" و " ذهني" مجردين من أي مميز غيبي، فأنا أفهم المصطلح " ذهني" بالطريقة التي يُفهم بها مصطلح " كيميائي"، أو " بصرياتي" ، أو " كهربائي". << (2)

(1) Cook , Chomsky's Universal Grammar , p .54

(2) نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة و الذهن، تر: حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، القاهرة ، ص 267

ودائماً كان هدفه من وراء ذلك هو تفسير طبيعة اللغة تفسيراً علمياً دقيقاً ، لأن  
>> المقاربة الطبيعية للمظاهر اللغوية و العقلية للعالم تسعى إلى بناء نظريات تفسيرية  
قابلة للفهم. << (1)

و لذا – حسب رأيه- ثمة مستويات عدة لدراسة اللغة، ومنها المستويان الوصفي  
و التفسيري، ففي المستوى الوصفي يسعى لتبيان خصائص اللغات المعينة، أي أن يُقدم  
تفسيراً محدداً للنظام الحوسبي الذي تُحدده أشكال التعبيرات اللغوية و معناها في هذه  
اللغات، أمّا المستوى التفسيري فيهتم فيه بطبيعة الملكة اللغوية ، أي بمبادئها و متغيراتها  
وهو يحاول عبر المستوى التفسيري أن يُبين النظام الثابت غير المتنوع الذي يمكن أن  
تُشتق منه اللغات الإنسانية المختلفة الممكنة، و يشمل ذلك اللغات الموجودة فعلاً. (2)

ومع ذلك فإن تشومسكي يُقرّ بأنّه من الصعب – حالياً، وربما مستقبلاً أيضاً – تفسير  
المعرفة اللغوية تفسيراً علمياً دقيقاً كما هو الشأن في العلوم الطبيعية، و هذا الأمر واحد من  
القضايا التي يكون فيها تشومسكي متشائماً ، فالتوصل إلى فهم علمي حول استعمالنا للغة  
كمقابل لمعرفةنا بها يظل لغزاً شائكاً. (3)

ومع أنه قد تم التوصل من خلال الدراسات التجريبية و النظرية إلى إدراك اللغة  
و إنتاجها، إلى فهم التبصرات [ المأخوذة ] من اكتساب اللغة و تغييرها، و تحليل وظيفة  
الدماغ في العينات البشرية السوية و المرضية على السواء، كما تمّ التوصل إلى تفسير ألفاظ  
بعينها في سياقها، لكننا لا نزال بعيدين جداً بعد رينيه ديكارت عن معرفة لماذا يختار  
شخص ما أن يكون رد فعله على لوحة بعبارة " كم هي جميلة" أو " إنها تذكرني بلوحات  
بوش 'Bosch' بدلاً من أن يكون رد فعله بالسكوت. (4)

(1) نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة و العقل، تر: عدنان حسن، دار الحوار للنشر و التوزيع، ط1، 2009،

اللاذقية ( سوريا). ، ص 236

(2) نعوم تشومسكي، اللغة و مشكلات المعرفة، ص 101

(3) ينظر: مقدمة ويل سميث لكتاب تشومسكي ( آفاق جديدة في دراسة اللغة و العقل)، نقلاً عن المصدر نفسه ، ص 13

(4) المصدر نفسه ، ص 13

## ب - الربط بين الصوت و المعنى

لقد انصب اهتمام تشومسكي على الذهن/ الدماغ البشري و كيفية اكتساب البشر للغة و كيفية استخدامها ، إضافة إلى فكرة فطرية اللغة، فكانت تحليلاته اللغوية تسعى لتقديم تفسير منطقي لكل هذا النقاط.

وكان دائم الاستعانة بالفلسفة الغربية في بناء صرحه اللغوي فتارة يلجأ إلى أفلاطون وتارة إلى ديكارت، ونجده لتفسير آلية حدوث الكلام يرتكز على سؤال أرسطو القديم وهو : كيف يمكن للغة أن تسد الهوة بين العالم الداخلي المعرفي وبين الجانب المادي الحسي الفيزيائي المتمثل في الأصوات؟ ، ذلك أنّ كل لغة يمكن ملاحظتها على أنها علاقة متلاحمة بين الأصوات و المعاني.(1)

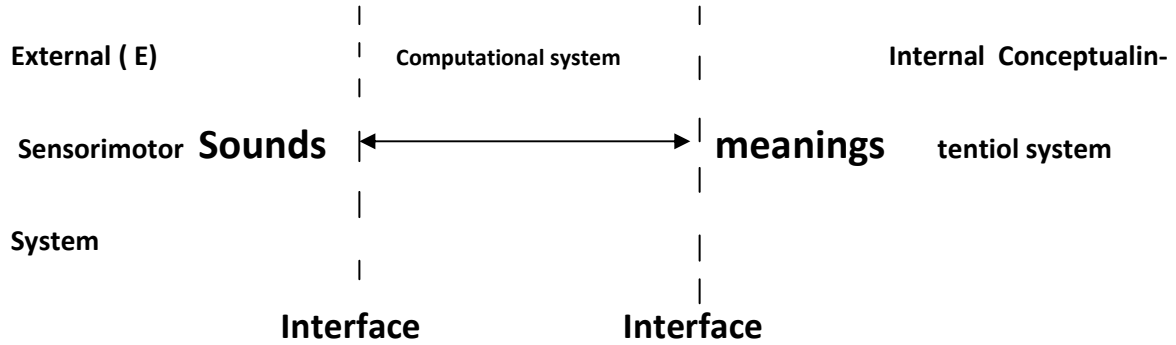
يقترح تشومسكي النظام الحوسبي Computational system إجابة على هذا السؤال، و يرى أن اللغة التي ينتجها المتكلمون و يتلقاها المستمعون لا بد أن تكون مرتبطة بالنظام الحوسبي في أذهانهم ، و بأنّ ما يعرفه الناطقون بلغة ما ( حول لغتهم) لا يقتصر فقط على الأصوات و المعاني، بل يتجاوز إلى كيفية الربط بين هذه الأصوات و المعاني داخل الذهن. و لذلك فإن تعقيد اللغة الإنسانية مرده إلى النظام الحوسبي في حد ذاته فهو المسؤول في المقام الأول عن تركيب الجمل .(2)

وهذا المخطط يشرح كيف يتم ذلك (3):

(1) cook, Chomsky's Universal Grammar, p .5

(2) Ibid, p. 5- 6

(3) Ibid, P. 6



منذ 1990 وكجزء من البرنامج الأذنوي MP ، بدأ تشومسكي يهتم باكتشاف العلاقة بين النظام الحوسبي المركزي من جهة وبين التعبيرات اللغوية المادية وبين التمثيل الذهني للمفاهيم من جهة أخرى . (1)

يمثل كل من الوسيطين ( Interface ) نقطتي التقاء بين النظام الحوسبي و بين شيئين اثنين هما: عالم الأصوات الخارجي ، وعالم المفاهيم الداخلي. ولكي يعمل هذا النظام يجب عليه أن يكون قادرا على التفاعل مع العالمين معا . (2)

في نقطة الاتصال مع الأصوات يحتاج الدماغ لتحويل الأشكال الداخلية للغة المستخدمة بواسطة النظام الحوسبي إلى أصوات فيزيائية فعلية عبر توجيه أوامر معقدة إلى العضلات، و النظام المسؤول عن ذلك يسميه تشومسكي بالنظام الحسي الحركي ( Sensorimotor System )، أما في نقطة الاتصال مع المعنى يحتاج العقل إلى تحويل تمثيلات اللغة المستخدمة بواسطة النظام الحوسبي إلى مفاهيم عامة تستعمل بواسطة الذهن ، و النظام المسؤول عن ذلك يسميه تشومسكي بالنظام المفاهيمي المتعمد ( Conceptual Intentional System ) ، فالقمر ( Moon ) مثلا متصل بمفهوم ذهني هو " كويكب تابع للأرض earth's satellit " ، فأتساءل الحديث، على العقل أن يحوّل المفاهيم المجردة

(1) Cook , Chomsky's universal grammar, p . 6

(2) Ibid , p. 6

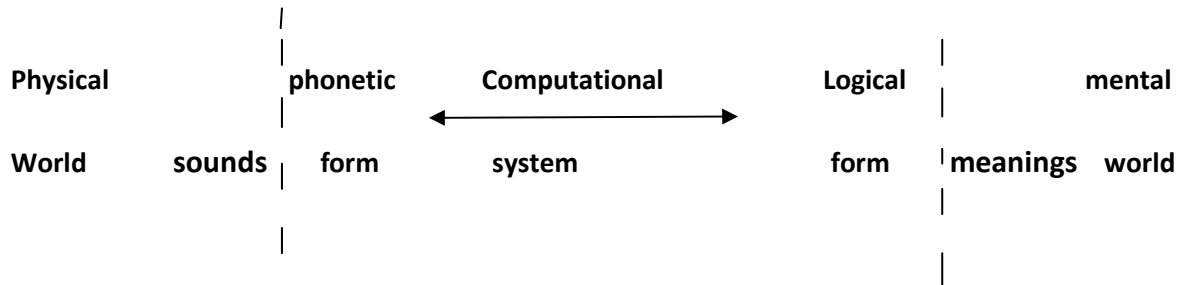
إلى تمثلات لغوية لأجل النظام الحوسبي ، فمثلا مفهوم " كويكب تابع لكوكب الأرض  
" تم تحويلها إلى لفظة " القمر moon " ، فتتشكل الجملة التالية : (1)

- The moon shone through the trees

( القمر تألق عبر الأشجار )

و بمجىء نظرية المبادئ و المتغيرات Principles and paramaters theory

وضع تشومسكي جسرا يصل بين الصوت و المعنى وذلك من خلال تقنية تسمى  
بالصورة الصوتية ( PF Phonetic Form ) ، و هي عبارة عن سلسلة أو تتابع صوتي  
– يبني جسرا بينه و بين الصورة المنطقية ( Logical Form LF ) التي هي بمثابة  
تمثلات ذهنية لمعاني معينة. و هذان الجسران مرتبطان بالنظام الحوسبي كما يوضحه  
الرسم التالي (2) :



تحدد وظيفة الصورة الفونيمية ( الصوتية ) و الصورة المنطقية في كونهما نقطتي  
اتصال بين القواعد ( النظام الحوسبي ) و بقية المناطق في الذهن.

(1) Ibid, P. 6

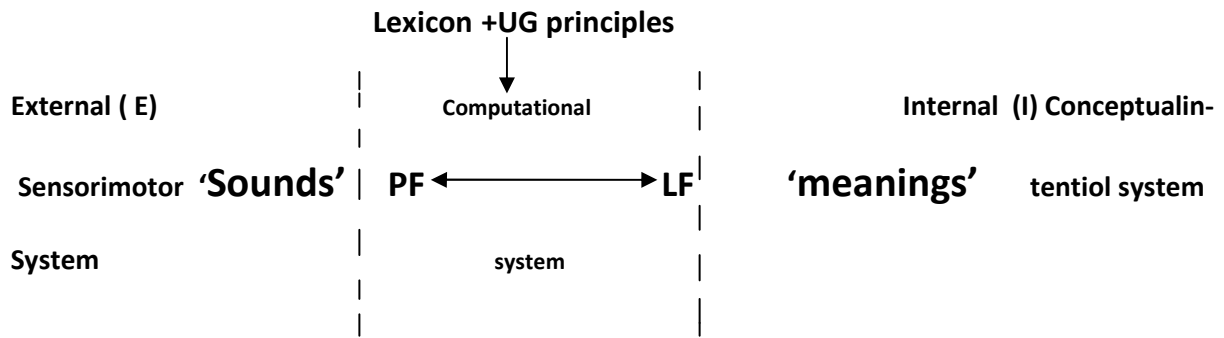
(2) Ibid , p. 7



من هنا فإن كلاً من Logical Form و phonetic Form وسيطان بين اللغة و بين الأنظمة الإدراكية.

إنَّ أحدَ المكونات الحيوية للنظام الحوسبي هو المعجم المخزّن في ذهن المتكلم، الذي يحتوي على مفردات عديدة و كأنه قاموس معرفي ضخـم Dictionary، يشتمل على معرفة منتظمة في المداخل المعجمية الخاصة بكل كلمة يعرفها المتكلم ، ليحدد معنى الجملة الذي يعتمد على العلاقة بين عناصرها المتعددة... فنحن نحتاج معرفة السمات العديدة و المتنوعة لكل مفردة، ... و كل مُدخل معجمي في القاموس الذهني الذي يحتوي عددا هائلا من المعلومات حول كيفية اتخاذ كل كلمة لمكانها المناسب داخل الجملة و كذلك معناها، فمعرفة اللغوية تشتمل على الآلاف من الكلمات بمداخلها المشفرة مع معانيها أيضا. (1)

أمّا المكون الحيوي الثاني للنظام الحوسبي هو مبادئ النحو الكلي. إن المعرفة اللغوية تستند إلى مجموعة أساسية من المبادئ المجسدة في كل اللغات الإنسانية و بداخل أذهان كل البشر، و ذلك كما يوضح الشكل التالي (2) :



(1) Ibid, P. 8

(2) Ibid, P. 9

و من هنا نفهم أنه بالفكر >> يستطيع الإنسان أن يربط بين المدرك حسيا و المتصور عقلا فيربط بين موجودات الكون و يؤلف بينها ، و به أيضا يستطيع وضع تصوراتة الفلسفية و التاريخية و أساطيره الذهنية وحقائق معتقداته و تجسيدها ، فيتضافر بذلك الفكر مع اللغة لتجسيد إنسانية الإنسان و التعبير عن كينونته << (1) ، والجهاز الحوسبي الذي اقترحه تشومسكي هو الذي يؤدي هذه المهمة المعقدة للغاية حسب رأيه.

---

(1) خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق اللغوي " بحوث في التفكير النحوي و التحليل اللغوي "، ص 314

## الفصل الخامس

### مبادئ و وسائل النحو الكلي

أولاً : المبادئ العامة للنحو الكلي

أ - مبدأ الإسقاط و المقولات الفارغة

ب - قاعدة أنقل الألفا

ج - مبدأ التبعية البنيوية

د - نظرية الثيتا

و - نظرية الحالة

ثانياً : المبادئ الفرعية و وسائل النحو الكلي

أ - نظرية العامل و الإحكام الربطي

ب - نظرية X-bar ( وسيط الرأس The

(Head Parameter

ج - وسيط إسقاط الضم The pro\_

drop parameter

## - تمهيد -

يمثل النحو الكلي >> المنحى الجديد الذي أخذت تنحوه النظرية اللسانية التشومسكية. إذ لم تعد تهتم بإبراز خواص اللغات البشرية و أنظمتها ، و كيفية توليد اللانهايي من النهائي، بل إنّ هدفها – ها هنا- صار البحث عن الأسس المشتركة و العامة بين هذه اللغات، من أجل إثراء و إكمال النحو الخاص بكل لغة، لتصبح النظرية اللسانية نموذجية ، تعكس الملكة اللسانية الكاملة. << (1)

إنّ ما يجمع اللغات الإنسانية – حسب تشومسكي - أكثر بكثير ممّا يدعوها للاختلاف ، >> ففي كل نحو توجد قواعد و ظواهر متشابهة ، تكون قاعدة النحو العام. و في مقابلها توجد ظواهر خاصة لا تتماشى إلا مع لغة معينة دون الأخر، مكونة بذلك النحو الخاص لها. << (2)

يطلق تشومسكي مصطلح " المبادئ " **Principles** " على الظواهر المتشابهة و السمات الجوهرية المشتركة بين اللغات الإنسانية، أمّا ما يميزها عن بعض فيسميه بـ " المتغيرات أو الوسائط **Parameters**"، وهي نقاط الاختلاف.

و سندرس بإذن الله في هذا الفصل هذه المبادئ و المتغيرات بالتفصيل معالجين إياها رفقة شواهد و أمثلة من اللغة العربية و الإنجليزية محاولين مناقشتها بدقة و موضوعية.

(1) شفيقة العلوي، محاضرات في المدراس اللسانية المعاصرة، ص 62

(2) المرجع نفسه، ص 62

## مبادئ و وسائط النحو الكلي (Principles And

### (Parameters Of Universal Grammar

#### أولاً: المبادئ العامة للنحو الكلي

#### أ - مبدأ الإسقاط و المقولات الفارغة projection principle

ينص مبدأ الإسقاط >> على أن البنى المعجمية يجب أن تمثل مقولياً categorially في كل مستوى تركيبى. وهذا المبدأ من المبادئ التي تسهم في الاستغناء عن قواعد البنية المركبية ؛ كلية فيما عدا بعض الخصوصيات المتعلقة لكل لغة على حدة – إذا كانت التكملات والظروف adjuncts المتنوعة تحدد أيضا عن طريق المبادئ العامة بمجرد ما تتعين البارامترات كبارمتر الصدر أولاً ؛ أو الصدر آخراً. (\*) << (1)

مبدأ الإسقاط هو شرط مقترح من قبل تشومسكي كجزء من مكون بنية العبارة الخاص بالقواعد التوليدية التحويلية .

يُستخدم مبدأ الإسقاط لاشتقاق العبارات كميّار من نظرية المبادئ والمتغيرات principles and parameters ، وهو حسب كلام تشومسكي ينص على المحافظة على خصائص العناصر المعجمية أثناء إنشاء بنية العبارة بمعنى آخر يعني تجاوز الوحدات اللغوية داخل تركيب ما.

>> ومن نتائج مبدأ الإسقاط ... أنه إذا ما >> تُصوّر << وجود عنصر ما في موقع معين فإنه حينئذ " في مكان ما " في التمثيل التركيبى ، إما كمقولة ظاهرة يُعبر عنها صوتياً و إما كمقولة فارغة لا يتحدد لها أي شكل صوتي ( وإن كان وجودها قد يؤثر على الشكل الصوتي . وهكذا ) . إذا ما وُسمت الكلمة see معجمياً بأنها فعل متعدٍ يجب أن يكون لها

(\*) لفهم بارمتر الصدر أولاً أو الصدر آخراً ، ينظر : نظرية X-Bar ص 255  
(1) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها ، ص 170

مفعول به يعبر عنه تركيبيا كمفعول في مركب فعلي في كل مستوى تركيبى: أي في البنية  
د والبنية س و المستوى LF . لكنه بالطبع لا يلزم بالضرورة أن يعبر عن هذا  
المفعول في البنية السطحية ( أي المستوى PF ) . و إذا لم يوجد أي عنصر ظاهر في هذا  
الموقع وجب أن يكون هناك حينئذ مقولة فارغة من النوع المتطلب . ولهذا ، فإن التمثيل  
البنوي للتركيب ( the man I saw ) يجب أن يكون التمثيل (52) . حيث المقولة  
الفارغة e مركب اسمي يقع مفعولا به للفعل see :

(1) >> [ e ] [ vp saw ] [ I ] the man ( 52 )

الرجل الذي رأيت .

يقابل في اللغة العربية مفهوم مبدأ الاسقاط بهذا المعنى ما يعرف في النحو العربي  
بجملة صلة الموصول و عائدها . ويمكن إعادة كتابة مثال تشومسكي على هذا النحو :

1- الرجل الذي ( رأيت e )

حيث يمثل ( e ) العنصر المعجمي المحذوف لفظيا . تجدر الإشارة هنا بأنه لا يمكن  
لنا أن نقسم أجزاء الجملة العربية بالكيفية التي حددها تشومسكي ذلك لخصوصية كل لغة و  
تميزها . بحيث إذا كانت الجملة الفعلية في الإنجليزية ابتدأت بالضمير ( I ) ( أنا ) فإن  
في اللغة العربية ذلك الضمير ( ضمير المتكلم ) كان نصيبه من التركيب آخر الجملة متمثلا  
في ضمير الرفع المتحرك ( التاء ) في الفعل ( رأيت ) .

إن العنصر غير الظاهر في الجملة (1) والذي يمثل مقولة فارغة ( e ) هو ضمير  
الصلة العائد على الاسم الموصول " الذي " ، وهو المفعول به المحذوف الذي يمكننا  
تمثيله بالمثال التالي :

2- الرجل الذي رأيت(ه).

(1) المصدر السابق ، ص 171

لكن غياب الضمير العائد الذي يمثل مقولة فارغة هنا لا يعني غيابه في المستوى المنطقي أو في الصورة المنطقية للجملة LF . بل هو حاضر في البنية العميقة أيضا، لكنه غائب في البنية السطحية وعلى المستوى الصوتي PF .

>> فالمركب الاسمي المفعول به للفعل " see " لم يرد مقولة محققة صوتيا ؛ وإنما هو مقولة فارغة ( e=empty ) ليس لها أي شكل صوتي ، وحيث أن " e " تمثيل للمركب الاسمي المفعول به الذي يتطلبه الفعل " see / رأى " باعتباره فعلا متعديا . << (1) و يقدم تشومسكي صورة أخرى للمثال السابق عن مبدأ الإسقاط ببناء المعجمية الحاضرة ومقولاته الفارغة فيقترح المثال (53) :

( 53) The man [ o [ I [ vp saw e ] ] ]

و التي تكون كتابتها الأصلية دون استعمال رموز قواعد إعادة الكتابة بأقواسها .

- The man who I saw (\*) (الرجل الذي رأيته)

(1) مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار الى البرنامج الأندوي ، ص 305 (\*) هذه الجملة ( the man who I saw ) شبيهة بالجملة التي استخدمها تشومسكي ( The man who John saw ) و هما جملتان ليستا قواعديتين في اللغة الإنجليزية الحديثة التي تضع بيلا عن ( who ) الدالة على الفاعل ( whom ) الدالة على المفعول به و تشومسكي يتحدث عن المفعول به هنا و ليس عن الفاعل، و قد سألته في رسالة إلكترونية عن هذا الأمر و قد أجابني أن استعمال ( who ) في هذا الموضع هو الاستعمال الصحيح في اللغة الإنجليزية ، أما ( whom ) فهي مستحدثة من طرف أولئك الذين يريدون أن يجعلوا اللغة الإنجليزية كاللغة اللاتينية . و على كل هذا هو نص رسالتي له و نص رده مع الترجمة:

Good evening,

Dear professor, Chomsky. I'm glad to email you again, let me introduce myself again.

I am Asma Benmansour from Algeria, a researcher in linguistics and I'm working on my Doctorate project about your Universal Grammar Theory. Sir, I hope to find your answers about my questions again.

Can you please explain why did you use ( who ) instead of ( whom ) in this sentence ( The man [ who John saw e ] when you were explaining the rule of move "wh" In your book " knowledge of language ??

Thank you for your patience. I look forward to hearing from you.

- Sincerely-

مسء الخير.

أنا سعيدة بمراسلتكم مجددا حضرة البروفيسور تشومسكي، اسمحو لي أن أقدم نفسي من جديد، أنا أسماء بن منصور، باحثة في حقل اللسانيات من الجزائر، أعدّ حاليا رسالة دكتوراه عن نظريتكم " النحو الكلي "، و لذا لأمل أن أجد أجوبتكم مرة أخرى.

رجاء، اشرحوا لي، لماذا استعملتم " who " بدلا من " whom " في هذه الجملة :

( The man [ who John saw e ]

عندما كنتم تشرحون قاعدة أنقل " wh " في كتابكم " المعرفة اللغوية "؟؟  
شكرا لصبركم، أتطلع إلى أن أتلقى جوابكم قريبا. - تحياتي الخاصة -

نلاحظ أنه : في اللغة الإنجليزية يمكن الاستغناء عن اسم الموصول ( who الذي)

في إنشاء جمل تحمل معنى الصلة شأنها في ذلك شأن العربية ؛ نحو قوله تعالى: { **مَثَلهم**

**كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** }<sup>(1)</sup>، و قد قَدّر النحاة الاسم الموصول المحذوف بقولهم أي:

كمثل الحمار الذي يحمل أسفارا. <sup>(2)</sup>

بالعودة إلى المثال رقم (53) الذي قدمه تشومسكي نجد أن (O) يمثل مقولة فارغة ؛

وهو يمثل رابطا فارغا يقيد المقولة ( e ). و يتحقق هذا الرابط الفارغ معجميا في صورة

الكلمة (who) في هذا المثال . لكن ثمة أمثلة قد يتحقق فيها في صور مختلفة كالتالي:

- في صورة " whom " و ذلك في الإنجليزية الحديثة ، نحو:

- I have a friend **whom** I trust.

( لديّ صديق " الذي " أثق به )

- في صورة " whose "، نحو :

- The person **whose** umbrella was left behind is the likely culprit.

و جاء رده كالآتي :

"who" is the normal usage in English in such contexts. "whom" is one of the changes dictated by prescriptive grammarians (not linguists) who insist that English should look like Latin .

"who" هو الاستخدام العادي في اللغة الإنجليزية في مثل هذه السياقات . "whom" هو أحد التغييرات التي يميلها النحويون (وليس اللغويين) الذين يصرون على أن الإنجليزية يجب أن تبدو مثل اللاتينية.

(1) سورة الجمعة ، الآية 5

(2) ينظر: أبو البركات كمال الدين الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، تح: جودة مبروك محمد ، مرا: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط1، 2002، القاهرة، ص 583



( الشخص الذي تُركت مظلته خلفا يُرَجَّح أن يكون مجرماً )

- في صورة "that"، نحو:

- He has the talent **that** makes him an extremely creative man.

(لديه الموهبة التي تجعل منه رجلاً مبدعاً للغاية)

- في صورة "which"، نحو:

- I chose the card **which** is black

(اخترت البطاقة التي لونها أسود)

و في الحالتين (52) و (53) >> ينتقل الرابط إلى موقع اللامشارك الذي يسبق الجملة ؛ وذلك عن طريق قاعدة : " أنقل الألفا". وقد نفترض أنه نُقل المركب ال wh ثم حُذف تحت تأثير شرط التغطية the recoverability condition أو أن العنصر الفارغ قد يولد بذاته في الأساس the base في البنية د ثم نقل باستخدام قاعدة :  
" أنقل الألفا ". << (1)

معنى هذا أن المقولة الفارغة ( O ) التي تعبر عنها في صورتها المعجمية الكلمة (whom الذي – التي ) كانت موجودة في البنية العميقة د - D- structure ، إلا أنها تم حذفها بواسطة التحويل ، فبتحويل >> احذف ال delete – wh . وهو تحويل غالباً ما يصيب تركيب اسم الموصول . قبل أن تنتقل الجملة إلى بنيتها السطحية س - S- structure بآثارها معها. << (1) قد تمّ حذفها.

(1) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية ، طبيعتها و أصولها و استخدامها، ص 171 - 172  
(1) مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأذنوي : مفاهيم و أمثلة ،

بالعودة إلى المثال رقم (1) [ الرجل الذي رأيت ] ، نجد مقولة فارغة في هذه الجملة بصيغتها العربية فإذا كانت كلمة ( الرجل ) تمثل المبتدأ و اسم الموصول ( الذي ) صفة له و الجمل الفعلية ( رأيت ) تتكون من رأى فعل ماضٍ والتاء فاعل وهذه الجملة هي واقعة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، فإنه يمكن لنا عد الخبر مقولة فارغة أيضا بحيث يمكن أن يمثل لها بالجملة التالية رقم (3) :

(3) - الرجل الذي رأيتُ [ طويلُ e ] . و طويلُ هنا ( الخبر هو مقولة فارغة ) . إلا أنّ الجملة (الرجل الذي رأيت) غير تامة المعنى فهي بحاجة إلى خبر ليتم معناها.

إن ما يفعله تشومسكي مع كل هذه التحليلات المعقدة برموزها الرياضية الأكثر تعقيدا، هو إضفاء على مفاهيمه السابقة نوعا من الغموض والجادبية بتسمياتها الجديدة . فلا شك أنه لا يخفى على الباحث في العربية ونحوها أن مبدأ الإسقاط و المقولات الفارغة هو ما يعرف في تراثنا النحوي **بالتقدير** .

## ب - قاعدة انقل ألفا - a move

بعد التعديلات التي أجريت على المكون التحويلي منذ 1965 لضبط آليات اشتغاله من خلال تصنيف التحويلات ووضع مجموعة من القيود عليها ، تمّ جمع هذه القواعد وتبسيطها في قاعدة تحويلية واحدة تشترك فيها جميع اللغات تسمى بقاعدة أنقل ألفا ،  
move- a حيث إن A – أ عبارة عن مقولة اعتباطية الحالة (1)

وهذه القاعدة من القواعد التي تنتسب إلى الحالة الأولية للغة  $S_0$  حيث تسمح >> مبدئياً بنقل أي مقولة من مكان إلى مكان آخر داخل الجملة ويضبط النحو الكلي حدود هذا النقل و إمكاناته وخصائصه و الشروط عليه . وتسمح هذه القواعد بنقل عناصر دون أخرى وتحديد الأماكن التي ستنتقل إليها والمسافات التي يمكن أن يقطعها العنصر المنقول من مصدر النقل إلى هدفه . إن قاعدة " أنقل ألف " بهذا المعنى مقيدة بقوة وبعض هذه القيود عامة تخضع لها كل الألسن . وبعضها الآخر قيود خاصة تخضع لها ألسن دون أخرى . << (2)

وتشتمل قاعدة أنقل الألفا أو move - a على العديد من قواعد النقل والحذف كقاعدتي انقل " الـ who " و انقل الـ NP " لقد اختصر تشومسكي قاعدة قدم الـ " wh " إلى قاعدة أنقل " الـ wh " .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن قاعدة انقل ( ألفا - a move ) قاعدة عامة تنفرع منها مبادئ مثل مبدأ التبعية البنيوية الذي سنناقشه لاحقاً ، كما أن قاعدتي قدم " الـ wh " وقاعدة " احذف wh " هما قاعدتان خاصتان بالجميل الاستفهامية وتراكيب اسم الموصول فقط.

تظهر قاعدة قدم الـ " wh " في الاستعانة بالقاعدة التحويلية التي تتحدد في صورة الشكل ( Y - who- X ) ، حيث الـ X و الـ Y هي صور أي صور تعبيرية ، و حيث يشير الـ wh إلى تراكيب الـ wh كالكلمة who أو التركيب which books ، فتنص

(1) ينظر : مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأندوني ، ص

307 - 308

(2) المرجع نفسه ، ص 308

هذه القاعدة بتحريك العنصر الثاني أي الـ « wh » إلى مقدمة الجملة لصياغة الاستفهام ، كما يظهر في الجملتين (20) و (21):

(20) You think – who- saw John

(21) Who – you think saw John

فينتج عن ذلك التحويل التالي للشكل السطحي ( who do you think saw John )<sup>(1)</sup>.

و بذلك تكون القاعدة الخاصة بصياغة الجمل الاستفهامية بالشكل (22) أو في صورة الشكل (23) كما يلي:

(22) SD : (X, who-, y)

SC : (1, 2, 3) → (2, 1, 3)

(23) ( X, who- , y ) → (2, 1, 3)<sup>(2)</sup>

لكن اللغة العربية ليست من اللغات التي تصوغ الاستفهام بتقديم اسم الموصول إلى بداية الجملة. فإذا أردنا مثلاً أن نبني جملة استفهامية من المثال التالي:

(1) عاد الأب من السفر

علينا أن نضع ( حرف / اسم ) استفهام في بداية الجملة كي نتحصل على جملة

استفهامية فتتحول بذلك الجملة (1) إلى الجملة (2) :

(2) هل عاد الأب من السفر؟

و حرف الاستفهام ( هل ) هنا ليس من عناصر الجملة الخبرية (1) ، بل إنه عنصر

خارجي أضفناه كي نصوغ صيغة الاستفهام. وهذا يدعونا للتساؤل عن مدى صحة

تطابق هذه القواعد العامة التي استقاها تشومسكي من تحليلاته للغة الإنجليزية على

جميع اللغات الإنسانية.

(1) ينظر : نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية ، طبيعتها و أصولها و استخدامها، ص 142

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 142

و يقدم تشومسكي أمثلة أخرى عن قاعدة " انقل ألفا - a move - في صورتها قَدَم الـ "wh" أو احذف الـ "wh":

(27 i)- The man [ who John saw e ]

(27 iii)- The man [ John saw e ]

فمن خلال هذين المثالين يستطيع الطفل أن يكتسب قاعدتين مهمتين من قواعد النحو الكلي وهما قاعدتا التقديم و الحذف، يقول تشومسكي: >> ويمكننا مع هذه المبادئ العامة معزوة إلى النحو الكلي ( أي إلى الحالة الأولية  $S_0$  )؛ أن نحفظ بالقاعدتين البسيطتين: " قدم الـ wh " لكل من الجمل الاستفهامية و تراكيب الاسم الموصول . فما يجب أن يتعلمه الطفل هو أن اللغة الإنجليزية تنقل مركب الـ wh إلى مستهل الجملة وأن هذا المركب يمكن أن يُحذف . و تتوالى الخصائص الأخرى للمركبات حينئذ عن طريق مبادئ الحالة الأولية  $S_0$  ؛ المعبر عنها في النحو الكلي . وعلى أساس هذا الافتراض سوف يتعلم الطفل أن الحقائق كما هي في الأمثلة (27) وذلك بمجرد ما يتعلم قاعدتي:

" قدم الـ who " و "احذف الـ wh " كما أن هاتين يمكن تعلمهما من مادة لغوية بسيطة ؛ كالمثالين (27i)-(27iii) لاحظ أنه إذا كان من الممكن أن يؤيد الاختصار إلى قاعدة:

"قدم الـ wh " لن يكون لدينا قواعد ترتبط بمركبات خاصة . فلن يكون هناك " قاعدة إيجاد تركيب الموصول " rule of interrogative . بل سوف يكون هناك بالأحرى مبادئ عامة كمبدأ " قدم الـ wh " الذي يلعب دورا في صياغة مركبات متنوعة وذلك إلى جانب غيره من المبادئ . وقد قادت أعمال لاحقة إلى النتيجة التالية: أن هذا الطابع " القالبي " modular لنظام اللغة عام جدا. << (1)

معنى الكلام السابق أن الطفل الذي يكتسب اللغة الإنجليزية سوف يتعلم قاعدتين أساسيتين من خلال المثالين : (27 i) (27 iii) ، حيث بوسعه أن يتعلم من المثال الأول

(1) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية ، طبيعتها و أصولها و استخدامها، ص 150 – 151

(72 i)

(27 i) – The man [ who john saw e ]

أنه يستطيع صياغة جملة استفهامية في الإنجليزية وذلك بتقديم " الـ wh " فتتحول

عندئذ الجملة ( 27 i ) إلى الجملة التالية على سبيل المثال:

-who did john see ?

أمّا المثال (27iii) فهو يُعلم هذا الطفل أنّ اسم الموصول ( who ) يمكن حذفه فتتحول

الجملة (27i) إلى (27 iii)

(27 iii) – the man ( john saw e )

ومن أمثلة قاعدة "انقل الـ NP " "NP – move " ما نجده في صيغ المبني للمجهول ، التي

تسمح بنقل عنصر من مكان لآخر مع إدخال عناصر أخرى في التركيب مثل (2) :

(29 i) – John saw Bill.

( 29 ii ) – Bill was seen by John.

لنتحصل في الأخير على القاعدة التالية :

(30) ( NP . V . VP ) ( 3 . be – en 2 . by 1 )

حيث يمثل كل من :

Bill : NP -

Was : V -

Seen by John : VP -

و حيث :

( 3 ) تشير إلى Bill في المثال (29i)

(Be) هو فعل مساعد

(2) ينظر: المصدر نفسه ، ص 153

(En2) هي (en) التي أضيفت إلى الفعل (saw) في هيئته المضارعة (see) فتتحول إلى (seen) في (29ii) والذي احتل المرتبة الثانية في الجملة (29i) by John ← by1 الاسم الذي احتل المرتبة الأولى أيضا في (29i).

و من أمثلة قاعدة " انقل NP " >> قاعدة إعلاء الموقع "the rule of raising" التي تحول البنية (31i). فقد عُبر عنها في صورة التحويل (32). ومن ثم فهي تحول العنصر الثالث في الوصف البنيوي إلى موقع العنصر الأول الفارغ في البنية التحتية المولدة بواسطة قواعد البنية المركبية :

(31)

(i) e seems [ John to be happy ].

(ii) John seems [ e to be happy ]

(32) ( NP . V . [ NP . X ] ) (3.2.4) >> (\*)<sup>(1)</sup>

حيث تمثل NP ← John في (ii)

← V seems في (ii)

كما أنّ ( NP ) الثانية هي المقولة الفارغة ( e ) التي يمكن أن تعبر بها عنها الكلمة "It" في الجملة ( i ) ، لكنها غير معبر عنها مقوليا هنا ، كما أنها هي ( John ) في المثال (ii) الذي تم إعلاؤه.

بينما تمثل ( X ) الجار والمجرور (to be happy)

وتمثل 3 ← John في المثال (i)

و تمثل 2 ← seems المثال (i).

و تمثل 4 ← to be happy

(1) المصدر السابق ، ص 153

(\*) ( NP ) اختصار لـ ( noun phrase ) و التي تعني المركب الاسمي، أما ( VP ) فهي اختصار لـ ( Verb Phrase ) و تعني المركب الفعلي، أما ( PP ) فهي اختصار ( prepositional phrase ) و تعني عبارة الجر.

نلاحظ عدم وجود العنصر (1) في هذا المثال لأنه عبارة عن مقولة فارغة تعبر عنها ضمنيا الكلمة ( it ) كما في المثال التالي:

- it seems [ John to be happy]

>> ومع الصياغة الملائمة للمبادئ العامة المتعلقة بالقواعد وصور التمثيل تُختصر القاعدتان التحويليتان (30) و (32) إلى ... القاعدة: " أنقل الـ NP " حتى إنه لن تكون هناك قاعدة للمبني للمجهول أو قاعدة لإعلاء الموقع ، بل فقط تفاعل بين مبادئ النحو الكلي ينتج مركبات متنوعة تختلف من لغة لأخرى كنتيجة لصور الخيار التي تسمح بها اللغات، هذا بالإضافة إلى أن صور الاختلاف بين القواعد " أنقل الـ wh " و " أنقل الـ NP " و " أنقل الـ PP - move " وهلم جرا يمكن أن تفسر إلى حد كبير ( و ربما كلية ) في صور مصطلحات أخرى لدرجة أنه لن يتبقى معنا إلا القاعدة: " أنقل الألفا" a - move ؛ حيث الألفا مقولة اعتباطية . << (1)

ومن أمثلة " أنقل NP " أو إعلاء الموقع في اللغة العربية :

(12) – جاء محمد ، عن طريق التحويل تصبح :

(13) – محمد جاء ... إلخ.

و تستعمل اللغة العربية قاعدة ( إعلاء الموقع ) لنقل العنصر الأكثر أهمية في الجملة،

و ذلك في باب التقديم و التأخير، نحو قوله تعالى: " **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** " (2)

حيث تقدم المفعول به " إياك " لأهميته على الفعل و الفاعل معا. و يستخدم الشعراء هذه

القاعدة للانزياحات الجمالية أيضا، نحو قول المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني:

- **على قدر أهل العزم تأتي العزائم و تأتي على قدر الكرام المكارم.**

حيث قام الشاعر بإعلاء موقع الفعل ( تأتي ) في الشطر الثاني من البيت بغرض ما

يعرف في الأسلوبية بـ ( الانزياح).

(1) المصدر السابق ، ص 154

(2) الفاتحة، الآية 5



وبالنسبة للمبني للمجهول :

- محمد ضرب سعيدا، ( فبالتحويل تصبح ):
- سعيد ضُرب من طرف محمد أو سعيد ضُرب.

وليس ضروريا أن تنطبق هذه القواعد على كل اللغات الإنسانية دون استثناء فهناك لغات لا تنطبق عليها ، >> ففي اللغات تنوع ما في الطريقة التي تطبق بها هذه القواعد السابقة ، وهكذا تنقل في الإنجليزية مركبات الـ wh على حين تظل في مواقعها في اللغتين الصينية واليابانية . << (1)

**ملاحظة:** إن مبدأ الإسقاط و قاعدة انقل ألفا هما مبدآن – حسب تشومسكي – لكن لذيهما العديد من البارميترات.

(1) نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها أصولها و استخدامها، ص 156

## ج- التبعية البنوية Structure – dependency

يؤكد مبدأ التبعية البنوية على أن المعرفة اللغوية تعتمد على علاقات بنوية في الجملة أكثر من اعتمادها على ترتيب الكلمات و تسلسلها ، و لفهم ذلك يتوجب علينا أولاً أن نرسخ مفهوم بنية العبارة ، ذلك أن الفرضية اللسانية منذ عام 1930 بنيت على أساس هو أن الجملة تتكون من مجموعة من كلمات لبناء عبارات معينة .<sup>(1)</sup>

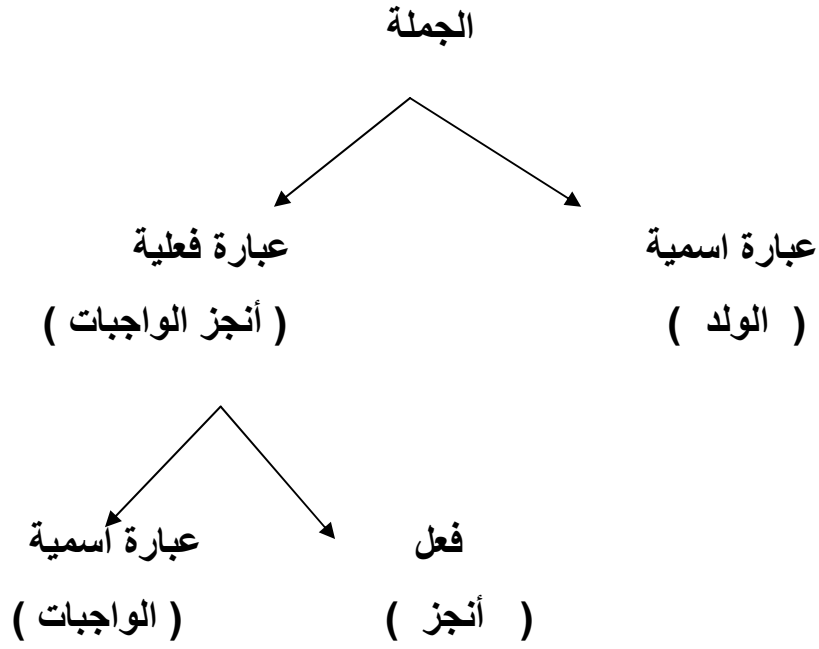
- الولد أنجز الواجبات

هذه الجملة يمكن تقسيمها لقسمين هما:

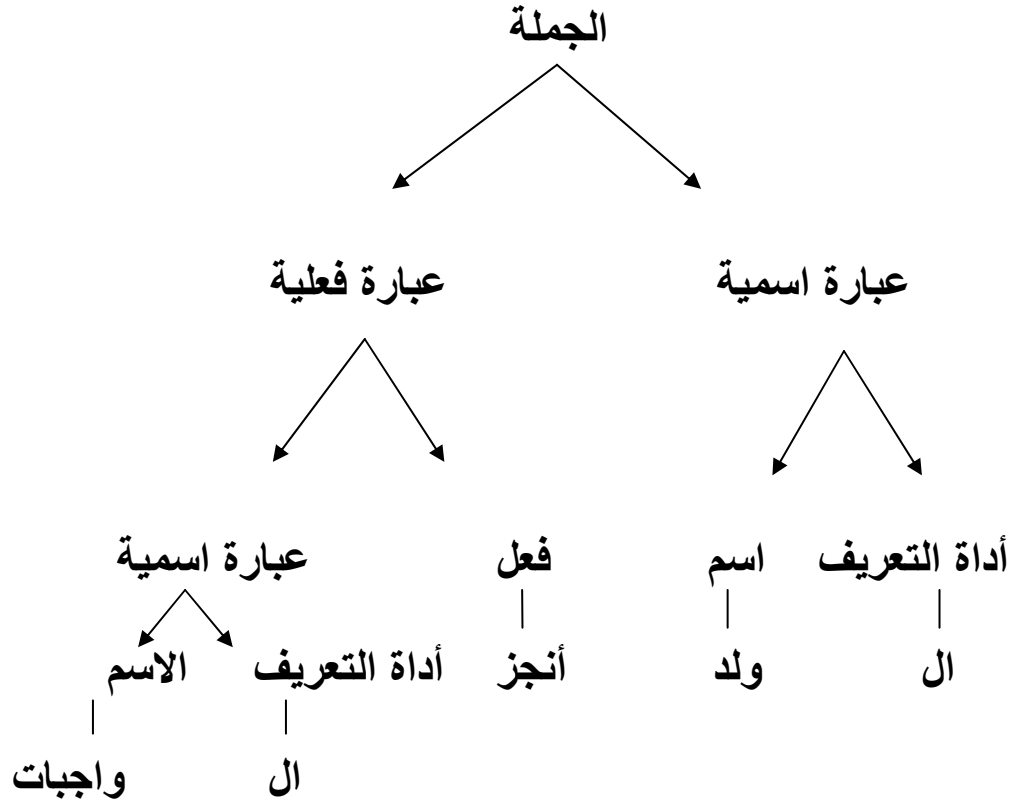
- 1- العبارة الاسمية ( NP ) وهي الولد
  - 2- و العبارة الفعلية ( VP ) وهي أنجز الواجبات، و العبارة الفعلية بحد ذاتها تنقسم لقسمين هما الفعل الماضي أنجز، و المركب الاسمي الواجبات.
- و يمكن أن نمثل لذلك بالمشجر التالي:

---

<sup>(1)</sup> Sadia Qamar, Principles and Parameters of Universal Grammar, presented to : Respected Sir Irfanlodhi Roll No,1, M.Phil, 1<sup>st</sup> Semester, Islamia University, Bahawalpur, p. 3 , from : <http://fr.slideshare.net/cupidlucid/principles-and-parameters-of-universal-grammar-presentation>



و يمكن تقسيم هذه العبارات إلى عناصر أصغر تسمى بالمورفييمات، فالمركب الاسمي ( الولد ) يتكون من ( ال ) التعريف و العنصر المعجمي ( ولد )، و كذلك الأمر بالنسبة إلى الواجبات، و يمكن لنا أيضا تمثيل ذلك بهذا المشجر:



و العنصر المعجمي ( واجبات) في حد ذاته يمكن تقسيمه إلى عنصرين هما: الاسم  
( واجب) و علامة صرفية دالة على جمع المؤنث السالم ( ات).

ليشرح تشومسكي مبدأ التبعية البنوية يفترض أنّ عالماً مريخياً يُطلق عليه اسم  
" جون م " عارف بالعلوم الدقيقة ، غير أنّه لا يحوز أدنى فكرة عن اللغة الإنسانية و بعد  
اكتشافه لهذه الظاهرة الأحيائية أراد دراستها بمنهج العلوم العقلية، فقام بإجراء تجارب على  
متكلمي اللغة الإسبانية مثلا، الذين يكوّنون جملا مثل (2) و أنّهم يعطفون على بعض  
لتكوين بنى أكثر تعقيدا كما في الجملة ( 3):

2 ( أ ) – El hombre está en la casa

( الرجل في البيت )

الترجمة الحرفية هي " الرجل يكون في البيت "

2 ( ب ) – El hombre está en contento

( الرجل سعيد )

( الرجل يكون سعيدا )

3 - El hombre, que está contento, está en la casa

( الرجل السعيد في البيت )

الترجمة الحرفية هي ( الرجل، الذي يكون سعيد، يكون في البيت).<sup>(1)</sup>

و إذا ما أراد متكلمو الإسبانية أن يكوّنوا جملا استفهامية من الجمل (2) و ذلك بنقل الفعل  
( está) إلى مقدمة الجملة ، فينتج ما يلي:

4 ( أ ) – Está el hombre en la casa ?

( هل الرجل في البيت؟ ) ( يكون الرجل في البيت؟)

<sup>(1)</sup> ينظر: نعوم تشومسكي ، اللغة و مشكلات المعرفة، ص 68-69

4(ب)- Est  el hombre contento ?

( هل الرجل سعيد؟ ) ( يكون الرجل سعيدا؟ )

فإذا أراد أن يكون جملة استفهامية من الجملة رقم (3) فإنه قياسا على الجمل السابقة التي تنقل أول ظهور للفعل في الجمل الخبرية ( 2 أ - 2 ب ) إلى بداية الجملة لتكوين الاستفهام ، لنتحصل على هذه القاعدة التي يرمز لها تشومسكي بالقاعدة " ق " وعلى الجملة التالية :

5- Est  le hombre, que contento, est  en la casa ?

( يكون الرجل، الذي سعيد، يكون في البيت؟ )

غير أن هذه الجملة خاطئة في اللغة الإسبانية، و الجملة الاستفهامية الصحيحة للجملة رقم ( 3 ) فهي (6):

6- Est  el hombre , que est  contento, en la casa ?

( هل الرجل السعيد في البيت؟ )

( يكون الرجل الذي يكون سعيدا، في البيت؟ )<sup>(1)</sup>

و عندها يكتشف العالم المريخي فشل فرضيته سيحاول إيجاد فرضية أخرى لتحل محل القاعدة " ق " و هي أن تبحث عن آخر ظهور للفعل ( est  ) و تنقله إلى بداية الجملة، و قد تصح هذه الفرضية مع الأمثلة السابقة لكنها قاعدة خاطئة أيضا، و من هنا سيكتشف " جون م " أن أية قاعدة لتكوين الاستفهام تقوم على الترتيب الخطي للكلمات في الجملة لن تكون صحيحة البتة. لأن القاعدة الصحيحة هي أن يتلمس أول ظهور للفعل الرئيسي في الجملة و يقوم بنقله إلى الصدارة، أي فعل الجملة الرئيسية، و يسمى تشومسكي هذه القاعدة الصحيحة، قاعدة ( ق س ) ( قاعدة صياغة الاستفهام).

<sup>(1)</sup> يُنظر : المصدر السابق، ص 70

و هي قاعدة أكثر تعقيدا من القاعدتين الأخريين فهي تعتمد على تحليل حوسبي معقد لاكتشاف فعل يكون في موضع بنويي. (1)

>> و باكتشاف العالم المريخي " جون م " لهذا كَلِّه فإنّ النتيجة الممكنة الوحيدة التي سيلجأ إلى استنتاجها هي أنّ هناك مبدأً فطرياً من مبادئ العقل / الدماغ الذي يُعطي القاعدة " ق س " على أنّها الاحتمال الوحيد، حين نُعطي أمثلة كالأمثلة البسيطة (2) (3) . فليست القاعدة الخطية البسيطة " ق " احتمالاً مطروحاً للنظر فيه بتاتا. و إذا استمر " جون م " في بحثه فسيكتشف أنّ القواعد كلّها في اللغة الإسبانية و الإنسانية بعامة تشبه القاعدة " ق س " و تختلف عن القاعدة الخطية " ق " في مظهر صوري معتمد على البنية Structure dependent كالقاعدة " ق س " << (2)

>> فمن وظائف النحو الكلي حصر المخرج اللغوي و تقييده في عمليات محددة و قواعد لا يحدد عنها. من المظاهر التي يحددها النحو الكلي مثلا اعتماد العمليات النحوية على البنية Structure dependent، الاعتماد على البنية مفاده أن المتكلم يجري العمليات النحوية ، مثل تحويل الجملة الخبرية إلى استفهامية أو المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول ..، على أساس أن الجملة نظام هرمي من المكونات البنائية المترابطة ، لا على أساس أنها مجرد صف مستقيم من الكلمات المرصوفة المتتابعة ، أو ما يسميه تشومسكي order . Linear . جملة " ضرب الرجل الولد " لا تختلف في بنائها مثلا عن جملة " ضرب الرجل الجالس على الكرسي الولد الواقف على الطاولة " . << (3)

ما يهم في العمليات التحويلية هو أن كلا الجملتين تشتملان على فعل و فاعل و مفعول به، أما تلك الكلمات الزائدة كلها لا أهمية لها داخل القاعدة التحويلية.

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 71

(2) المصدر نفسه، ص 73

(3) سعد عبد الله الصويان، اللغة الإنسانية " طبيعتها و خصائصها "، العصور ( مجلة علمية نصف سنوية ، محكمة ، تعني بنشر البحوث التاريخية و الأثرية و الحضارية ) ، ص 86

>> بناء على ذلك يستنتج تشومسكي أن دماغ الإنسان منظم على شكل قوالب شبه مستقلة بعضها عن بعض إلا أنها تعمل بشكل متناسق مترابط. أحد هذه القوالب يختص بالملكة اللغوية و يمكن أن نسميه " عضو اللغة ". << (1)

و إذا أردنا فهم التبعية البنيوية أكثر فلندرس المثال التالي :

1- كتب الطالب الدرس  
 ↓ ↓ ↓  
 3 2 1

نلاحظ أن هذه الوحدات اللغوية يجاور بعضها بعضا ضمن قوالب نحوية عميقة، فإذا أردنا مثلا أن نصوغ الاستفهام من هذه الجملة فنحولها من جملة خبرية إلى جملة إنشائية ، فإننا نقوم إضافة حرف الاستفهام ( هل ).

2- هل كتب الطالب الدرس؟  
 ↓ ↓ ↓ ↓  
 4 3 2 1

حيث أن ( هل ) عنصر غير مذكور أصلا في الجملة الخبرية.

و الأمر نفسه مع الجملة التالية:

3- اشترى قطعة أرض قدرها كذا  
 ↓ ↓ ↓ ↓ ↓  
 5 4 3 2 1

(1) المرجع السابق ، ص 87

فإذا أردنا أن نصوغ صيغة استفهام من هذه الجملة متسائلين عن هوية المشتري مثلا ،  
فإننا سنضطر إلى إضافة اسم الموصول ( الذي ) و وضعه في المرتبة الثانية على النحو  
التالي:

4- من الذي اشترى قطعة أرض قدرها كذا؟  
↓ ↓ ↓ ↓ ↓ ↓ ↓  
7 6 5 4 3 2 1

و لذا فالترتبة غير ضرورية هنا ، و يمكن لنا من خلال هذه الأمثلة أن نصوغ قاعدة  
استفهام عامة في اللغة العربية ، وهي أن اسم الاستفهام لابد أن يأتي في الصدارة، لكن هذه  
القاعدة لا تقوم على ترتيب العناصر المعجمية في الجمل بقدر ما تقوم على علاقات  
الجمل البنوية بعضها ببعض، وهذا ما يظهر في المثال ( 4 ) من حيث ترتيب عناصر  
الجملة.

و لننتقل الآن إلى أمثلة من اللغة الإنجليزية.

5 - John will arrive tomorrow

1 2 3 4

بالاعتماد على قاعدة " أنقل ألفا " في صورة إعلاء الموقع نتحصل على الجملة التالية:

6- Will John arrive tomorrow ?

2 1 3 4

قد يظن البعض أن الاستفهام في اللغة الإنجليزية يتم بنقل الكلمة الثانية في الجملة إلى  
المرتبة الأولى و نقل الأولى للمرتبة الثانية عن طريق إعادة ترتيب الكلمات في الجملة و  
حسب، ولكن الأمثلة التالية تبين العكس:

7- The gift will arrive tomorrow

1 2 3 4 5



8- Gift the will arrive tomorrow ?

2 1 3 4 5

يبدو هنا أن هذه الصيغة لا تستعمل في اللغة الإنجليزية لأن الصيغة الصحيحة هي:

9- Will the gift arrive tomorrow ?

3 1 2 4 5

و من هنا ، فإنه لو كان متعلم اللغة الإنجليزية أو الطفل أثناء اكتسابه للغته الأم يظن أن تنظيم الجمل قائم على تسلسل و ترتيب الكلمات داخلها لن يتمكن من معرفة أن الجملة رقم ( 8 ) غير صحيحة ، و إنما الجملة الصحيحة هي رقم ( 9 ) .

يُفهم من هذا أن المعرفة اللغوية تعتمد على المعرفة العميقة للبنية الداخلية للجمل ، و في هذه الحالة فإن الناطقين باللغة الإنجليزية يعرفون في مرحلة معينة من أعمارهم أن ( John ) في الجملة رقم ( 5 ) و ( Gift ) في الجملة رقم ( 7 ) هي مكونات متماثلة تسمى بـ " العبارات الاسمية " و التي تسمح لهم ببناء أمثلة صحيحة و هذا يسمى بالتبعية البنيوية.

و على هذا فتكوين الجمل الاستفهامية لا يعتمد بالضرورة على نقل كلمات من مواقع محددة إلى مواقع أخرى في الجملة، بل إنه يعتمد على أنواع الكلمات في حد ذاتها المكونة للجملة. و ما يربطها ببعضها البعض من علاقات بنيوية.

## د - نظرية الثيتا Theta Theory ( نظرية الأدوار المحورية )

ينتقي كل عنصر معجمي عددا من العناصر اللغوية حسب طبيعته ، من ( تعديه ولزومه) ، كما يقوم بانتقاء عدد من المكملات التي تناسبه .  
>> فمثلا يجب أن يكون للفعل " hit " مفعولا به ( منتقى دلاليا ) حتى يأخذ دور المتأثر والمسند predicate ( وبخاصة المركب الفعلي ) يجب أن يكون له فاعل حيث تتحدد الفكرة تركيبيا . << (1)

و من ثمَّ وجب علينا التساؤل : لماذا تنتقي هذه العناصر المعجمية موقعا دون آخر ؟  
ولفهم ذلك فلندرس مثال ( كوك Cook ) التالي :

-The dog chewed the slipper .

الكلب مضغ الشبشب .

( الكلب ) هنا يُفسر على أنه هو الذي قام بفعل ( المضغ ) و ( الشبشب ) هو الشيء الذي تم مضغه ونحن نعرف هذا ليس بفضل معرفتنا التداولية التي تُدرك أن الكلاب تميل إلى مضغ أشياء ، وأن الشبشب هي الأشياء التي تخطف انتباه الكلاب وإذا عكسنا أدوار الفاعل والمفعول به فإننا نتحصل على الجملة التالية :

- The slipper chewed the dog.

الشبشب مضغ الكلب .

تبدو هذه الجملة شاذة ؛ رغم أن الناس لا يزالون يستطيعون فهمها وتفسيرها حتى وإن بدت غير مقبولة (2) .

(1) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها، ص 185 – 186

(2) Cook, Chomsky's uiversal grammar, p. 81

وهذا يعني أن مواقع ( الفاعل subject ) و ( المفعول به object ) مترابطة مع تمثيلات معينة يفرضها النحو. من جهة النظر الدلالية الأمر المعني هنا هو العلاقة بين عناصر معروفة بـ ( مشاركات argument )<sup>(\*)</sup> و (المسندات predicates ) ، والمسند هو الشيء الذي يعبر عن حالة أو صلة ( علاقة) ، بينما المشارك هو الشيء يلعب دورا في تلك الحالة أو العلاقة .<sup>(1)</sup>

وبالعودة للمثال السابق :

- The dog chewed the slipper

فإن المسند هو الفعل ( chewed مضغ) ؛ فهو يعبر عن العلاقة الإسنادية والمشاركان ( arguments ) هما المركبان الاسميان ( الكلب والشبشب ) وهي الأشياء التي شاركت في تلك العلاقة ، ومن ثم فإن الفاعل ( أي فاعل ) يحمل الحدث الذي يصفه الفعل . وهو عبارة عن دور دلالي يُعرف بـ ( العامل agent ) فالكلب هو العامل في المثال السابق ، ثم إن المشارك ( الموضوع ) الذي وقع عليه فعل العامل الذي يتموضع في موقع المفعول به يسمى بالمعمول (patient)، ويمثله الشبشب وهذه القواعد مثل (العامل agent – المعمول patient) تعرف بـ ( قواعد الثيتا thematic roles ) ويرمز لها بـ (  $\Theta$  – roles ).<sup>(2)</sup>

وهذا عكس ما نجده في التراث النحوي القديم فالفاعل هو العامل والفاعل والمفعولات بها هي المعمولات ، يقول تشومسكي : >> نسمي الخصائص الدلالية التي تحددتها الصدور " الأدوار المحورية " ( Themetic roles (  $\Theta$  roles ) ونشير بمصطلح " معيار الثيتا " "Theta Criterion" إلى القيود المفروضة على التحديد الملائم للأدوار المحورية والمركبات الاسمية التي تتطلب أدوارا محورية (مثل the man – John ) – هي مشاركات argument ".<sup>(3)</sup>

<sup>(\*)</sup> ترجمها عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه البناء الموازي ، نظرية في بناء الكلمة و بناء الجملة بـ ( الموضوعات ) ، و ترجمها محمد فتحي بـ ( المشاركات )

<sup>(1)</sup> Cook, Chomsky's Universal Grammar , p 81

<sup>(2)</sup> Ibid, p 81

<sup>(3)</sup> نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها ، ص 186

لاحظ المثال التالي :

- شرب الطفل الماء .

الطفل هو عبارة عن عامل في موقع الفاعل الذي قام بالشرب ؛ الماء هو معمول في موقع المفعول به والذي قام العامل بشربه. ومع ذلك فليس كل فاعل يفسر على أنه عامل وليس كل مفعول يفسر على أنه معمول .

فبمناقشة المثال التالي :

- John sent a letter to mary

( أرسل جون رسالة لماري )

تبيّن أن جون هو العامل الذي قام بالارسال والرسالة هي المعمول وماري لديها دور المتلقي أو المرسل إليه (recipient) مسندة إلى حرف الجر " إلى To " ، لكن ماري تلعب دور الهدف (goal) أيضا ، نحو :

- Mary received a letter form John

رغم أن ماري هي الفاعل لكننا هنا لا يمكن أن نصفها بأنها (عامل agent ) ، ومثاله أيضا :

- The dog saw the slipper

الكلب رأى الشبشب.

الشبشب هو مفعول به ولكنه ليس معمولا لأنه ليس متأثرا بالحدث فهو ليس (patient) ،

ولشرح أوسع لكل هذه المصطلحات التجريدية الجديدة التي استحدثتها تشومسكي ، لنتتبع

المثال التالي :

- البنت تقرأ كتابا .

العنصران المعجميان ( البنت – كتابا) يصطلح عليهما تشومسكي بـ " المشاركات أو

الموضوعات argument "، الفعل ( تقرأ) يسميه بـ " المسند predicate " ، بينما

يطلق مصطلح: مواقع المشاركات وهي ( الفاعل – المفعول به ) ، وهي بمثابة أدوار محورية كما سبق وبيّنا.

إن مواقع المشاركات أو مواقع الأدوار المحورية تختلف باختلاف طبيعة الجملة من فعلية أو اسمية كما أن >> النظام القائم على الترتيب : فعل فاعل مفعول به ؛ ليس ثابتا في اللغة العربية في جميع أحوال التراكيب ؛ حيث يمكن أن يفصل بين الفعل والفاعل بمكون آخر كالمفعول به أو بمكون من المكونات التي لا وظيفة تركيبية لها ؛ كالمكونات التي لا تحمل دورا دلاليا كالزمان والمكان والحال والعلة والمصاحبة وغير ذلك ... << (1)

وهذا يدخل في باب التقديم والتأخير ، وقد أفرد له النحاة وعلماء البلاغة في قسم علم المعاني مباحث جمة ؛ يقول الجرجاني في دلائل الإعجاز : >> واعلم أن تقديم الشيء على وجهين : تقديم يقال أنه على نية التأخير وذلك في كل شيء أقررت مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه ؛ كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ ؛ المفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك : منطلقٌ زيدٌ وضربَ عمرا زيدٌ . معلوم أن " منطلق " " وعمرا " لم يخرجوا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله . << (2)

نلاحظ في هذه الأمثلة التي قدمها عبد القاهر رغم تغيير مواقع العناصر المعجمية ( الموضوعات ) إلا أن أدوارها المحورية مكثت على حالها . فالأمر سيان وظيفيا نحويا إذا قلنا :

- محمد في الدار

( مبتدأ ) ( شبه جملة متعلقة بخبر محذوف تقديره موجود )

- في الدار محمد

( شبه جملة متعلقة بخبر محذوف تقديره موجود ) ( مبتدأ )

(1) حسام البهنساوي ، نظرية النحو الكلي و التراكيب اللغوية العربية ( دراسات تطبيقية ) ، ص 34

(2) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 143

- ضرب زيد عمرا

( فعل ) ( فاعل ) ( مفعول به )

- ضرب عمرا زيْدُ

( فعل ) ( مفعول به ) ( فاعل )

وهذا ما لا يصح في اللغة الإنجليزية مثلا ؛ حيث هناك فرق شاسع بين هاتين الجملتين :

- John saw the old woman

- The old woman saw John

حيث نجم عن تغيير المواقع تغييراً في الأدوار المحورية أيضاً، بينما تسمح العربية بتغيير في الموقع دون تغيير في الأدوار المحورية ، كما تسمح أيضاً بالتقديم الذي يؤدي إلى نقل العنصر المعجمي من حكم إلى آخر أي بتغيير في دوره المحوري وفي ذلك يقول الجرجاني :

>> ... وتقديم لا على نية التأخير ولكنه أن تنتقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعل له بابا غير بابيه ؛ وإعرابا غير إعرابه وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ أو يكون الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذلك وأخرى ذلك على هذا . ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرة : زيد المنطلق وأخرى المنطلق زيد فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنتقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ . وكذلك لم تؤخر زيدا على أن يكون مبتدأ كما كان ؛ بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا . << (1)

يمكن لنا أن نميز بين نوعين اثنين من (أدوار الثيتا  $\theta$  - role ) كما هو واضح في

هذين المثالين :

(1) المرجع السابق ، ص 143 - 144

- كسر عمر النافذة

- كسرت المطرقة النافذة

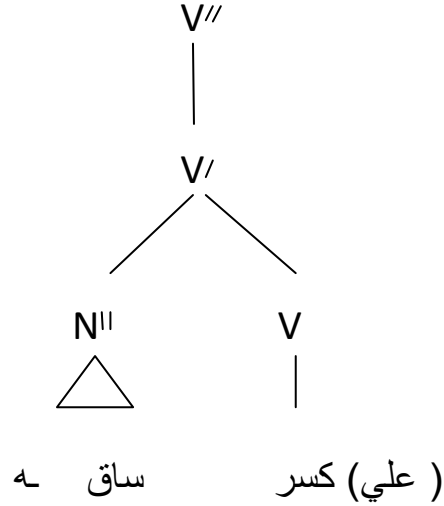
نلاحظ أن فاعل الفعل (كسر) يمكن أن يكون له عدة تفسيرات ممكنة ، إذ يمكن تفسيره بالعامل agent كما في المثال الأول ، ويمكن تفسيره كأداة instrument كما في المثال الثاني ، ونلاحظ في المثال الثاني أن الفاعل (المطرقة) لا يمكن أن تكون عاملا agent رغم أنها أخذت دورا محوريا وظيفيا نحويا ، وهي في الحقيقة فاعل مجازي إذ لا يمكن للمطرقة أن تقوم بالفعل من تلقاء نفسها ؛ الأمر ذاته كما في قولك : (اشتعلت النار)، بينما العنصر المعجمي الذي يأخذ دور المفعول يبقى هو نفسه النافذة و هي هنا المعمول ( المتأثر patient )، مما يعني بأن المفعول به يحدده الفعل نفسه بينما نجد اختلافا كبيرا في المثالين التاليين :

1- علي كسر النافذة

2- علي كسر ساقه

في المثال (1) الفاعل يُفسر على أنه عامل Agent أو حتى وسيلة أو أداة قامت بعمل الكسر، بينما يختلف الأمر في المثال الثاني حيث هناك احتمالات عدة لتفسير هذا التركيب إذ يمكن لنا أن نفهم بأن علي هو الذي وقع عليه فعل الكسر وهو أيضا من قام بكسر ساقه . وفي هذه الحالة المفعول به يعرف كمشارك داخلي ( Internal Argument ) ويعرف الفاعل كمشارك خارجي ( External Argument )، ومن هنا يمكن لنا استخلاص المبادئ التي تحكم مهمة دور ( الثيتا )، المشارك الداخلي هو دائما تكملة للفعل، أو بنيويا هو يعرف كشقيق للفعل أو هو واحد من المكونات التي تديرها وتتحكم فيها الـ "v" وهي بمثابة (أم) لهما كما يوضح الشكل التالي (1) :

(1) Cook, Chomsky's Universal Grammar, p. 83



بداخل (v') لا يوجد سوى فعل يؤثر في المشارك الداخلي ( المفعول به ) كما أن الفعل و مفعوله يلعبان دورا في تحديد الدور المحوري المناسب للفاعل. (1)

- معيار الثيتا (Theta Criterion) : ينص معيار " الثيتا " على أن لكل عنصرٍ

مشاركٍ "argument" دورا محوريا واحدا أو دورا واحدا من أدوار " الثيتا " – θ

"role" ، و كل دور محوري يجب أن يُنسب إلى مشاركٍ واحدٍ فقط نحو المثال التالي :

-The dog chewed the slipper the bone

( الكلب مضغ الشبشب العظم )

في هذا المثال لا يمكن للمشارك ( شبشب ) أو ( عظم ) أن يكونا معمولا "patient" للفعل ( مضغ ) في نفس الوقت، إذ لا يمكن نسب هذا الدور إلى مشاركين اثنين. كما أنه لا يمكن للمشارك الواحد أن يأخذ دورين محوريين في نفس الوقت ، فالمشارك يجب أن يكون فاعلا أو مفعولا به ولا يمكن مطلقا أن يكون فاعلا وفي نفس الوقت مفعولا به ، لا يمكن أن يكون عاملا ومعمولا متأثرا ، ما يعني أن المبتدأ الثاني والمفعول به الثاني لظن و أخواتها

(1) Ibid , p .83



( أفعال القلوب ) لا يمكن أن تأخذ أدواراً محورية  $\theta$  - role على الإطلاق حسب نظرية تشومسكي.

لاحظ المثال التالي :

- ظننتُ زيدا صادقا

- المسند هو الفعل الماضي : ظن

- العامل ( الفاعل agent ) هو تاء المتكلم ( ضمير الرفع المتحرك )

- المعمول المتأثر : زيدا ( مفعول به أول )

صادقا : ( مفعول به ثان ) ، لكنه لا يأخذ دوراً محورياً حسب قيود معيار ( الثيتا ).

**خلاصة :** نظرية الثيتا هي نموذج نحوي للتعامل مع تحديد الأدوار الدلالية ( $\theta$ - roles)

مثل : العامل agent المعمول ( المتأثر ) patient ، الهدف goal التي تؤديها المشاركات

( العناصر المعجمية ) في جملة ما .<sup>(1)</sup>

---

<sup>(1)</sup> Ibid, p. 85

## و – نظرية الحالة Case Theory

لقد نشأت الأفكار الأساسية المتعلقة بهذه النظرية عن دراسة جمل المصادر المؤولة (infintival clauses) ذوات الفاعل ، إذ من خلال هذا التشكل النمطي للمادة اللغوية الممثل في (258) يتوضح أنه بإمكان جملة المصدر المؤول أن تظهر بعد حرف الجر أو بعد الفعل كما في (i) و (ii) و (iii) ؛ غير أنه ليس بإمكانها أن تظهر بعد ( الاسم ) أو ( الصفة ) كما تدل الحالة (iv) و (v) ( قارن بين هاتين الحالتين والحالتين (vi) و (vii) ) ، أو ليس بإمكانها أن تظهر – في الحقيقة – في أي موقع آخر، ومن أمثلة ذلك : الحالتان (viii) و (ix) ( وازن بينهما وبين الحالة (x) <sup>(1)</sup> :

(258)

(i) For [ John to be the winner ] is unlikely.

من غير المحتمل أن يكون جون الفائز

(ii) I 'd prefer for [John to be the winner ]

أفضّل أن يكون جون الفائز

(iii) I believe [ John to be the winner ]

أعتقد جون سيكون الفائز

(iv) The belief [ John to be the winner ]

الاعتقاد جون سيكون الفائز

(v) Proud [ John to be the winner ]

فخور جون سيكون الفائز

(vi) The belief [ that John is the winner ]

الاعتقاد أن جون سيكون الفائز

(vii) Proud [ that John is the winner ]

فخور أنّ جون سيكون الفائز

(1) ينظر : نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها، ص 340 - 341

(viii) \* [ John to be the winner is likely ]

من غير المحتمل كون جون الفائز

(ix) \* I wonder to whom [ John to give the book ]

أتساءل لمن جون ( إلى ) يُعطي الكتاب

(x) I wonder [ to whom John is to give the book ].

أتساءل لمن جون ( إنه ) سوف يعطي الكتاب

توليد هذه الأشكال الصحيحة من هذا القبيل قد يتطلب نظاما قواعديا معقدا نوعا ما ، وأحد المداخل التي توصف بأنها أكثر إقناعا هو البحث عن قيد ما من (قيود الإخراج) output condition التي تُفرض على البنية *س* لتصفية ما لا يجوز من الحالات ثم السماح بعدئذ للقواعد البسيطة أن تطبق دوما قيود سياقية ، وافترضت المحاولة الأولى التي اتجهت هذه الواجهة وجود مصفأة تؤدي دورها بوصفها أداة للتخلص من البنية *س* غير الجائزة .<sup>(1)</sup> فمن خلال الأمثلة السابقة يتضح أن جملة المصدر [ John to be the winner ] التي تأتي في صورة *Np- to – Vp* غير صحيحة إلا إذا سبق *Np* ( عبارة اسمية ) بحرف جر أو فعل كما في الحالات (i) (ii) (iii)<sup>(2)</sup>، و لذا فإن الحالات المتبقية غير صحيحة.

يريد تشومسكي من خلال كلامه هذا أن يفترض أنه يتم توليد العديد من الجمل أمثال الجمل السابقة داخل ذهن المتكلم، و بالتحديد داخل البنية - *ع* ثم تمر بالعديد من التحويلات إلى أن تصل البنية - *س* ذات الآثار، التي تفرض قيودا كثيرة على هذه الجمل قبل أن تخرج و تنتقل إلى مستوى الصورة الصوتية ( *PF* ) و هذه القيود يسميها تشومسكي بـ " مصفأة الحالة " .

(1) ينظر : المصدر السابق ، ص 342

(2) ينظر : المصدر نفسه ، 342

يقول تشومسكي : >> وتلزم الأحكام الخاصة بالمادة اللغوية في (258) عن مصفاة

تمنح البنى س المتخذة صورة التركيب NP – To – VP ؛ الذي لا تكون فيه المقولة NP

ضمًا (\*)؛ إلا إذا ما جاء هذا التركيب بعد فعل أو حرف جر . << (1)

إن نظرية الحالة تقوم بتحديد حالات إعراب الأسماء في المركبات الاسمية داخل

الجملة ، فهي تتكفل بإسناد الحالات الإعرابية المجردة وتحقيقها الصرفي المحتمل . و لذا

فقاعدتها العامة هي >> كل مركب اسمي يتحقق صوتيا يجب أن يُخصص له حالة Case

( تجريدية ) <<. (2)

تساعد نظرية الحالة على معرفة الأمثلة الصحيحة من الخاطئة في الجمل .

لاحظ الأمثلة التالية :

1- He saw me

2- He saw I

3- Him saw me

4 - I saw him

5- I saw he

6- Me saw he

7-Me saw him

إن الأمثلة 2-3-5-6-7- غير صحيحة لأن الضمائر (Me - تترجم للعربية بالضبط في

صور: ياء المتكلم نحو ( هو ضربني ) و ( أنا - أنا ) - (Him - هـ، نحو ضربه) (He هو)

و هذه الضمائر ليست في حالتها الصحيحة .

وتنشأ ( الحالة ) من عناصر معينة فالأفعال تُعين حالات المفعولات لها . وحروف

الجر تعين حالات الأسماء التي تدخل عليها ؛ و الأسماء تبين حالات الفاعلات .. إلخ

(\*) الضم هو أن يتحقق الفاعل صوتيا

(1) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها، ص 342

(2) المصدر نفسه ، ص 154

تتحقق " الحالة case " في بعض اللغات الصرفية لكنها لا تتحقق في بعضها الآخر، ومع ذلك فتشومسكي يفترض وجود " حالة " تُعين بطريقة مطّردة سواء عُبر عنها صرفيا أم لا. (1)

يتجاوز عمل نظرية الحالة إذن – حسب تشومسكي- حدود الحالة الإعرابية >>بمعناها التقليدي ؛ أي كل ما يطرأ على أواخر الكلمات من تغييرات إعرابية، سواء بحسب موقعها في الجملة، أو في علاقتها بعناصر أخرى في الجملة التي تعمل فيها . وتتكلف نظرية ( الحالة ) الإعراب بإسناد الحالة (لات) الإعرابية المجردة للمركبات الاسمية والحالة الإعرابية مفهوم مجرد ليس من الضروري أن تتحقق صوتيا ؛ أي أن تظهر في البنية السطحية للجملة . فإذا كانت اللغة العربية تعبر عن الحالات بكيفية ... واضحة ، فاللغة الإنجليزية أو الفرنسية ليس فيها حالات محققة في سطح الجملة وبعبارة أخرى ؛ الإعراب سمة ... مجردة تملكها جميع اللغات الطبيعية ؛ سواء كانت أنسقتها الصرفية تحقق هذه السمة في صورة صرفية بارزة تلتحق بأخر الكلمة هو الحال في اللغة العربية. << (2)

من اللغات التي لا تحقق " الحالة " صرفيا اللغة الإنجليزية، و لكن تشومسكي يريد أن يُبرهن أن هذه اللغات التي لا تحقق " الحالة " صرفيا تملك حالات مجردة تُنسب إلى المركبات الاسمية التي تشغل مواقع معينة ، كموقع المفعول به الذي يُنسب إلى المركبات الاسمية التي تشغله حالة تُعرف بـ " حالة المفعولية " .

أمّا في اللغة العربية فيُعبّر صوتيا عن " حالة المفعولية " هذه بالنصب. و العربية تحقق " الحالة الإعرابية " في أغلب العناصر المعجمية نطقا ليس في المركبات الاسمية فقط، بل أيضا في الأفعال . و حتى تلك الأفعال التي لا تُحقق " الحالة الإعرابية صوتيا " نحو : " الفعل المضارع المعتل الآخر ( يقضي، يبقى ) على سبيل المثال لا الحصر " فإن النحاة يقدرّون له " حالة الرفع "، فنعرب الأفعال السابقة إذا لم تدخل عليها أدوات الجزم و الشرط ( فعل مضارع مرفوع و علامة رفعة الضمة المقدرة على الياء منع من

(1) ينظر: المصدر السابق، ص 154

(2) مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى المعيار البرنامج الأندوني ، ص 331

ظهورها الثقل أما الثاني فهو فعل مضارع مرفوع و علامة رفعه الضمة المقدرة على الألف المقصورة منع من ظهورها التعذر).

لاحظ الأمثلة التالية من العربية :

- قدم الإبن هديةً لأمه .

- إنَّ العلمَ نورٌ .

- مررتُ بالوليدِ

نلاحظ أن الحالة الإعرابية متحققة لفظيا في هذه الأمثلة لكن في اللهجات العامية للناطقين باللغة العربية لا يحققونها في حديثهم . غير أن هذا لا يعني أن هذه اللهجات المحلية العربية لا تحمل إعراب الرفع والنصب والجر ؛ لكن هذا الإعراب مجرد ، >> فجميع الأنساق الصرفية سواء أحققت الإعراب أم لم تحققه تملك الإعراب المجرد . وهذا يعني أن نظرية الإعراب (\*) مستقلة عن التحقق الصرفي . فما يحدد إعراب المكون ليس الصورة الصرفية الإعرابية التي يحملها ولكن موقعه التركيبي كما في نظرية المبادئ والوسائط . تعالج نظرية الإعراب إذن مسألة الوسم الإعرابي المجرد أو المحقق بحسب طبيعة النظام الصرفي للغات الطبيعية ، فالإعراب تسنده عادة العناصر العاملة مثل الفعل أو الحرف ...؛ وتتقيد النظرية الإعرابية بالمصفاة التي تقضي بأن ينتقي كل مركب مملوء معجميا حالة إعرابية . << (1)

وهناك نوعان من الإعراب :

### 1- إعراب بنيوي Structural Case :

ويسمى أيضا بالإعراب الموسوم وهو محكوم بمفهوم العمل كالرفع والنصب والجر مثلا، فهناك حالة تسند الرفع للفاعل بينما يسند الفعل حالة النصب للمفعول به وهكذا ..

### 2- إعراب ملازم Inherent Case أو إعراب دلالي :

(\*) يطلق مصطفى غلفان على نظرية الحالة اسم نظرية الإعراب.  
(1) مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية ، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأندوني ، ص 331

وهو الذي يلحق المركب الاسمي في إطار العلاقة الدلالية القائمة بين المركب الاسمي وعامله . ويسنده الاسم أو الحرف أو الصفة محوريا (1) ، بمعنى يجب أن يُسند لكل موضوع أو مشارك مثلا ( الرجل ؛ المرأة ؛ الولد ؛ القطة... إلخ ) دور محوري أو موقع ( فاعل ؛ مفعول به .. إلخ ) فإذا كان هذا المشارك ( الموضوع ) موسوم محوريا وجبت له حالة إعرابية ما . فالدور المحوري (الفاعل) تُسند له حالة الرفع والدور المحوري المفعول به تسند له حالة النصب وهكذا ..

### - مصفاة الحالة Case Filter

يعد مبدأ مصفاة الحالة مبدأ أساسيا في نظرية الحالة ومفاده أن كل مركب اسمي محقق صوتيا ينبغي أن يكون له حالة إعرابية معينة .

إن نظرية الحالة هي نموذج من القواعد التي تحدد توزيع المركبات الاسمية (NPs) خلال شرط ، وهو أن كل المركبات الاسمية يجب أن تكون لها حالة موقعية في البنية - س - تُعرف بمصفاة الحالة .

ومواقع الحالة حسب تشومسكي هي :

- الأفعال وحروف الجر تحكم وتسم المفاعيل كالمنصوبات .

مثل :

-John saw him

-John showed the picture to him

- الأسماء والصفات لا تسم مفاعيلها ولذلك فهي لا تملك مكمل لمركب اسمي صريح في

البنية - س - مثل :

- A picture him

- Fond him

(1) ينظر: المرجع نفسه ، ص 331

ومع ذلك إذا وُضع الحرف الزائد "of" مكملات المركبات الاسمية أو الصفات يسمح لها بالظهور على السطح مثل :

- A picture of him
- Fond of him <sup>(1)</sup>

إنّ بتطبيق المصفاة على مستوى البنية - س، يتم إسناد الإعراب تبعاً للقيّد البنيوي الذي ينص على أنّ هناك علاقة عاملية بين مسند الإعراب والمقولة الموسومة إعرابياً .

وعوامل الإعراب بحسب تشومسكي هي :

- الرفع ويسنده ( عامله ) التتابع .
- النصب ويسنده الفعل .
- المائل ويسنده الحرف .
- الجر ويسنده حرف الجر . <sup>(2)</sup>

يقول تشومسكي: >> نلخص هذه المناقشة لنظرية " الحالة" مع الاستمرار في افتراض وجود مصفاة " الحالة" ، كما يحددها قيد التهيوّ المفروض على الوسم المحوري . فنظرية " الحالة" تحدد خصائص الوسم "الحالي" . وتميز الحالات البنيوية كحالاتي الرفع والمفعولية ؛ التي تحدد في صورة مواقع البنية س من الحالات الجوهرية ؛ كحالة الجر / النصب ؛ وحالة الإضافة التي تحدد البنية د وترتبط بالوسم المحوري عن طريق قيد الاتساق . فحالة الإضافة تتحقق إما عن طريق إقحام عنصر الملكية "poss" وإما عن طريق إقحام حرف الجر "of" ... << <sup>(3)</sup>

ويجدر الذكر أن نظرية الحالة لا تعمل بمفردها بل تتضافر مع عدة مبادئ لنظريات أخرى نحو مبادئ نظرية x-bar ونظرية الربط ، ومعيار الثبنا وقاعدة أنقل ألفا ( move-a ) إضافة إلى عدد من المبادئ العامة كمبدأ الإسقاط والمقولات الفارغة

<sup>(1)</sup> Cook , Chomsky's Universal Grammar, p .76

<sup>(2)</sup> ينظر: مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأندوني ، ص 332

<sup>(3)</sup> نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها ، ص 368



## ثانيا : المبادئ الفرعية ووسائط النحو الكلي

### أ - نظرية العامل و الإحكام الربطي ( Government & Binding Theory )

توجد في جميع الألسن الإنسانية وحدات لغوية لا يمكن تأويلها إلا عن طريق ربطها بعناصر لغوية أخرى سابقة لها في البناء التركيبي ، وهذه العناصر اللغوية السابقة بمثابة المرتكزات التي تمنح القيمة الإحالية للعناصر أو للوحدات اللغوية التابعة لها.

>> و نظرية الربط تعني أصلا بالإحالة المشتركة لتعبيرين اثنين وطبيعة السياق النحوي الذي يحكم هذا الاشتراك في الإحالة، إذ قد يشترك تعبيران في الإحالة إلى شيء معين . << (1)

تتمثل العناصر الأساسية المكونة لنظرية الربط في:

- العائدات Anaphors وهي عناصر تحتاج إلى عناصر أخرى تشترك معها في القرينة و الإحالة و تضم العائدات: ( الضمائر الانعكاسية مثل : - نفس + ضمير : نفسه / نفسها و متبادل العلاقة ( بعضهم بعض ) في الإنجليزية ( each other ) و في الفرنسية Les uns les autres . ) و يطلق تشومسكي على هذه العناصر التي تحمل علاقة متبادلة اسم " The reciprocal pronouns "، فالعائدات Anaphors تشمل الضمائر الانعكاسية و على عبارات متبادل العلاقة فقط.

- المضمرات Pronominals وهي الضمائر بصفة عامة .
- العبارات المحلية Expressions Référentielles أو R- expressions ( Referential expressions ) وهي العبارات التي ليست لا عائدة و لا

(1) مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ، ص 171

ضميرية مثل أسماء الأعلام: زيد، عمرو وما شابه ذلك . و لا تتطلب العبارات المحلية أي قرينة أو سابق ترتبط به و تأخذ منه إحالتها . و العبارات المحلية حرة لأنها لا تملك عائدا يسبقها و تقترن به.

- آثار المركبات الاسمية، وهي الآثار التي تتركها المركبات الاسمية المنقولة من مكانها الأصلي إلى مكان آخر داخل الجملة أو خارجها.
- العناصر الفارغة، وهي الوحدات التي لا تتوافر سطحيا على أي شكل صوتي محقق. (1)

إن العائدات و الضمائر بصفة عامة تختلف في طريقة عملها من لسان لآخر، إلا أنها تتفق جميعها في كونها محدودة العدد في جميع اللغات، و يأتي دور نظرية الربط في ضبط العلاقة البنيوية التي تحكم بين هذه العناصر اللغوية و العناصر السابقة لها.

>> تتميز العلاقة بين العائدات و سوابقها بخاصتين:

أ- إنها علاقة إجبارية، إذ كل عبارة عائدة لا يحدد سابقها ( المركب الاسمي ) هي دون شك عبارة غير نحوية.

ب- إن علاقة الإحالة Référence بين العائد و سابقه تقع في مجال محلي Domaine Local معين، بمعنى أن مجال المراقبة Contrôle محدد بالمجال الذي يربط العائد بسابقه أو يفصله عنه داخل الجملة أو خارجها.

إن المضمرات و رغم توافرها على دلالة و إحالة خاصة بها، فإنها تظل عامة، و لا يمكن تأويلها في سياق عبارة محددة إلا بربطها بالعناصر التي تحدد محيلاتها Référents، فالضمير و سابقه يرتبطان لتحديد المحيل المشترك بينهما، وهو ما يعرف بالإحالة المشتركة Co- Référence . و على عكس العلاقة العائدة، فإن الإحالة المشتركة تتميز بكونها غير إجبارية و غير محدودة Bornée و يعني كونها غير إجبارية، أن العلاقة بين الضمير و سابقه لازمة لتأويل المحيل، لكنها ليست إجبارية. وكون هذه

(1) ينظر: مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية ، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي ، ص

العلاقة غير محدودة، فلأنه لا يمكن صياغة القاعدة الصورية و لا التنبؤ بشأن المجال الذي يمكن أن يكون فيه الضمير لكي يأخذ قيمته الإحالية مع سابقه، و بالتالي فإن ما يصبح هاما بالنسبة إلى التحليل اللساني في هذه التراكيب هو مظاهر انفصال الإحالة. << (1)

لمفهوم " العمل " دور مركزي في نظرية العامل و الإحكام الربطي ( GB ) ، ذلك أنّ العنصر الذي يعمل في غيره يجب أن يسند له دورا محوريا ما بموجب عمله فيه، و في ذلك يقول تشومسكي: <> نقول بأن العنصر a يربط العنصر B إذا ما كان العنصر الأول يتحكم مكونيا في العنصر B و يشترك معه في القرينة، ويربط العنصر a محليا العنصر B إذا ما كان العنصر الأول يربط الثاني ، و لم يكن هناك عنصر آخر هو العنصر Y على نحو يربط فيه العنصر a العنصر y و العنصر y العنصر B . << (2)

معنى هذا الكلام أن العنصر ( اشترى ) في جملة :

- اشترى الولد لعبةً

يعمل في العنصر ( لعبة ) إذ قام بوسمه محوريا أي منح له دورا محوريا وهو كونه مفعولا به للعنصر ( اشترى ) ، وهذا أمر تشترك فيه جميع اللغات الإنسانية فمثلا في اللغة الإنجليزية الفاعل يعمل في المفعول به و ذلك أثناء وسمه له محوريا كما في المثال التالي:

- The man saw the boys

( رأى الرجل الأولاد )

الفاعل The man عمل في المفعول به The boys و وسمه محوريا أي منحه الدور المحوري في كونه ( مفعولا به ).

و تبين لنا الأمثلة التالية مجال عمل نظرية الربط:

1- أهلك علي نفسه

(1) المرجع السابق، ص 324

(2) نعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها و استخدامها ، ص 305

## 2- عليُّ ضربه

نلاحظ أن هاتين الجملتين تحتويان على ثلاثة أنواع من العناصر الأساسية المكونة لنظرية الربط:

- العبارات المحلية و تتمثل في اسم العلم : علي
- المضمرات: الهاء في ضربه
- الضمائر الانعكاسية: نفسه

العبارات المحلية ( أسماء الأعلام) هي نماذج حرة لا صلة لها بتعبيرات أخرى سابقة لها داخل الجملة، و بالتالي فإن اسم العلم ( علي) هو تعبير محيل يقع خارج السياق اللغوي في الجمل ( 1) و الجملة ( 2) ، أما المضمر ( ه) في العنصر المعجمي ( ضربه) فهو يحيل إلى عنصر آخر غير مذكور في الجملة ، أما الضمير الانعكاسي ( نفسه) فإنه مرتبط بالعنصر المعجمي ( علي) وهو يحيل عليه.

لكن هناك حالات في اللغة العربية مثلا لا يحيل فيها الضمير الانعكاسي على العنصر الأول الذي يقع في نفس جملته مثل:

- علي ظن أن محمدا ضرب نفسه

فالهاء في نفسه هنا لا تحيل إلى العنصر المعجمي الذي يحتل الصدارة في الجملة ( علي) و إنما تحيل إلى محمد، ولذلك فإن تحديد مجال الربط >> هو محط اهتمام نظرية الربط، فهي تحاول أن تصف بدقة السياقات التي يتحقق فيها الربط بين العبارات بأنواعها المختلفة، أو متى تشترك هذه العبارات بقرينة واحدة. <<<sup>(1)</sup>

تتمثل الضمائر الانعكاسية Reflexive pronouns في اللغة الإنجليزية في :

( himself- herself- themselves- yourself-itself )

(1) مرتضى جواد باقر ، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ، ص 173

أما المضمرات فقد تشمل الضمائر الشخصية personal pronouns، و الضمائر الشخصية في اللغة الإنجليزية تنقسم إلى ضمائر الفاعل Subject، و ضمائر المفعول به Objects :

- 1 - ضمائر الفاعل هي : I ( أنا ) - You (أنتَ - أنتِ ) - he ( هو ) - she ( هي ) - it ( هي / هو لغير العاقل ) - we ( نحن ) - you ( أنتم - أنتم ) - they ( هم - هن ) .
- 2 - ضمائر المفعول به و هي : me ( يقابلها في العربية ياء المتكلم في ضربني ) - you ( يقابلها في العربية كاف المخاطب للمؤنث و المذكر في ضربك ، ضربك ) - him ( الهاء في ضربه ) - her ( الهاء في ضربها ) - it ( هـ ، ها العائدة لغير العاقل، ضربه ، ضربها ) - us ( ضمير جماعة المتكلمين "نا" في ضربنا ) - you ( كم ، ضربكم ) - them ( هم ، هن مثل ضربهم ، ضربهن ) .  
بمناقشة هذه الأمثلة التي أوردتها كوك:

(120) a- John said that Bill admires himself

( جون قال أن بيل يحب نفسه )

b- John said that Bill admires him

( جون قال أن بيل يحبه )

c- He said that Bill admires John

( هو قال أن بيل يحب جون )

تبيّن لنا أنّ الفرق بين ( 120 a ) و بين الجملة ( b120 ) هو كون المفعول به في

(a) ضميرا انعكاسيا ، بينما المفعول به في (b) هو ضمير شخصي متعلق بالـ

"object" . و في الجملة (120 a) الضمير الانعكاسي يفسر على أنه يعود على ( بيل

Bill ) ، و (John) لا يمكن أن يكون سابقه its antecedent ، بينما في الجملة

(120b) الضمير الشخصي (him) لا يحيل إلى (بيل Bill) و ( John ) هو سابقه الذي

يربطه داخل البناء التركيبي للجملة ، كما يمكن أن يحيل على شخص خارج الجملة تماما. (1) و ذلك نحو المثال السابق في اللغة العربية : عليُّ ضربه.

و بالعودة إلى أمثلة كوك Cook ، نلاحظ في الجملة (120c) أنّ الضمير الشخصي (He) لا يحيل إلى (John) و لا إلى (Bill) ، و من هنا يظهر أنّ العناصر المعجمية يجب أن تظهر مع خصائصها الإحالية المعينة في مواقعها البنيوية المحددة داخل التراكيب شريطة أن تكون متعلقة و مرتبطة بسوابقها. (2)

من خصائص الضمير الانعكاسي هو أنّه يجب أن يحيل إلى عنصر قريب منه ، و ذلك ما يكشفه لنا المثال (120 a) :

- John said that Bill admires himself

و هذا ما يكشفه المثال السابق في اللغة العربية أيضا:

- عليّ ظن أن محمدا ضرب نفسه

بينما الضمائر الشخصية ( المضمورات ) تتصرف بشكل مغاير تماما عن العائدات ( الضمائر الانعكاسية و ذوات العلاقة المتبادلة ) حيث لا يشترط فيها أن تكون المسافة بينها و بين محيلها قريبة، بل ليس ضروريا أن تشترط مُحِيلا ( سابقا ) لها أصلا ، مثل :

a : George thinks the girls like him .

( جورج يظن أنّ الفتيات يحببنه )

b : He left (3)

( لقد غادر )

(1) Cook, Chomsky's Universal Grammar, P.162

(2) Ibid, p. 162

(3) Ibid , P. 163

نلاحظ من خلال المثال (a) أنّ الضمير ( him ) العائد على ( جورج ) بعيدٌ جدا عن سابقه ( جورج ) أما المثال (b) فإن المضمرة ( he ) لا يملك ضميرا يحيل إليه أصلا.

و أمّا العبارات المحلية فهي حرّة تماما ، و من أمثلتها :

- قال أنها تحب محمدا .

( محمد ) عبارة محلية لا تحيل إلى أي ضمير داخل الجملة وهو عنصر مستقل.

ويمكن لنظرية الربط بمبادئها العامة أن تحدد بشكل صوري و مضبوط نوعية العلاقة بين العناصر المضمرة و سوابقها، و مجال مراقبتها و حدود إسناد الإحالة المناسبة. و مبادئ نظرية الربط هي:

أ- كل عائد مربوط في مقولته العاملة أو العائد يجب أن يُربط محليا

ب - كل ضمير حر في مقولته العاملة، أو المضمرة Pronominals يجب أن تكون حرة محليا ( A pronominals must be free locally )

ج - العبارات المحلية حرة (An r- expression must be free everywhere) (1)

يمكن التمييز بين العبارات الاسمية السابقة وفقا >> لسمتين هما [ + عائد ] ،

[ + مضمرة ] ، و على النحو التالي:

مضمرة	عائد
-	- ضمائر النفس ( الانعكاسية ) +
+	- الضمائر -
- << (2)	- التعبيرات المحلية -

(1) ينظر : مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية ، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي،

ص 325

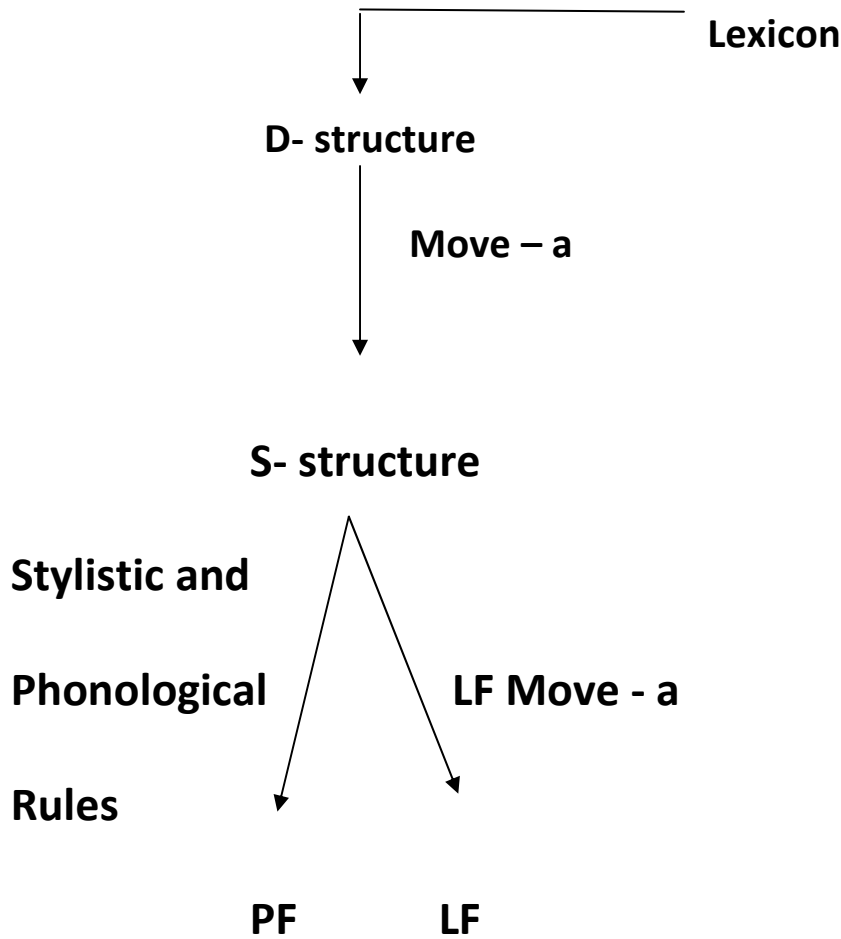
(2) مرتضى جواد باقر ، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ، ص 176

يُفترض أن نظرية العامل و الربط جزء من أي لغة معينة، تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية ذلك أنها جزء من النحو الكلي (UG).

ومن وجهة نظر نظرية العامل و الربط ( GB ) يمكن تقسيم قواعد النحو الكلي إلى عنصرين أساسيين هما:

- مستويات التمثيل و نظام القيود ( Representation and a System of constraints ).  
تفترض ( GB ) نمودجا اشتقاقيا يتكون من أربعة مستويات تمثل

كما يُظهر الشكل التالي (1) :



(1) Cheryl A. Black, A step – by step introduction to the Government and Binding theory of syntax. November. 1998, Sil- Mexico Branch and University of north Dakota, p. 2



تشكل القوائم المعجمية ( The lexicon Lists ) خصائص العناصر المعجمية، إنها بمثابة وحدات ذرية في بناء الجملة ( التركيب). هذه الخصائص تتضمن المشاركات ( المواضيع) الفئات الفرعية .. إلخ.

يتم دمج العناصر المعجمية في البنية – د D- structure ( البنية الكامنة ) حيث يتم تحويل البنية – د إلى البنية – س بحيث أن التمثيل النحوي يعكس بشكل وثيق ترتيب الجملة.

تقوم البنية – س بتفسير نفسها مباشرة ، بل تُنقل إلى الصورة الذهنية Logical Form ( LF ) و إلى الصورة الصوتية Phonological Form .

" PF " ( الصورة الصوتية) هي السطح أين تجتمع الأصوات و الأشكال ، و تتمثل تجمعات العناصر مباشرة.

" LF " ( الصورة المنطقية) هي السطح حيث تتمثل الدلالة، علاقات الإسناد.. و يتم تمثيل أنواع مختلفة بشكل واضح في بنية العبارة في المستوى " LF " (1)

هذه المستويات مرتبطة ببعضها البعض بواسطة قاعدة أنقل ألفا Move- a التي تتمركز بين البنية – د ، و البنية – س و نفس القاعدة تنقل البنية – س إلى الصورة المنطقية.

تسمح القاعدة Move – a بنقل أي عنصر إلى أي مكان ما دام نظام القيود هو

المسؤول في تقديم نظرية العامل و الإحكام الربطي GB خطوة بخطوة. (2)

أي أن النظام النحوي لنظرية العامل و الربط تتكون من أربع مستويات تمثيلية وهي:

- البنية – د D- structure

- البنية – س S- structure

(1) Cheryl A. Black, A step – by step introduction to the Government and Binding theory of syntax. P. 2

(2) Ibid, p. 2 - 3

- الصورة المنطقية Logical Form

- الصورة الصوتية Phonetic Form

تمثل البنية - د الوظائف المحورية، ففي هذا المستوى التمثيلي ينبغي ملء جميع المواقع المحورية. أما المواقع اللا محورية فتترك فارغة. و تشكل البنية - د نقطة انطلاق الاشتقاق حيث تبنى المؤشرات المركبية التي تمثل مخارج عمليات البناء المركبي و الإدماج المعجمي، و تشكل البنية - د مداخل لعمليات التحويل و بما أن ( بنية - ع) تمثل مكان اشتغال قواعد بناء المركبات و الجمل ، فهي تشكل الموقع الطبيعي لتجسيد ظاهرة التكرارية في اللغة Recursivity ...

أما البنية - س فتشكل نقطة انشطار الاشتقاق، حيث ترسل نسخة من الاشتقاق التركيبي إلى الصورة الصوتية للتأويل الصوتي، و أخرى ترسل إلى الصورة المنطقية للتأويل الدلالي. (1)

تعتبر البنية - س في نظرية العمل و الربط مستوى تمثيلا مجردا، لأنها تتضمن طبقة من العناصر الفارغة تسمى الآثار غير موجودة في التمثيلات العميقة، و يشكل هذا المستوى مدخلا للقواعد التي تشتق الصورة المنطقية حيث يتضمن المعلومات الضرورية لتمثيل الخصائص الدلالية و التأويلية ما دامت الآثار مزودة بالسماط الدلالية، و العناصر المنقولة ترد أدوارها المحورية في البنية العميقة. و يضبط هذه العملية قيد السلاسل.

لقد أصبحت البنية السطحية مدخلا للقواعد التي تشتق بنية السطح وهو ما جعل منها مستوى مركزيا للتحليل في النحو، باعتبارها تمثيلا مجردا يتوسط العلاقة بين الشكل و المعنى. (2) و لذا أصبحت تمثيلا مجردا يخالف تماما في معناه ووظيفته معنى البنية السطحية في النظرية التوليدية التحويلية ، و أصبح يُرمز لهذا التمثيل بـ " البنية - س "

أو S- structure

(1) ينظر : مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية ، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأندوني ، ص

(2) ينظر : المرجع نفسه ، ص 345

يتم في البنية – س إسناد الإعراب فهو بمثابة المكان الذي تعمل فيه مبادئ نظرية الحالة، و كذلك يتم تطبيق مبادئ نظرية الربط بها . و كذلك هي : >>

- ميدان الأسوار الفارغة
- مجال مناسب لانطباق بعض مظاهر مبدأ المقولات الفارغة
- موضع اشتغال قيود النقل مثل قيد التحتية.
- المكان المناسب لوصف الاختلافات بين اللغات . << (1)

يمثل المعجم Lexicon مخزن يخترن كل المعلومات المميزة حول كلمات اللغة في شكل مداخل معجمية يتعلمها الطفل أثناء مراحل نموه اللغوي عند الاكتساب، و تمثل قواعد النقل Movements rules الوسيلة التي تنتقل العناصر و تُحلها محل أخرى. و بتطبيق مبادئ نظرية الربط و نظرية الحالة على مستوى البنية – س يتم تصفية كل الاشتقاقات غير المرغوب فيها، ذلك أنّ البنية – س تمثل ميدانا رحبا لعمل العديد من المصافي.

تختص الصورة الصوتية Phonetic Form بالتمثيل الصوتي، أما الصورة المنطقية Logical Form فتهم بالتأويل الدلالي. و يكون النظام الحوسبي الوسيط بين الصورة المنطقية و الصورة الصوتية.

>> و قد قدمت عدة اقتراحات بصدد العمليات النحوية التي تنطبق في المجال الصوتي و الدلالي المنطقي، فمثلا مبدأ المقولات الفارغة يصفي الاشتقاقات التي تتضمن آثارا غير مسوغة Licensed في الصورة المنطقية، و ينطبق قالب الربط و المراقبة في ( ص ق ) ( الصورة المنطقية) كما أن إجراء النقل أثناء الانتقال من ( ب س ) ( البنية السطحية ) إلى ( ص ق ) ( الصورة المنطقية ) هو الإجراء نفسه المطبق للانتقال من ( بنية – ع ) إلى ( بنية – س ). الفرق أن الأول ظاهر و الثاني خفي. و بما أن ( ص ق ) و ( ص ص ) ( الصورة الصوتية ) غير مترابطين بشكل مباشر فإن خرج النقل بعد ( بنية

(1) المرجع السابق ، ص 390

– س) أي ما يتم في ( ص- ق) ليس له أي انعكاس أو أثر ملحوظ في ( ص ص) مثل نقل المركب الاستفهامي في ( ص ق) أو تعويض المبهم أو تصعيد المنعكس. << (1)

البنية - د بنية مجردة، تولد تراكيب مجردة تنتقل للبيئة - س حيث مركز اشتغال نظرية الربط و الحالة. تتم هنا عملية التصفية، تصفية الاشتقاقات التي تحمل آثارا ناتجة عن عمل مبدأ الإسقاط و المقولات الفارغة التي تخلف آثارا واضحة، فتقوم هذه البنية بتصنيفها في الصورة المنطقية قبل أن تنتقل إلى المستوى الصوتي.

>> و تضمن مجموعة من المبادئ توافق الاشتقاق و استمرار المعلومات في جميع المستويات التمثيلية، فمبدأ الإسقاط يضمن المحافظة على المعلومات المحورية في مجال الاشتقاقات اللاحقة في ( بنية - ع) و ( بنية- س) و ( ص ق)، و لذلك يعد اللجوء إلى الآثار ضرورة لا مناص منها للمحافظة على الخصائص المحورية و البنيوية المرمزة في ( بنية - ع)، فإذا كان الفعل مثلا، ينتقي فضلا أو فضلتين في ( بنية - ع) ينبغي أن يشار إلى ذلك في ( بنية - س) و ( ص ق) .

ويشمل المكون التحويلي على قاعدتين: ( اربط و انقل )، فبموجب القاعدة الأولى تحمل المركبات الاسمية قرائن بشكل حر أيضا، لكن القاعدتين تولدان البنى اللاحقة بشكل مفرط ، و دور القوالب الحد من القدرة التوليدية الفائقة للقاعدتين فالقوالب بتفاعلها تهيئ المؤشر المركبي لاستقبال تأويل موقف في ( ص ص) و ( ص ق). << (2)

(1) المرجع السابق ، ص 390

(2) المرجع نفسه ، ص 390

## ب - نظرية X-bar ( وسيط الرأس The head parameter<sup>(\*)</sup> )

تهتم نظرية ( X-bar ) بوصف العلاقات البنيوية بين الوحدات في الجملة وهي في ذلك تشترك مع قواعد بنية العبارة ( Phrase Structure Rules ).

و تجدر الإشارة هنا إلى أن الباحثين العرب قد ترجموا ( X-bar ) إلى عدة ترجمات مثل ( نظرية س-خط ) و ( نظرية س ) و نظرية ( السين - بارية ) وغيرها من الترجمات ، و قد ارتأيت أن أتركها على اسمها ( نظرية X-bar ) لتجنب كل هذه الترجمات.

تختلف نظرية ( X-bar ) عن قوانين بنية العبارة في كونها >> تحاول تجسيد الخصائص العامة لبنى العبارات جميعها و ليس توصيف بنية عبارة بعينها في هذه اللغة أو تلك. و تقوم بذلك باستخدام مبادئ عامة تولف جزءا من القواعد الكلية. و تفترض هذه النظرية أن كل العبارات تتكون من رأس ترافقه مكونات أخرى. و الرأس يكون من نفس الفصيطة التي تنتمي إليها العبارة أو بعكس ذلك - تسمى العبارة باسم الفصيطة المعجمية التي ينتمي إليها رأسها. فالعبارة الفعلية رأسها فعل و العبارة الوصفية رأسها صفة و الاسمية رأسها اسم ... و هذا مبدأ عام من نظرية س يمكن أن يصاغ على هذا النحو.

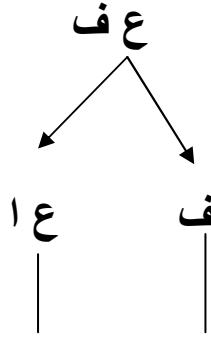
(10) ع س ← ..... س << (1)

>> و تقضي هذه النظرية كذلك بأن هناك فصائل معجمية رئيسة أربعة هي الاسم و الفعل و الصفة و حرف الجر ترأس العبارات المعجمية و هي ع ا، ع ف، ع ص، ع ح. إن كل عبارة من هذه العبارات تتصل بفصائل كلمات رئيسية و التي تصنف وفقا لها المداخل المعجمية في المعجم. فالمدخل المعجمي - أي المادة المعجمية - كتب تنتمي إلى الفصيطة

(\*) The Head Parameter معناها الحرفي من الإنجليزية إلى العربية (وسيط الرأس - أو متغير الرأس)، و ترجمه مصطفى غلفان و آخرون في الكتاب ( اللسانيات التوليدية ، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى ) إلى ( المتغير الوسيط )

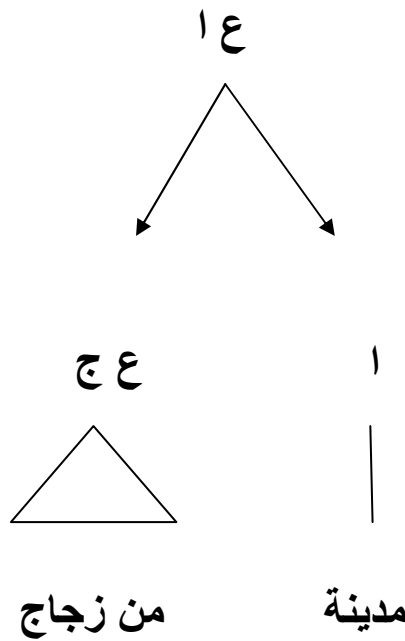
(1) مرتضى جواد باقر ، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ، ص 98- 99

المعجمية " فعل " و هي إذن تتسم بأن لها أن ترأس عبارة فعلية و ليس عبارة اسمية في  
البنية النحوية. << (1)



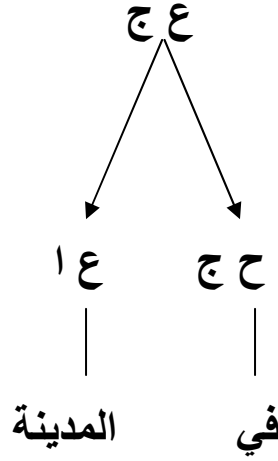
ذهب      الطفل

و في العبارة الاسمية يكون التمثيل على النحو التالي:

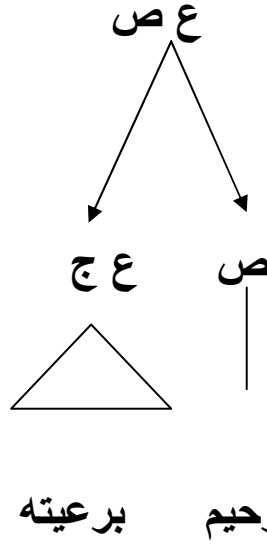


و في عبارة الجر يكون التخطيط على النحو التالي:

(1) المرجع السابق ، ص 99



و في عبارة الوصف ( ع ص ) التي ترأسها مادة معجمية من فصيلة الصفة يكون التخطيط على النحو التالي:

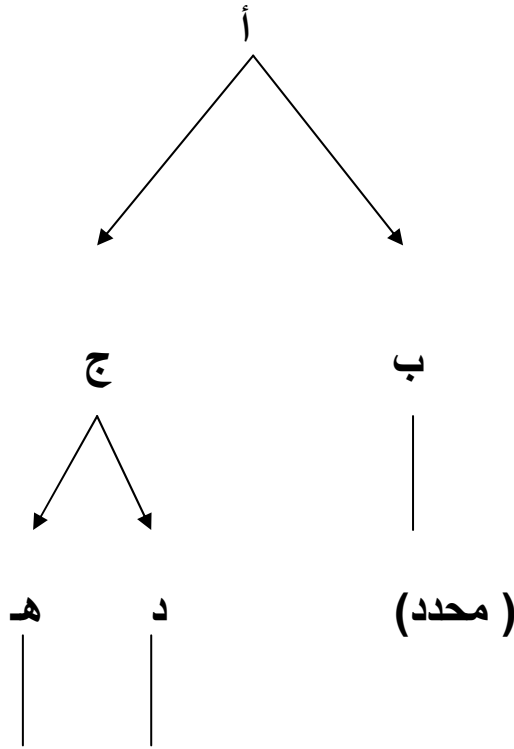


من الملاحظ في هذه الأمثلة أن الرؤوس المعجمية تحتاج لمكملات لا غنى لها عنها  
Complements. فمثلا :

- مكمل العبارة الفعلية " كتب الدرس " هو " الدرس "
- مكمل العبارة الاسمية " التلميذ مجتهد " هو " مجتهد " أو " التلميذ يجتهد " مكمل الرأس هو الجملة الفعلية من الفعل و الفاعل المستتر المقدر " يجتهد " .
- مكمل عبارة الجر " في القسم رجل " هو " القسم رجل "

- مكمل العبارة الوصفية " بار بوالديه " هو " بوالديه "

إنّ ورود هذه المكملات في العبارات ... من السمات المعجمية لرأس العبارة و  
بعبارة أخرى فإن سمات الفعل ( كتب ) المعجمية – و منها أنه فعلٌ متعدّد- تقضي بأن يليه  
مكمل في أي بنية نحوية يرد فيها. إن العبارات لا تتكون من رأس و مكملات وحسب، بل  
إنّ هناك في العبارات المعجمية جزءا آخر هو محدد العبارة Specifier . وعلى هذا فإن  
لنا أن نفترض أن بنية العبارات تتألف من مستويين و على النحو التالي:



(1) ( رأس ) ( مكمل )

و خلافا لما هو سائد من أنّ المحدد >> في اللغات الأجنبية كل ما يكمل الفعل أو  
الصفة ببيان زمانه أو مكانه أو حاله أو بيان نوعه أو توكيده و يقابله في العربية

(1) ينظر : مرتضى جواد باقر ، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ، ص 101

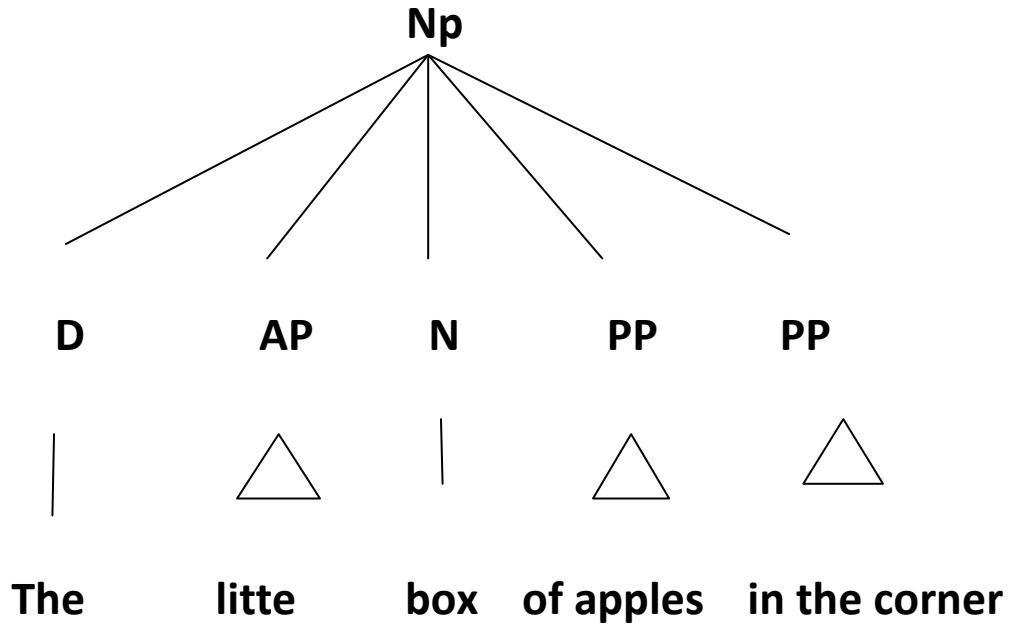


متعلقات الحدث كالظرف و الحال << (1) ، فإن المحدد لا يكون فضلة أبدا ، فهو عنصر مهم للغاية في الجملة .

و يمثل المحدد أداة التعريف ( ال ) في اللغة العربية و ( the ) في اللغة الإنجليزية و ( le - la - les ) في الفرنسية .  
لاحظ المثال التالي الذي رأسه اسم .

- The little box of apples in the corner

لنضع لها المشجر التالي :



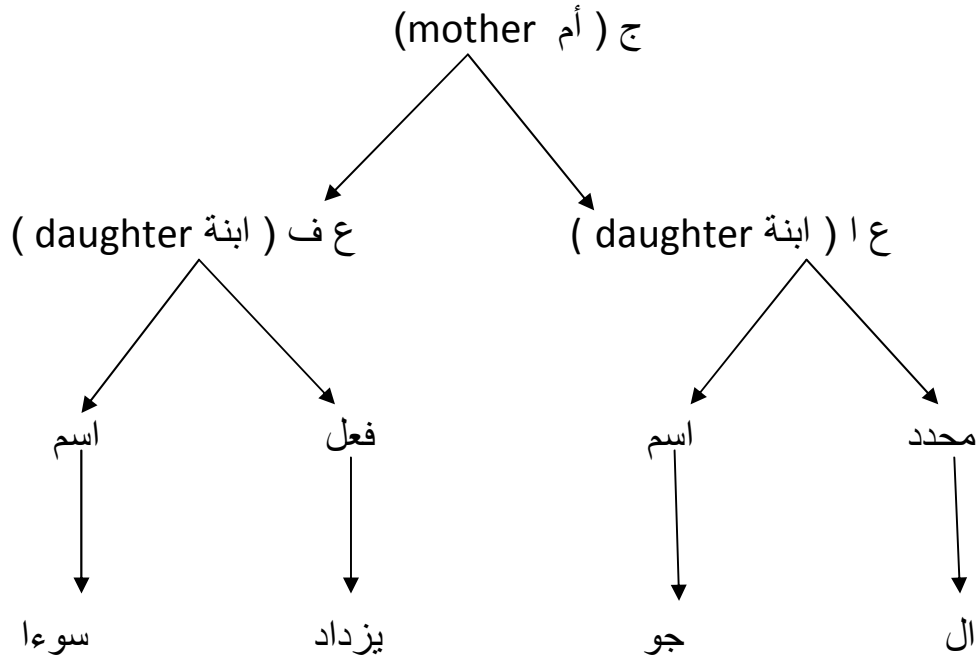
**حيث :**

- D يمثل أداة التعريف
- AP تمثل عبارة وصفية
- N تمثل الاسم

(1) محمد رشاد الحمزاوي ، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حوليات الجامعة التونسية، ص 56.

- PP عبارة حرف الجر، حيث الرأس هو Box ( الصندوق) و PP ( in the )  
 (corner) و Ap ( little ) هي مساعدات adjuncts أو مكملات بينما حرف  
 التعريف ( the ) هو المحدد.

إنّ العقدة العليا في رأس المشجر تسمى بـ الأم ( Mother ) و الفرعين اللذين  
 يتفرعان عنها يُعرفان بالبنات ( Daughters ) وهما تُعدان أختين ( Sisters ). و قد  
 تكون إحدى هاتين الابنتين ( Daughters ) أمّا ( Mother ) أيضاً، و لديها بنات هي  
 الأخرى<sup>(1)</sup>، مثل الجملة التالية " الجو يزداد سوءا " :



فالعبارة الاسمية ( الجو ) و العبارة الفعلية ( يزداد سوءا ) هما ابنتان أو ( أختان )  
 و في الوقت ذاته تمثلان " أمّين " لعناصر معجمية أصغر.

في نظرية ( x-bar ) يستخدم الرمز ( X ) كرمز يعبر عن جميع الفصائل  
 المعجمية ( الاسم – الفعل- الحرف- الصفة ... إلخ )، و يرمز للمستويات المختلفة لبنية  
 العبارة بالخطوط و لهذا سميت نظرية ( X-bar )، و لذلك فقاعدتها العامة هي :

<sup>(1)</sup> Cheryl A. Black, A step – by step introduction to the Government and Binding theory of syntax , <http://www.sil.org/americas/mexico/ling/E002-IntroGB.pdf> [February 1999] , p. 5

XP —————> specifier... X'

X' —————> X<sup>0</sup> ..... complement <sup>(1)</sup>

يعبر (XP) عن كل العبارات المعجمية سواء أكانت فعلية أم اسمية أم حرفية أم وصفية، ويكون ( X' ) بمثابة مكون يضم رأسا معجميا هو ( X<sup>0</sup> ) مع المكملات بشرط أن يسبقه المحدد ( specifier ) ، و لذا فهي قاعدة عامة من قواعد النحو الكلي، لكن ثمة نقطة

يجب الانتباه إليها ، فهذه القاعدة تنص على أن مكملات الرأس Complements of head يجب أن تقع على يمين الرأس ، لكن دراسة اللغات الإنسانية بيّن أنه ليست كل اللغات تضع مكملات رؤوس العبارات على يمين الرأس كما في اللغة الإنجليزية ، ومن ثم فإن الرأس في اللغة الإنجليزية يمثل Head- left ، بينما نجد في العربية أن مكملات الرؤوس سواء في المركب الاسمي أو الفعلي أو الحرفي تقع بعد الرأس و تتبعه، و بالتالي فهي تثبت وسيط الرأس بشكل مغاير عن اللغة الإنجليزية ، و من ثم فإن اللغة العربية تمثل وسيط الرأس وفق Head- right مثلها مثل اللغة اليابانية ، ما يعني أن قيد نقل الرأس يختلف من لغة لأخرى وهذا يعني أن مصطلح Head- right / Head- left يندرج ضمن الوسائط أو المتغيرات و ليس ضمن المبادئ.

و الأمر ذاته مع تموضع المحدد، فليست كل اللغات الإنسانية تضع محدداتها على يسار الرأس كما في الإنجليزية مثلا، فالعربية تضع المحدد على يمين الرأس، كما تبين الأمثلة التالية.

- The boy draws a nice picture.

المحدد ( the ) جاء على يسار الرأس ( boy ) في العبارة الاسمية ( the boy )، كما أنّ المكمّل ( a nice picture ) جاء على يمين الرأس أيضا ، بالتالي فإن الرأس اختار موقع اليسار.

(1) Ibid, p . 5

أما في العربية فنجد خلافا لذلك:

- المطر يهطل مدارارا.

المحدد ( ال ) جاء على يمين الرأس ( مطر ) ، ومكمل العبارة الاسمية ( يهطل مدارارا )  
جاء على يسار الرأس ( المطر ).

ومن هنا فإن قواعد X-bar في النحو الكلي تصبح على النحو التالي (1) :

SVO	XP → Specifier X'	VOS	Xp → X' Specifier
	X' → X <sup>0</sup> Complement (s)		X' → X Complement (s)
SOV	Xp → Specifier X'	OVS	Xp → X' Specifier
	X' → Complement(s) x <sup>0</sup>		X' → Complement (s) X <sup>0</sup>

حيث أن (XP) كما قلنا سابقا تمثل كل العبارات المعجمية ( فعلية، اسمية، وصفية  
وحرافية )، و ( X' ) هو مكون يضم رأسا معجميا Head.

و تمثل (SVO) اللغات الإنسانية التي تُبنى جملها على الشكل ( من اليسار إلى اليمين):

- مكمل + فعل + رأس ( محدد )

و تمثل (VOS) اللغات الإنسانية التي تُبنى جملها على الشكل (من اليسار إلى اليمين):

رأس (محدد) + مكمل + فعل -

و تمثل (SOV) اللغات التي تُبنى جملها على الشكل ( من اليسار إلى اليمين):

(1) Ibid, p. 19

- فعل + مكمل + رأس ( محدد )

و تمثل (OVS) اللغات التي تبني جملها على الشكل ( من اليسار إلى اليمين ):

- ( محدد ) رأس + فعل + مكمل

وفقا لهذه القواعد تختار اللغة الإنجليزية الشكل الأول حيث يكون المحدد قبل

الرأس ( أي على يسار الرأس) الذي يكون بدوره قبل الفعل و المكمل ، بينما تختار اللغة العربية نفس القاعدة التي تختارها الإنجليزية لكن علينا أن نعكس اتجاه القاعدة فتصبح من اليمين إلى اليسار ، حيث يكون المحدد أولا ( على يمين الرأس)، و يكون الرأس على يمين ( الفعل) و ( المكمل) ( أي قبلهما ).

لقد استحدث تشومسكي توظيفا جديدا لخصائص المعجم ، حيث >> يقدم المعجم

لكل عنصر معجمي صورته الفونولوجية ( المجردة ) وما يمكن أن يرتبط بها من خصائص دلالية وسوف يكون ضمن هذه الخصائص " الخصائص الانتقائية " selectional properties لصدور التراكيب وهي الأسماء والأفعال والصفات والأدوات ( حروف الجر أو حروف الجر اللاحقة ؛ وذلك بالاعتماد على الكيفية التي تتحدد بها في اللغة الباراميترات الخاصة بالترتيب بين الصدر وتكملته the heads compement parameters . << (1) ، ذلك أن لكل لغة معايير معينة في ترتيب أجزاء الجملة فإذا كانت الجملة في الإنجليزية على سبيل المثال تبدأ في الغالب بالفاعل subject ثم بعد ذلك تنتقل إلى الفعل ثم المفعول به( من اليسار إلى اليمين) فإن نظام النحو في العربية يسمح بابتداء الجمل بالفعل أو بالاسم على السواء ( من اليمين إلى اليسار) . وهذا ما يسميه تشومسكي بالبراميترات التي تميز بين اللغات الإنسانية . فمثلا العربية تقبل هذه الجمل :

- عاد الرجل من العمل .

- الرجل عاد من العمل .

(1) نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها أصولها و استخدامها ، ص 173

فاللغة العربية تسمح بنقل الفعل إلى الصدر ( صدر الجملة) أو جعله في المرتبة التالية،

بل تقبل حتى أن تبتدأ الجملة بالحرف مثل : " من العمل عاد الرجل متعبا " ، بينما لا تسمح قواعد اللغة الإنجليزية بذلك ، إذ لا يجوز في الإنجليزية هذه الجملة :

- Saw he the boy yesterday.

ولفهم الخصائص الانتقائية نلاحظ – على سبيل المثال - أن المدخل الخاص بالكلمة

"hit" مثلا سوف يحدد أنها تأخذ تكملة دورها الدلالي هو تلقي الحدث recipient of

action أو متأثرا به (patient) وأن لفاعل كلمة "hit" دور دلالي يتحدد تركيبيا. (1)

معنى هذا أن الفعل "hit" ( ضرب ) الذي نفترضه صدرا في تركيب معين، هذا

الفعل يحدد نوع التكملة التي تكمل بناء الجملة التي هو جزء منها . وهذه التكملة يجب أن

تكون متأثرة به ، ولفاعل هذا الفعل حضور تركيبى أي أنه لا يمكن أن تكون مقولة فارغة

وأن المدخل المعجمي لكلمة persuade " يقنع" يأخذ تكملتين هما : غاية الحدث أو الهدف

منه goal وقضية المدخل المعجمي proposition . والمركب الذي يكون الفعل

persuade صدرا له سوف ينسب دورا محدد للفاعل . وهذا يسمى بالانتقاء الدلالي

(2) smantic selection .

أي أنه لوضع كلمة في سياق ما >> نحن نحتاج لمعرفة السمات المتنوعة للكلمة ... كل

مدخل معجمي في المعجم الذهني يحتوي على كم هائل من المعلومات حول كيف يمكن

للكلمة الواحدة أن تتصرف في الجمل فضلا عن معناها . معرفتنا اللغوية تحوي الألاف

من مدخلات الكلمات الترميزية ومعانيها . << (3)

وهذه المدخلات الترميزية هي من يحدد موقع الكلمة في الجملة ويحدد نوعية الكلمات

التي تأتي بعدها أو تكملات الكلمة الصدر . فمثلا المدخل المعجمي لكلمة persuade

" أقنع " في الأمثلة التالية :

1-John persuade that he should go to college

(1) ينظر : المصدر السابق ، ص 173 - 174

(2) ينظر : المصدر نفسه ، ص 173

(3) Cook , Chomsky's Universal Grammar, p 8

2-John persuade to go to college

3-John persuade of the importance of going to college.

لا تحتاج إلا >> إلى بيان أن يتطلب تكملتين ، إحداهما هدف والأخرى قضية ، وأما السمات الأخرى للمركب الفعلي الذي صدره الفعل persuade فتحدد جميعا عن طريق الخصائص العامة للنحو الكلي . فالطفل الذي يتعلم اللغة الإنجليزية يجب أن يتعلم بالطبع معنى كلمة persuade بما في ذلك خصائصها المتعلقة بالانتقاء الدلالي ؛ كما يجب أن يتعلم أيضا بالنسبة للغة الانجليزية قيمة البارامتر المتعلق بالترتيب بين الصدر والكلمة ( أن الصدر يقع أولا ) << (1)

و من هنا فإن الرأس الوسيط The head parameter ليس من المبادئ بل من الوسائط، و يقوم هذا الوسيط >> بتحديد ترتيب بعض العناصر في اللغة، بشرط أن يكون العنصر الأساسي في كل عبارة هو رأسها. << (2)

لاحظ الأمثلة التالية:

- The girl studys hard for her exam

( الفتاة تدرس بجد لأجل امتحانها )

المكون الاسمي أو العبارة الاسمية: ( The girl ) رأسها هو ( girl ) وهو هنا جاء بعد المحدد ( the ) ، أما العبارة الفعلية ( studys hard ) رأسها هو الفعل ( studys ) ، و عبارة الجر ( for her exam ) يرأسها حرف الجر ( For ).

لاستيعاب دور المكمل Complement أفضل دعونا ندرس الأمثلة التالية:

❖ - In the NP ( في العبارة الاسمية )

- Education for life

(1) نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها و أصولها و استخدامها ، ص 176

(2) Sadia Qamar, Principles and Parameters of The Universal Grammar, p . 9

الرأس ( Education ) يظهر على يسار المكمل ( For life ).

❖ - In the VP

- Showed her way.

حيث الفعل الماضي ( showed ) الرأس، و العبارة ( her way ) عبارة عن تكملة  
(complement)

الخلاصة :

الإمكانات المتاحة لوضع الرأس في اللغات الإنسانية هي:

- - Head- left
- - Head- right



## ج - وسيط إسقاط الضم The Pro-drop parameter

وسيط إسقاط الضم ظاهرة تركيبية مفادها أن موقع الفاعل في بعض اللغات لا يشغله أحيانا عنصر محقق صوتيا، و يثبت هذا الوسيط في بعض اللغات إيجابا، و في لغات أخرى سلبا. (1)

و يطلق عليه غالبا وسيط الفاعل الفارغ The null subject parameter ووظيفته أنه >> يحدد إذا كان فاعل ما يمكن قمعه ( إخفاؤه) أم لا، بمعنى إذا ما كانت اللغة يشغلها فاعل واضح << (2) أم لا. أي أن هناك لغات إنسانية لا يظهر فيها الفاعل بشكل واضح كاللغة الإيطالية مثلا، يمكن لها أن تستخدم الترتيب التالي:

- Sonoil , tricheco  
( أنا فظ )

التي تقابلها الترجمة الإنجليزية:

- Am the walrus

و هذه الظاهرة في اللغة الإنجليزية غير نحوية Ungrammatical ، حيث نلاحظ غياب الفاعل [ I ] من الترجمة الإنجليزية و الأصل هو:

- I am the walrus

قد يقول البعض أن هذه الظاهرة موجودة في اللغة العربية في صيغة المبني للمجهول نحو:

- ضُرب الولد.

حيث يغيب الفاعل الحقيقي الذي قام بفعل الضرب لأن الولد إنما هو ( مفعول به معنئاً) لأنه واقع عليه الفعل، ولكن ذلك و إن صح مبدأياً فلا يصح في اللغة العربية ، لأن

(1) مصطفى غلفان و آخرون ، اللسانيات التوليدية ، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي ، ص 495  
(2) Sadia Qamar, Principles and Paramerters of The Universal Grammar, p . 21

المفعول به من المنصوبات و كلمة الولد جاءت مرفوعة ، و لهذا قدم النحاة تأويلا لذلك بأن يكون الولد نائب فاعل لأنه يحمل مواصفات الفاعل و أولها الرفع، و لا تصح في العربية الجملة : ( ضُرب الولد ) فهذه جملة غير نحوية، وهي مخالفة لقواعد اللغة العربية. و لكن قد يقال أن هناك حالات في اللغة العربية يحذف فيها الفاعل. و لا يرد في التركيب لفظا صريحا و لا تكون له صورة نطقية في المستوى الصوتي Phonetic Form، مثل:

- جاءت تضحك

فالفاعل هنا محذوف و غير محقق صوتيا لأن ( التاء ) إنما هي علامة تأنيث و هي علامة لا محل لها من الإعراب. إذن اللغة العربية من اللغات التي قد لا يتحقق فيها الفاعل صوتيا ، لكن النحاة قد لا يقرون بهذا فهم يلجأون للتأويل و يقدرّون الفاعل المحذوف بضمير مستتر تقديره ( هي ).  
في حين لا يمكن لنا أن نقول في الإنجليزية :

- Draws the picture.

فهي جملة غير نحوية و تحتاج للفاعل. لأن اللغة الإنجليزية من اللغات التي لا تقبل وسيط إسقاط الضم في الجملة الخبرية، فهي قائمة على هذه القاعدة شأنها شأن اللغة الفرنسية:

Subject+ Verb+ Object

بينما نجد أن اللغة الإيطالية و الإسبانية و العربية تسمح بهذه القاعدة وهي قاعدة سليمة نحويا:

Verb+ Object

و من أمثلة ذلك في العربية:

- اشترى قلما

فالفاعل هنا غير محقق صوتيا حتى و إن قدره النحاة، فما يهم تشومسكي هو أنه لم يلفظ.

و لذلك فإن Pro-Drop هو وسيط أو متغير و ليس مبدأ principle . أي يمكن أن تسمح به بعض اللغات الإنسانية فقط.

## - خاتمة -

إذا كانت لسانيات دو سوسير تصف الواقع اللغوي مستندة إلى إشكالية تنقل ماهية الشيء نقلا أميناً فإنّ لسانيات تشومسكي تهتم بإشكاليات أعمق، يراها صاحبها بأنها الأجدر بالدراسة والبحث. هي إشكاليات تعني بأسباب حدوث الأشياء وبالعناصر الدفينة الكامنة وراء ذلك الحدوث وذلك انطلاقاً من تساؤل يقوم على : لماذا ؟ وهو منطلق يتخذ من هذا الاستفسار ذريعة للولوج للتأويل والتفسير ثم يركز عليهما للتنظير .

ومن ثمّ فإنّ أهم النقاط التي استخلصها هذا البحث هي :

- تحول موضوع الاهتمام في البحث اللساني الحديث أدى إلى إعادة صياغة كثير من الإشكاليات القديمة التقليدية المتعلقة بدراسة اللغة الإنسانية كمشكلة أفلاطون ومشكلة ديكرت، ومحاولة الإجابة عنها بطريقة تنشد الكثير من العلمية لأن هذا التحول جعل علم اللغة علماً دقيقاً شأنه في ذلك شأن علوم الدماغ و علم الأحياء.
- إن تحول دراسة اللغة من الوصف إلى التأويل أفاد العلوم الإدراكية المعاصرة وعلوم التربية والتعليم وأسهم بشكل كبير في تقديم نظريات شاملة في اكتساب اللغة الأولى وتعلم اللغة الثانية، بل قد شكل خطوة هامة استندت إليها العلوم الطبيعية: كعلم الوراثة وعلوم الذكاء و علوم الأعصاب ، إذ اعتمدت على نظريات لغوية جاء بها تشومسكي ( النحو التحويلي والنحو الكلي ) في مقارنة مواضيعها التجريبية .
- إن التركيز على دراسة اللغة المبنية داخليا جعل البحث اللساني يقوم على صور التمثيل العقلية التي تقف وراء الكلام و إدراكه وعلى الأسس والقواعد ؛ والتنظيم المعقد الذي ينتج اللغة المجسدة و ينتج عددا لا نهائياً ومتنوعاً من أحداث الكلام، ما يجعلنا ندرك عمق القضايا التي طرحها تشومسكي و هو يطور نظرياته

ويرتقى بها بعد العديد من التعديلات والتغييرات إلى نظريات تجريدية باللغة التعقيد.

- لقد وجدنا اهتماما بالغا باللغة الكامنة في النفس " أو توخي معاني النحو في النفس " عند عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم . إذ يبدو أن تشومسكي لم يكن سباقا في دراسة البنية الداخلية للغة أو اللغة المبنية داخليا.
- ثمة العديد من الإجراءات اللسانية المنبثقة عن نظريات خاصة بقضايا اكتساب اللغة كمسألة السماع مثلا قد لاقت مجالا واسعا للنقاش والبحث عند بعض أعلام التراث العربي كابن خلدون .
- رغم الرواج الذي لاقت نظرية النحو الكلي في الأوساط اللغوية و داخل مجالات عديدة كعلوم الأعصاب و الوراثة و البيولوجيا ، إلا أنّ كبار اللسانيين أمثال الفرنسي أندريه مارتنيه ورومان جاكبسون ، و عظماء علم النفس كجان بياجيه يشككون في الدعامة الأساسية التي بنى عليها تشومسكي صرحه اللساني الضخم الذي يحوي العديد من النظريات الرياضية التجريدية المعقدة ، فمثلا فكرة فطرية اللغة الإنسانية قد لاقت رفضا من العديد من الدراسين و الفلاسفة في الوطن العربي و في العالم الغربي على السواء.
- لم تفلح النظرية السلوكية لسكينر " نظرية الإشرط الاستثابي" في تقديم تفسير دقيق لعملية اكتساب الأطفال للغة، إلا أنّ اعتماد مبادئ الإشرط الاستثابي في التعليم و التدريس قد يحقق نتائج طيبة كما يقول الخبراء.
- إنّ اكتساب اللغة لا يعتمد على الذكاء إطلاقا حسب تشومسكي، حيث أكد أنّ الإنسان يكتسب أية لغة مهما كان مستوى قدراته الذهنية المتعلقة بالذكاء ضئيلا. غير أننا وجدنا جان بياجيه يرى أنّ اللغة " تُشكل أساس بنية الذكاء أو هي نتاج الذكاء" لدى الإنسان ، و قد تبيّن مع بعض آراء الباحثين اللغويين العرب مثل أستاذة اللسانيات في جامعة " نيويورك" و " جورج تاون" ( سهير السكري ) تفوق الأجيال العربية القديمة عن الأجيال العربية الحديثة التي تعتمد على العامية، و ذلك بفضل تحفيظ الأجيال السابقة للطفل القرآن في الكتاب

و الزوايا مما يجعل تلك الأجيال تستوعب عددا كبيرا من الكلمات في سن مبكرة و بالتالي إطلاق للإبداع و تنمية للذكاء.

- إن نظرية " الارتقاء الطبيعي لداروين " و إنّ كان مسؤم بها عند البيولوجيين الغربيين كتفسير لأصل الكائنات الحية، غير أنّها تقف عاجزة تماما أمام تفسير أصل اللغة الإنسانية و هذا باعتراف علماء البيولوجية أنفسهم أمثال " ستيفن بنكر " في كتابه " الغريزة اللغوية " ، و باعتراف اللسانيين أمثال ( رومان جاكسون ) و ( تشومسكي ) نفسه ما دفعه إلى اقتراح ما يسميه بـ " الخصيصة اللامتناهية " التي ظهرت عند الإنسان ضمن إحدى طفراته البيولوجية قبل 200,000 سنة خلت كما أكد لي هو نفسه في رسالته الإلكترونية.
- بإدخاله العديد من النماذج الرياضية على تحليلاته اللسانية، جعل تشومسكي نظرياته أكثر تعقيدا و غموضا من ذي قبل ، إذ يصعب حتى على الدارس المتخصص – في كثير من الأحيان- فهمها.
- مع كل هذه الجهود الجبارة التي بذلها تشومسكي لا يزال يشكك في وصول الدراسات اللسانية الحديثة و حتى دراسات علماء الأعصاب و الوراثة و البيولوجيا إلى تقديم نتيجة مرضية و تفسير علمي دقيق شامل للغة الإنسانية وهو يتشائم كثيرا حول هذه النقطة.

## قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم ، براوية ورش عن نافع.

### المصادر:

1. نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية، طبيعتها و أصولها و استخدامها، تر: محمد فتوح ، دار الفكر العربي، ط1 ، 1993، القاهرة .
2. نعوم تشومسكي ، اللغة ومشكلات المعرفة ، محاضرات ماناجوا، تر: حمزة بن قبلان المزيني ، دار توبقال، ط1 ، 1990 ، الدار البيضاء.
3. نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة و الذهن، تر: حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005، القاهرة.
4. نعوم تشومسكي، اللغة و المسؤولية، تر: حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، ط2 ( جديدة و منقحة ) ، 2005، القاهرة.
- 5- نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة و العقل، تر: عدنان حسن، دار الحوار للنشر و التوزيع، ط1، 2009، اللاذقية ( سوريا)

6- Noam Chomsky, Syntactic structures, Second Edition with an Introduction by David W. Lightfoot , Mouton de Gruyter , Berlin . New York, 2002

7- Noam Chomsky, Aspects of The Theory of Syntax , Second printing, December, 1965, Third printing , November, 1966, The M. I. T Press, Cambridge, Massachusetts, The United States of

America.

- 8- Noam Chomsky, Knowledge of Language, It's Nature, Origion and Use. First published, 1986, New York. United States of America. Westport,Connecticut, London.
- 9- Noam Chomsky, Langauge and Mind, Thrid Edition, Combridge University Press, 2006 , New York, United States of America.

### المراجع:

- 10- الأنباري (أبو البركات كمال الدين) ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، تح: جودة مبروك محمد ، مرا: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط1، 2002، القاهرة.
- 11- الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر) ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، ط2 ، ج3 ، مصر.
- 12- الجرجاني ( عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية، فايز الداية، دار الفكر، ط1، 2008، دمشق .
- 13- الحموي ( أبو عبد الله ياقوت)، معجم البلدان، دار الكتب العلمية، 1991 ، ج3 ، بيروت.
- 14- السهيلي ( عبد الرحمن بن عبد الله )، الروض الأنف، تح: عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب الإسلامية ، ط1 ، 1967 ، ج2.
- 15- السيرافي ( أبو سعيد الحسن بن عبد الله )، أخبار النحويين و البصريين، تح: طه الزيني و محمد خفاجي ، مكتبة مصطفى الباني، ط1 ، 1955.



- 16- السيوطي ( عبد الرحمن جلال الدين)، المزهرة في علوم اللغة و أنواعها ، شر: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، ج1، صيدا ( بيروت) .
- 17- الرازي ( فخر الدين محمد بن عمر الحسين)، المحصول في علم أصول الفقه، تح: طه جابر فياض العلواني ، مطبوعات الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط1، 1400، ج2. السعودية.
- 18- الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنيوية ( دراسة تحليلية ابستمولوجية )، دار القصة للنشر، 2001، الجزائر.
- 19 - أفلاطون، في الفضيلة ( محاوره مينون)، سلسلة محاورات أفلاطون مترجمة عن النص اليوناني ، تر: عزت قرني، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، 2001، القاهرة.
20. أندريه مارتينييه، وظيفة الألسن و ديناميتها، تر: نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة ( مركز دراسات الوحدة العربية )، ط1، 2009، بيروت.
- 21- آلان شالمرز ، نظريات العلم، تر: الحسين سحبان ، فؤاد الصفا، دار توبقال للنشر ، ط1، 1991، الدار البيضاء.
- 22-إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984.
- 23- إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية و العالمية، دار المعارف، مصر.
- 24-إبراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن و المساوئ، دار صادر ، بيروت.
- 25-ابن جني ( أبو الفتح عثمان )، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ( المكتبة العلمية). ج 1 ، القاهرة.
- 26-ابن خلدون ( عبد الرحمن )، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ط1، دار يعرب ، 2004 ، ج 2 ، دمشق.
- 27-ابن فارس ( أبو الحسن أحمد )، في فقه اللغة العربية و مسائلها، و سنن العرب في كلامها، تع: أحمد حسين بسج ، دار الكتب العلمية، ط1، 1997، بيروت.

- 28- ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى و بل الصدى، تح: محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة للطباعة و النشر، ط1، 2001، بيروت.
- 29- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات ( مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبى ) ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999 ، الجزائر.
- 30- أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2005، الجزائر.
- 31- أحمد نحلة ، أصول النحو العربي ، دار العلوم العربية، ط1، 1987، بيروت ( لبنان).
- 32- جرهارد هلبش ، تطور علم اللغة منذ 1970 م، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2007، القاهرة.
- 33 - جرهاد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث ، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2003 ، القاهرة.
- 34- جفري سامسون، مدارس اللسانيات، التسابق، و التطور، تر: محمد زياد كبة، النشر العلمي و المطابع، 1997، الرياض.
- 35- جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي، مناهجه و نظرياته و قضايا مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع، ج 1، الإسكندرية.
- 36- جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي، مناهجه و نظرياته و قضايا مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع، ج 2، الإسكندرية .
- 37- جمعة سيد يوسف، سيكولوجيا اللغة و المرض العقلي، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، دار المعارف، يناير 1990، الكويت.
- 38- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1985، الإسكندرية.

- 39-حاتم صالح الضامن، علم اللغة، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي ( جامعة بغداد)،  
1989، العراق.
- 40-حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاخ، قضايا إستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية  
للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2009 ، لبنان، الجزائر.
- 41-حسام البهنساوي ، نظرية النحو الكلي و التراكيب اللغوية العربية ( دراسات تطبيقية ) ،  
مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004، القاهرة.
- 42-خليل أحمد عميرة، المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق اللغوي " بحوث في التفكير  
النحوي و التحليل اللغوي " ، وائل للطباعة و النشر ، ط1، 2004 ، عمان.
- 43- خليل أحمد عميرة ، في نحو اللغة و تراكيبها ، دراسات و آراء في ضوء علم اللغة  
المعاصر ( منهج و تطبيق)، دار المعرفة للنشر و التوزيع، ط1، 1984م، جدة.
- 44-خولة طالبي الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات، دار القصبه للنشر، ط2، 2006،  
الجزائر.
- 45- ستيفن بنكر، الغريزية اللغوية، كيف يبده العقل اللغة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار  
المريخ، 2000، الرياض .
- 46 - سمير شريف استيتيه ، اللسانيات المجال و الوظيفة ، عالم الكتب الحديث، جدار  
للكتاب العالمي، ط1، ط2، 2005، 2008 ، إربد ( عمان)
- 47 - سيبويه ( أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ) ، الكتاب ( كتاب سيبويه ) ، تح: عبد  
السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، ج 3، 1992، القاهرة.
- 48- سوزن م. جاس ، لاري سلينكر ، اكتساب اللغة الثانية ، تر: ماجد الحمد ، النشر  
العلمي و المطابع، 1430 هـ ، ج 1، الرياض
- 49- شفيقة العلوي محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة  
و النشر و التوزيع ، ط1 ، 2004 ، بيروت.

- 50- روبنز، ر، هـ، موجز تاريخ علم اللغة ( في الغرب ) ، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، 1997، الكويت.
- 51 رومان ياكسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، تر: علي حاكم و حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، ط1، 2002، الدار البيضاء ( المغرب ) ، بيروت ( لبنان ).
- 52- عبد الجليل مرتاض، بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، مؤسسة الأشرف للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 1988 ، بيروت ( لبنان).
- 53- عبد الصبور شاهين، علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، ط6، 1993، بيروت.
- 54- عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي ، نظرية في بناء الكلمة و بناء الجملة ، دار توبقال للنشر و التوزيع، ط1، 1990، الدار البيضاء ( المغرب).
- 55- علي حرب ، أصنام النظرية و أطراف الحرية ( نقد بورديو و تشومسكي )، المركز الثقافي العربي.
- 56- علي حرب، الماهية و العلاقة نحو منطق تحويلي، دار الفكر العربي، ط1، 1998، الدار البيضاء، بيروت.
- 57- علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث و علم اللغة الحديث، سلسلة كتب شهرية، دار الشؤون الثقافية العامة ( آفاق عربية )، ط1، 1986، بغداد.
- 58- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر، ط9، 2004، مصر.
- 59- علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عن الإنسان و الطفل، نهضة مصر للنشر و التوزيع، 2003، القاهرة.

- 60- فردينان دو سوسير، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، مرا: مالك يوسف المطلبي، آفاق عربية، 1985، بغداد.
- 61- كاترين فوك، بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور، مرا: رابح الإسطمبولي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، الجزائر.
- 62- كريم عبيد علوي، كليات المعرفة اللغوية عند الفلاسفة المسلمين في ضوء اللسانيات، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، ط1، الرباط، الجزائر، الرياض.
- 63- محمد المختار، تاريخ النحو العربي ولد أباه ( في المشرق و المغرب ) ، دار الكتب العلمية، ط1، ط2، 1996، 2008، بيروت ، لبنان
- 64- محمد الأوراعي، اللسانيات النسبية و تعليم اللغة العربية، الدار العربية ناشرون، دار الأمان، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، لبنان، المغرب، الجزائر.
- 65- محمد الأوراعي، الوسائط اللغوية ( أفول اللسانيات الكلية ) ، دار الأمان ، ط1، 2001، الرباط.
- 66- محمد الأوراعي، نظرية اللسانيات النسبية و دواعي النشأة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط1، 2010، لبنان، الجزائر، المغرب.
- 67- محمد الأوراعي، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، دار الكلام للنشر و التوزيع، 1990، الرباط ( المغرب).
- 68- محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، الناشر الأطلسي، ط2، 1981، الرباط
- 69- محمد رشاد الحمزاوي ، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، حوليات الجامعة التونسية، العدد الرابع عشر، 1977 ، تونس.
- 70- محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح للنشر و التوزيع، 1999، الأردن ( عمان).
- 71- محمد عيد ، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون ، عالم الكتب ، 1979، القاهرة.

- 72- محمد عيد ، أصول النحو العربي في نظر النحاة و رأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ط4، 1989، القاهرة.
- 73- محمود جاد الرب، علم اللغة نشأته و تطوره، دار المعارف، ط1، 1985.
- 74- محمد طنطاوي، نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ط2 ، القاهرة.
- 75- محمد محمد العمري، الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية ( البنوية و التوليدية)، دار أسامة للنشر و التوزيع، ط1، 2012، الأردن ( عمان).
- 76- مرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، 2002، عمان.
- 77 - مصطفى غلفان، بمشاركة: أمحمد الملاح، حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية ( من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأذنوي : مفاهيم و أمثلة) ، عالم الكتب الحديث، ط1، 2010، إربد ( الأردن).
- 78- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية ( النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط2، 1986، بيروت.
- 79- ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون ( دارسة ألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1، 1986، بيروت.
- 80- ميشال زكريا ، الألسنية ( علم اللغة الحديث) المبادئ و الأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط1 ، ط2، 1980-1983، بيروت ( لبنان).
- 81- ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث، المبادئ و الأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط1 ( 1980)، ط2 ( 1983) ، بيروت
- 82- نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، عالم المعرفة .

83 . Buket Demiruken, The universal Grammar Approach, UG, Marmara University of ELT Ma programme. 2013, Istanbul.

84. Cherly A. Black, A step – by step introduction to the Government and Binding theory of syntax. November. 1999, Sil-Mexico Branch and University of north Dakota. Summer Institute Of Linguistics.

85 .Christina Behmo, Cartesian Linguistics : From Historical Antecedents to Computational . Modeling, June 2011, submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, at Dalhousie University Halifax, Nova Scotia .

86 . David Mastsumoto, The Cambridge Dictionary Psychology, Cambridge university press, First Edition , 2009, The united state of America, New York,.

87. Jean piaget, The Language and Thought of the Child, Translated by: Marjorie and Ruth Gabain, Volume 5, Third Edition, 1959, London and New York.

88. Kelvin Seifert and Rosemary Sutton, Educational Psychology, Second Edition, The Global Text, Zurich, Switzerland.

89. Leonard Bloomfield. *Language*. Compton printing LTD.  
1935. London
90. Mohammed Toukul Islam, *First Language Acquisition Theories and Transition to SLA*. Jazan University, Saudi Arabia, The Asian Conference on language learning, 2013, Official Conference Proceedings , 2013, Osaka, Japan.
91. Patrick Colm Hogan, *Cambridge encyclopedia of the language sciences*, Cambridge university press, The First published, 2011, The united States of America, New York
92. René Descartes, *Meditations On First Philosophy*, translated by Elizabeth S. Haldane, *Internet Encyclopedia of Philosophy*, This file is of the 1911 edition of *The Philosophical works of Descartes*. Cambridge University Press.
93. Roman Jakobson, *Essaie de linguistique général*. Tome1, les fondations du langage, Traduit et préface par Nicolas Rawet et les éditions de Minuit
94. Sadia Qamar, *Principles and Parameters of Universal Grammar*, presented to : Respected Sir Irfanlodhi Roll No.1, M.Phil, 1<sup>st</sup> Semester, Islamia University, Bahawalpur.
95. V.J.Cook and Mark Newson, *Comsky's Universal Grammar An Introduction*, Third Edition, Blackwell publishing, 1988, Oxford : Basil .



96. Zemon Pylyshyn, Rules and Representations : Chomsky and Representational Realism, Draft of a talk presented at the conference on " Chomskian Turn" Tel Aviv and Jerusalem , 1988, Center of Science University of Westren Ontario , London, Ontario, Canada.

### المجلات:

- 97- ابتسام أحمد حمدان، أسس نحوية و لغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها ، فصلية محكمة ، العدد 3، خريف 2010.
- 98- بنكيران امحمد الطيب، الخلفية الفلسفية في النظرية التوليدية، مجلة عالم الفكر ( مجلة فكرية محكمة ) تصدر عن المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، المجلد الخامس و العشرون، العدد الثالث، يناير / مارس 1997، الكويت .
- 99- جون سيرل ، ثورة تشومسكي في مجال علم اللغة ، تر: الطاهر قبيبة، مجلة الجامعة المغاربية ( دورية محكمة نصف سنوية تصدرها الجامعة المغاربية التابعة لاتحاد المغرب العربي)، العدد السابع، السنة الرابعة، 2009.
- 100- حاتم علو الطائي، نشأة اللغة و أهميتها، دراسات تربوية ( مجلة علمية محكمة)، العدد السادس ، نيسان، 2009، العراق.
- 101- سعيد الفراع، الطفل و اكتساب اللغة بين البنائية و التوليدية، رؤى تربوية ، فصلية ثقافية تربوية ( مركز القحطان للبحث و التطوير التربوي) ، العدد الرابع و الأربعون و الخامس و الأربعون، آذار 2014، رام الله ، فلسطين.

102- سعد عبد الله الصويان، اللغة الإنسانية " طبيعتها و خصائصها "، العصور ( مجلة علمية نصف سنوية ، محكمة ، تعني بنشر البحوث التاريخية و الآثارية و الحضارية ) ، دار المريخ للنشر، المجلد الثامن، الجزء الأول، 83- 98 ( يناير 1993 )، لندن

103- قبائلي عبد الغاني، آراء مازن الوعر اللغوية، و قضايا جملة الشرط بين النحاة و الأصوليين و نظرية النحو العالمي لتشومسكي، مجلة الممارسة اللغوية ، العدد الخامس، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011.

104- لطفي عمر بن الشيخ أبو بكر، أثر التقديم و التأخير في المعنى عند النحويين، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد الثاني، المجلد السابع، مارس 2014م

105 . مباركة خمقاني، آراء ابن مضاء القرطبي في ضوء علم اللغة الحديث، مجلة الأثر، العدد الثامن عشر، جوان 2013.

106. مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية ، الأسس و المفاهيم، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ، ب /قسم الآداب و الفلسفة ، العدد 13، جانفي 2015

107. محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر و تشومسكي، فصول ( مجلة النقد الأدبي )، الأسلوبية، المجلد الخامس ، العدد الأول، أكتوبر / نوفمبر / ديسمبر، 1984، الهيئة العامة المصرية للكتاب.

108. حوار مع الدكتور مازن الوعر ( اللسانيات و الشعر)، حاوره خالد الأنشاصي، اللسانيات ( مجلة في علوم اللسان و تكنولوجياته )، مركز البحث العلمي و التقني لتطوير اللغة العربية ، جامعة الجزائر، العددان 12- 13، 2007.

**الرسائل الجامعية :**

109. باسم يونس البديرات ، الفكر اللغوي عند ابن خلدون في ضوء علم اللغة المعاصر ، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد القادر مرعي خليل، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا، استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الدراسات اللغوية ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة مؤتة ، 2007، الأردن.

110. عامر بن شتوح، الجهود اللسانية عند مازن الوعر، إشراف الدكتور: عبد المجيد عيساني، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في اللغة و الأدب العربي، تخصص: علوم اللسان العربي و المناهج الحديثة، قسم اللغة و الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2013-2014 الجزائر.

### الإنترنت :

111 . تنمية ذكاء الأطفال من سن 8 أشهر إلى 12 عاماً، ( حصة تلفزيونية )، نشر إلكتروني من: ( <https://www.youtube.com/watch?v=LdHEc679s-k> )

112. جاسم علي جاسم ، تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي، مجلة جمعية اللسان العربي الدولية، العدد السابع ، 2009م ، نشر إلكتروني من:

( <http://www.allesan.org> ) -

113. حمزة بن قبلان المزيني، تشومسكي في عيد ميلاده السبعين 5-7، صحيفة الرياض، ثقافة اليوم، 1420/11/11هـ، من : ( [efiles.medi.u.edu.my](http://efiles.medi.u.edu.my) )

114. حمزة قبلان المزيني، رأي تشومسكي في نشأة اللغة الإنسانية"، جريدة الحياة، العدد 12287، 1996/10/16 ، من :

( [www.startimes.com](http://www.startimes.com) )

115 . ( ريتشارد دوكينز/ <https://ar.wikipedia.org/wiki/> )

116. فائقة الصادقي، نظرية تشومسكي في القواعد العامة ، مقدمة للقارئ العربي ،

مجلة علوم إنسانية ، السنة الرابعة: 29 ، يوليو ( تموز ) ، جامعة البحرين. من:

77- ( www. Ta5atub.com/t583-topic.)

117. محمد الدنيا، بين " بياجيه " و " تشومسكي " مقارنة حول كيفية اكتساب اللغة،

من:

(ebn-khaldoun .com/article\_details.php?article635.)

118. موسى حتاملة، نظريات اكتساب اللغة الثانية و تطبيقاتها التربوية، القسم الثاني،

من :

(www. majma.org.jo/index.php.)

119 . الموسوعة العالمية ، ويكيبيديا. حتمية ، من :

( https : // ar. Wikipedia. Org /wiki / حتمية )

120. Bollans Nicholas . Chomsky vs. Skinner on language.

121. Mc leed, S.A. ( 2015). Skinner – Operant Conditioning.

Retrieved from : ( www. Simplypsychology. Org/operant-conditioning.html. )

122 .Psycholinguistics/Theories and Models of Language

Acquisition from :

(en.wikiversity.org /wiki/Psycholinguistics/theories\_and  
\_Models\_of\_language\_Acquisition).

123 . ناسوت، قاموس المعاني من :

(<http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>)

125 . ( نعوم\_تشومسكي <https://ar.wikipedia.org/wiki/> ) .

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة .....	أ، ب، ج، د، ...

### ❖ الفصل التمهيدي ( النحو الكلي و الدرس اللغوي عند العرب )

أولاً- ما هية النحو الكلي..	8.....
ثانياً- تشومسكي و التراث العربي.....	12.....
أ- أصل اللغة الإنسانية و نشأتها.....	12.....
ب - البنية العميقة و البنية السطحية.....	16.....
ج - الملكة اللغوية.....	20.....
د- تأثير تشومسكي بالنحو العربي.....	23.....
ثالثاً- تشومسكي و الدرس اللغوي العربي الحديث.....	28.....

### ❖ الفصل الأول ( الأسس الإبستمولوجية لنظرية النحو الكلي )

- تمهيد.....	38.....
أولاً- الأسس الفلسفية العقلية ( أفلاطون - ديكارت).....	39.....
أ- أفلاطون.....	39.....
ب- ديكارت.....	43.....

- 51.....ثانيا- الأسس اللغوية ( بور رويال- فان هومبلدت).....51
- أ- بور رويال.....51
- ب- فان هومبلدت.....54
- 57.....ثالثا: الأسس النفسية و استثمار النظريات البيولوجية.....57
- أ- علم النفس الإدراكي.....57
- ب- استثمار النظريات البيولوجية.....64

### ❖ الفصل الثاني ( أطوار نظرية النحو الكلي)

- 83.....تمهيد -.....83
- أولاً: تجاوز أطروحات سوسير.....84
- أ- اللسانيات التعااقبية التاريخية.....84
- ب- اللسانيات الوصفية الآنية.....85
- ج- اللسان (Le langage) اللغة (La langue) الكلام (La parole).....86
- د- الدال و المدلول.....88
- ثانيا: رفض مفاهيم السلوكيين.....93
- أ- التيار البنيوي السلوكي.....93
- ب- الإشراف الكلاسيكي لبافلوف.....97
- ج- المدرسة السلوكية الأمريكية ( واطسون- سكينر).....98
- ثالثا: من النحو التوليدي التحويلي إلى النحو الكلي.....108
- أ- النحو التوليدي التحويلي.....108

ب- النحو الكلي.....118

### ❖ الفصل الثالث ( اكتساب اللغة )

- تمهيد.....123

أولاً: اكتساب اللغة في الفكر العربي.....125

أ - عند القدماء.....125

ب - عند المحدثين.....133

ثانياً: اكتساب اللغة في الفكر الغربي.....141

أ- عند سكينر ( النظرية السلوكية).....141

ب- عند جان بياجيه ( النظرية المعرفية).....149

ج - عند تشومسكي ( النظرية الفطرية).....159

### ❖ الفصل الرابع ( من الوصف إلى التفسير )

- تمهيد.....179

أولاً: اللغة المجسدة Externalized Language.....180

أ - اللسانيات البنيوية الوصفية.....180

ب - النحو العربي.....194

ثانياً: اللغة المبنية داخليا Internalized Language.....202

أ - البنية الذهنية الداخلية.....202



ب - الربط بين الصوت و المعنى ..... 213

## ❖ الفصل الخامس ( مبادئ و وسائط النحو الكلي )

- تمهيد..... 219

أولاً: المبادئ العامة للنحو الكلي..... 220

أ - مبدأ الإسقاط و المقولات الفارغة ..... 220

ب - قاعدة انقل الألفا..... 226

ج- مبدأ التبعية البنيوية ..... 233

د- نظرية الثيتا ..... 241

و- نظرية الحالة..... 249

المبادئ الفرعية ووسائط النحو الكلي..... 256

أ- نظرية العامل و الإحكام الربطي ..... 256

ب - نظرية X-bar ( وسيط الرأس ) ..... 268

ج- وسيط إسقاط الضم The pro- drop parameter ..... 280

خاتمة ..... 283

قائمة المصادر و المراجع..... 286

الفهرس..... 301

الملخص بالعربية..... 305

Abstract ..... 307

## الملخص

النحو الكلي بين اكتساب اللغة و تفسيرها - دراسة وصفية تحليلية -

أسماء بن منصور

جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2017

تُعنى هذه الدراسة بمحاولة تتبع تطور نظرية النحو الكلي عند صاحبها اللغوي الأمريكي أفرام نعوم تشومسكي و ذلك منذ الثورة المعرفية التي أحدثها في الخمسينيات في علم اللسانيات مع أول مؤلف اقتحم به هذا المجال بقوة وهو " البنى التركيبية " إلى أن استوت هذه النظرية على سوقها بعد أربعين سنة من البحث و التعديل و الإضافات. و قد سعت هذه الدراسة إلى تقديم مفهوم النحو الكلي كما جاء به صاحبه، ثم إلى إبراز الأسس الإستمولوجية التي استقى منها تشومسكي آراءه اللغوية عبر مراحل بنائه لهذه النظرية.

كما تهدف هذه الدراسة لتبيان النظرية الفطرية التي فسر بها تشومسكي اكتساب الأطفال للغة عبر ما يسميه بجهاز اكتساب اللغة، و قد عرضت أيضا الاتجاهات الأخرى التي خالفها في رؤاها مثل الاتجاه السلوكي الذي يتزعمه عالم النفس الأمريكي سكينر، و الاتجاه البنيوي الذي يتزعمه عالم النفس السويسري جان بياجيه. و قد حاولت هذه الدراسة أن تبيّن أن تشومسكي حوّل موضوع البحث في اللسانيات منذ بنيوية سوسير حتى بنيوية التوزيعيين الأمريكيين أمثال بلومفلد و زيلغ هارس، و نقلها من مجرد

الاكتفاء بوصف المنطوق إلى الغوص في أغوار أذهان البشر للكشف عن ماهية لغتهم و بذلك نقل المنهج المتبع في الدراسات اللسانية من الوصف إلى التفسير، فهو ببساطة سعى لتفسير آلية حدوث الكلام، فجاء بعدة نظريات فرعية خادمة للنظرية المركزية " نظرية النحو الكلي" و أرسى عدة مبادئ زعم أنها شراكة بين جل اللغات الإنسانية، أمّا ما اختلفت فيه اللغات فقد أطلق عليه باسم المتغيرات أو الوسائط، و قد اعتمدت هذه الدراسة لبلوغ هذه الأهداف التي سعت إليها المنهج الوصفي حيث بنت مباحثها على نقل ووصف فكر تشومسكي اللغوي القائم على أسس فلسفية و نفسية و بيولوجية ثم قامت بتحليله و مناقشته.

و قد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أنّ الأطفال لا يكتسبون لغتهم عن طريق المحاكاة الآلية لما يتلقونه من مواد لغوية من محيطهم، و أنّ الذكاء لا دخل له في اكتساب اللغة، كما أنّ نقل موضوع البحث في اللسانيات من الوصف إلى التفسير أدى بكثير من العلوم التجريبية كعلوم الأعصاب و الوراثة في العالم الغربي بالاستناد إلى نظريات تشومسكي لتحليل بعض عيوب النطق و أمراض الكلام كالأفازيا و لتفسير كيفية اكتساب الطفل للغته أيضا.

## **Abstract**

### **Grammar Universal between language acquisition and It's interpretation - An Analytical descriptive study-**

**Asma Benmansour**

**University of Al Hadj Lakhdar, Batna, 2017**

This study tries to trace the growth of Grammar Universal Theory of the American linguist **Avram Noam Chomsky** since the knowledge revolution that he created in 1950s in the linguistics field with his first book which is named « **Syntactic Structures** » until it reached to it's current form, after forty years of search, modifications and additions. Indeed, this study has sought to introduce the concept of the Grammar Universal as total as stated by it's owner. And then highlight the epistemological foundations which Chomsky relied on to build his linguistic edifice through the stages of the construction of his theory.

This study also aims to display the innate theory which was created by Chomsky to interpret the acquisition of language through what he calls « **The Language Acquisition Device** ». And it has sought as well to present the other trends in acquisition of language, such as the Behavior Theory of the American psychologist **Skinner**, and the structural direction of the Swiss psychologist **Jean Piaget**. Infact, this study attempted to show that Chomsky has changed the topic of research in linguistics which was stated since **Du Saussure** to the structure of the American distributionists such as **Bloemfeid** and **Zilg Hars**, and he transfered it from description to diving into the minds of people to reveal their language. He switched the linguistic studies from description to interpretation, he simply sought to interpret the mechanism of the occurrence of speech, he also offered several theories serving the central theory of "**Universal Grammar**", and established several **principles** claimed that they are partnership between all the languages of humanity, but what the languages differ about he has named them the **parameters**.

To achieve these goals this study adopted on the descriptive approach to describe the linguistic thought of **Chomsky** which based on the philosophical and biological foundations, and then I have analyzed and discussed his thought.

This study has reached to several conclusions, the most important of which is that children do not acquire their language by means of automatic simulation of the linguistic materials that they receive from their environment, and the intelligence does not contribute to the acquisition of language. As that the transfer of the research topic in linguistics from description to interpretation made a lot of experimental sciences such as neuroscience and genetics in the Western world based on **Chomsky's** theories to analyze some pronunciation and speech disorders such as Aphasia and to explain how a child can acquire his or her language as well.